محنة المسلمين في العهد المكي

تأليف
د. سليمان بن عبدالله بن حمد السويكت
أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مكتبة التوبة



محنة المسلمين في العهد المكي

تأليف

د. سليمان بن عبد الله بن مديد السويكت
أستاذ مشارك في التاريخ الإسلامي
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مكتبة التوبة

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

تطلب جميع منشوراتنا من
مكتبة التوبة
المملكة العربية السعودية
الرياض (١١٤١٥)- ص. ب. (١٨٢٩٠)
ت/ ٤٧٦٣٤٢١ فاكس/ ٤٧٩٠٤٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

إن الحمدلله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ، أما بعد :

فإن المسلم في عصرنا الحاضر يعيش في أكثر البلاد أزمات مختلفة على المستوى الديني والإجتماعي والثقافي والإقتصادي والسياسي ، وإذا كان يعيش ضمن أقلية في بلد من بلاد الكفر ، فإن المشكلة قد تتضاعف والبلاء يزداد ويتفاقم ، والمحن تتعاوره ذات اليمين وذات الشمال ، ولا يَصْمُدُ لذلك إلا من آتاه الله تعالى إيماناً راسخاً وعزيمة نافذة وقدرة على التحمل والصبر. وإن ما يحدث اليوم للمسلمين ليس غريباً ولا جديداً ، بل بدهي طبيعي ، لأن معركة الإسلام مع الكفر ما زالت قائمة ، وستظل كذلك ما دام هناك كفر وإيمان . وما يحدث اليوم حدث لسلفنا الصالح مثله بالأمس ، لتلك الصفوة التي اختارها الله تعالى لنصرة نبيه وصحبته ، وحَدَثَ لنبينا نفسِهِ صلى الله تعالى عليه وسلم من محنة الأذى والفتنة ما لم يحدث مثله لأحد من قبل ، فصبر الرسول ﷺ ، وصبر الصحابة رضوان الله تعالى

عليهم على ما أصابهم صبراً كان مضرب الأمثال ، أذهل العقول ، وأغاظ الكفار ، ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١) ، ولكن الله عز وجل أمهل ولم يعاجل بالعقوبة ، وحقق موعوده بنصر المؤمنين الصادقين ، ومكّن لهم في الأرض ، وجعل لهم العقبى في الدنيا والأخرى.

وقد رأيت أن موضوع (محنة المسلمين في العهد المكي) موضوع حيوي جدير بأن تركز عليه الأضواء ، لأنه ذو علاقة وطيدة بحاضر العالم الإسلامي اليوم ، وما يعيشه من محنة وبلاء ولأنه ـ حسب علمي ـ موضوع بكر لم تتناوله دراسة علمية حديثة موثقة ، ولأنه ذو فائدة كبيرة للمتخصص في ميدان الدراسات التاريخية ولغير المتخصص ، فأحببت أن أتناوله بالدراسة ، لجمع شتاته ، وتحليل كثير من مسائله ، واستنباط ما تيسر من عظاته وعبره ، ليقف المسلم الداعية والمسلم المُمْتَحَن على شيء مما أصاب أفضل البشر قاطبة محمداً ﷺ وما أصاب أفضل الأجيال ، جيل الصحابة الكرام من محنة الأذى والفتنة والصد عن سبيل الله عز وجل ، لعله يجد في ذلك أسوة صالحة أو قدوة طيبة تشحذ الهمة وتذكي العزيمة على التمسك بهذا الدين ، ثم تبليغه للآخرين مهما تكاثرت العقبات واشتدت المصائب.

وقد حاولت في هذا البحث ـ قدر الإمكان ـ الإعتماد على المصادر الصحيحة الموثوقة مبتدئاً بكتاب الله عز وجل ، ومثنّياً بكتب السنة ، ثم رجعت إلى المصادر المعتبرة في السيرة النبوية ، كسيرة ابن إسحاق برواية يونس بن بكير ، وبرواية ابن هشام عن شيخه زياد البكائي ، وطبقات ابن سعد ، وأنساب الأشراف للبلاذري ، وقد احتوى هذا الأخير على مادة خصبة وثرية عن موضوع هذا البحث وأفدت منه فوائد جمة . كما استفدت

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٤٦).

من بعض المصادر الفرعية المتأخرة في السيرة النبوية وغيرها .

ورأيت أن يتم عرض المادة بثلاثة فصول ، الأول منها خاص بما أصاب الرسول ﷺ نفسه من محنة الأذى والفتنة ، والثاني يعرض ما أصاب المسلمين الأولين من محنة الأذى والفتنة ، والثالث يتحدث عن كفار قريش الذين حاولوا فتنة الرسول ﷺ والمسلمين عن دينهم ويعرض مواقفهم المتعددة في هذا المجال .

ولعلي بهذا أكون قد ساهمت ـ ولو بجهد المقل ـ في تسليط الضوء على جزء مهم من سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأسأله جل شأنه أن يغفر الخطأ ، ويجزل المثوبة ، ويكتب النفع ، إنه سميع مجيب .

المؤلف



الفصل الأول

ما أصاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه من محنة الأذى والفتنة

بسم الله الرحمن الرحيم

في تلك الساعات الأولى التي أشرقت فيها شمس الرسالة بعد تلقي النبي ﷺ الوحي من ربه عز وجل ، نستمع إلى ذلك الحوار الذي جرى بينه وبين ورقة بن نوفل[١] :

«فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أوَ مخرجيّ هم ؟ ! قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . . »[٢] .

يا لله ! ما هذه البشرى تمتزج بالألم ؟! فالقسّ ورقة بن نوفل يُطمئن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بأن ما جاءه هو الوحي من عند الله عز وجل ، وأنه نبي هذه الأمة لا ريب ، ولكن في الوقت نفسه يتحدث عن إخراج قومه ومعاداتهم له ، فيتساءل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

---

(١) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ، ابن عم خديجة - زوجة النبي رضي الله عنها ، حكيم جاهلي ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام وتنصر ، وكان يكتب ويقرأ بالعبرانية ، أدرك عصر النبوة ولم يدرك الدعوة ، حيث توفي بعد أول نزول للقرآن ، ذكره بعض العلماء في الصحابة . أنظر صحيح البخاري ١/٣ - ٤ (دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ) ، وابن قتيبة : المعارف ص ٥٩ ، (تحقيق ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ١٩٨١ م) ، وابن يوسف : سبل الهدى والرشاد ٢/٣٢٦ وهو المشهور بـ (السيرة الشامية) تحقيق د. مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ١٣٩٤ هـ).

(٢) صحيح البخاري ١/٤٠٣ .

باستغراب وتعجب ـ وحقّ له ذلك ـ أوَ مخرجيّ هم؟! لأنه يعرف مدى التجلة والاحترام له بين قومه بسبب صفات النبل والفضل التي اشتهر بها بينهم فما يعرف إلا (بالأمين) لما جمع الله له من الأمور الصالحة فيه[1] . وجاء في رواية ابن إسحاق « ولتُكذّبنّه ، ولتُؤذيَنّه ، ولتُخرجنّه ، ولتُقاتلنّه »[2] ، عقبات وعقبات ستعترض الطريق ، أفيكون التكذيبُ لأصدق إنسان على ظهرها يومذاك؟! والإيذاءُ لمن كفَّ شره عن الناس ، والإخراجُ لمن أحب قومه وبلده ـ وكانت مكة أحبَّ البقاع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، عبّر عن ذلك يوم أخرجوه منها فعلاً فقال : «والله إنكِ لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»[3] ـ والقتالُ لمن اجتمعت فيه كل صفات الفضل والنبل والشرف ولمن لا يريد لقومه إلا الخير ، إذن فليوطن رسول الله ﷺ نفسه على ما سيصيبه في هذا الطريق الجديد الذي سيسلكه ، وليكن الصبر والثبات مهما كانت العقبات ، قال ابن اسحاق : «ثم تتامّ الوحي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مؤمن بالله تعالى مصدق بما جاءه منه ، قد قَبِلَه بقبوله ، وتحمّل منه ما حمّله ، على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسول بعون الله تعالى وتوفيقه، لما يلقون من الناس وما يردّ عليهم ، مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى»[4]، وقد فتر الوحي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[5] ، وأبطأ عنه التنزيل بعض الإبطاء حتى ضاق صدره ، وفرح كفار قريش بذلك فقال

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/١٢١ (دار صادر ، بيروت).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية ١/٢٧٠ (تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الفكر، بيروت، مع كتاب الروض الأنف).

(٣) سنن الترمذي ٥/٧٢٢ ، حديث رقم ٣٩٢٥ (تحقيق ابراهيم عوض ، دار الدعوة اسطنبول ١٤٠١ هـ) ، وسنن الدارمي ص ٦٣٥ (دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ) .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ١/٢٧٩.

(٥) صحيح البخاري ١/٤ .

بعضهم : ودّعه ربه وقلاه ، فأنزل الله عز وجل سورة (الضحى)(١) ، يبين له فيها كذب ما زعم الكفار وأنه ما تركه وما أبغضه منذ أحبه . ثم مكث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مكة ثلاث سنوات يدعو إلى الله تعالى سراً ، لا يفاتح بأمر الدعوة إلا من يثق به من أهل العقول والفطر السليمة ، ويحرص في الإختيار على انتقاء العناصر الأكثر جدارة وكفاءة ومقدرة على تحمل المسؤولية وحمل الأمانة ، ومع أنه كان غير مستعلن في دعوته أمام ملأ قريش إلا أنهم قد شَنِفُوا له وتجهّموه(٢) وكانوا ينظرون إليه بازدراء واحتقار فيقولون إذا مرّ عليهم في مجالسهم ـ وهم يشيرون إليه ـ : هذا غلام بني عبد المطلب يكلم من السماء»(٣) ، ولم يزالوا كذلك حتى أعلن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدعوة إلى الله عز وجل وأظهر عيب آلهتهم وأخبر أن آباءهم ماتوا على كفر وضلال وأنهم في النار ، فعندئذ نابذوه ورموه بالبهتان وجاهروا في عداوته وأظهروا البغضاء لـه وآذوه ، وآذوا من اتّبعه بكـل ما أمكنهم من الأذى(٤) .

ولما أجمعت قريش على عداوة النبي ﷺ وعلى خلافه حَدَبَ عليـه عمه أبو طالب(٥) وقام دونه وحنا عليه وأحسن إليه وحامى عنه وخالف قومه في

---

(١) صحيح مسلم ١٤٢١/٢ ، رقم الحديث ١٧٩٧ (دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ) . والبلاذري : أنساب الأشراف ١٠٩/١ (تحيق د. محمد حميد الله ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩ م) .

(٢) ابن يوسف : سبل الهدى ٤٢١/٢ ، ومعنى شنفوا له : أي أبغضوه ، وتجهموه : أي تلقوه بالغلظة والوجه الكريه .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٩٩/١ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١١٥/١ .

(٤) ابن عبد البر : الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٥ ، (الطبعة الأولى دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٤ هـ).

(٥) عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، أبو طالب ، عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكافله ومناصره وحاميه من قريش ، من أبطال بني هاشم ، مع قربه من الرسول وتصديقه به لم يسلم خوفاً من العار أن يلحقه أو يلحق بنيه ، توفي في السنة الثالثة قبل الهجرة ، العاشرة من البعثة ، وهو ابن بضع وثمانين سنة . انظر عنه ابن سعد : =

ذلك مع أنه كان على دينهم وعلى ملتهم ، ولكن الله تعالى وضع حُبَّه في قلبه حباً طبعياً لا شرعياً[١] . وقد دعا أبو طالب بني هاشم وبني المطلب[٢] إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب[٣] فقد نَصَبَ لعداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وظافَرَ قريشاً على أخيه أبي طالب[٤] ، وعلى الرغم من أن أبا طالب كان ذا منزلة وسن وشرف في قومه فلم يَسْلَم رسولُ الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أذى قريش في كل الأحوال ، فقد اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أسلم معه ، ولذلك أغروا به سفهاءهم ، فكذبوه ، وآذوه ، ورموه بالصفات الرذيلة والنقائص ، وهمزوه واستهزأوا به وخاصموه[٥] ، لكنهم لم يستطيعوا البطش به .

وقد حصل للرسول صلوات الله وسلامه عليه ما حصل له من صنوف الأذى والفتنة مما سنشير إليه ـ إن شاء الله تعالى ـ وذلك مع قيام عصمته ليناله

= الطبقات الكبرى ١١٩/١ وما بعدها ، وابن كثير : السيرة النبوية ١٢٢/٢ وما بعدها ، (تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٦ هـ).

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ٤٦٢/١ .

(٢) أبناء عبد مناف بن قصي أربعة هم : هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل ، ولكن كان بين بني هاشم وبني المطلب حلف دون بني عبد مناف ، ولهذا اختص أبو طالب بني المطلب بالدعوة إلى مؤازرته دون غيرهم من أبناء عبد مناف .

(٣) عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، أبو لهب كنّاه أبوه بذلك لحسنه وإشراق وجهه، وهو عم رسول الله ﷺ ، وأحد الشجعان الأشراف في الجاهلية ، كان غنياً عتياً ، ومن أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين ، فيه نزلت سورة المسد ، وكانت وفاته بعد معركة بدر بأيام ، ولم يشهدها مع المشركين .
انظر عنه ابن كثير : السيرة النبوية ٤٦١/١ ، والديّار البكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ١٦٩/١ (مؤسسة شعبان ، بيروت).

(٤) ابن إسحاق : السير والمغازي ـ رواية يونس بن بكير ـ ، ص ١٥٠ . (تحقيق سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ).

(٥) سيرة ابن هشام ٣٣/٢ ، ١٠٣.

حظه من البلاء وليتحقق له الصبر الذي أُمر به كما صبر أولو العزم من الرسل والأنبياء عليهم السلام(١) وليتبوأ المكانة السامية والمنزلة الرفيعة التي أعد الله تعالى له .

وننتقل الآن إلى عرض نماذج مما حصل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مختلف أنواع الأذى والفتنة ، وما تفتقت عنه أذهان كفار قريش من أساليب المكر والصدّ عن سبيل الله تعالى . فمن ذلك ، أنهم كانوا يزعمون أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا (يستغوي) أي لا ينقاد له ويتبعه على الإسلام إلا الأولاد والأحداث والعبيد والإماء(٢) ، وقد كذبوا في ذلك فغالبية المسلمين الذين اتبعوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في تلك الفترة المبكرة كانوا ينتمون إلى أشهر القبائل المكية وأعلاها سلطة ومكانة ، وكانوا من الأغنياء ومتوسطي الحال ، يدل على ذلك استعراض أسماء السابقين الأولين الداخلين في الإسلام(٣) أما الأولاد والعبيد والموالي فنسبتهم يومذاك كانت قليلة في صفوف المسلمين ، وكانت قريش تهدف من إثارة هذه الدعوى إلى الإيحاء بأن دعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم دعوةٌ تافهة لا وزن لها ولا قيمة بدليل أن أصحاب العقول النيّرة والألباب

---

(١) العامري : بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ١/٨٢ ، ١٢١ . (شرح محمد الأشخر اليمني ، دار صادر ، بيروت).

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ١/٢٢٩.

(٣) كان أول الناس إسلاماً خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها، ثم علي ابن أبي طالب وكان في سن الصبا آنذاك ، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ثم أسلم بدعوته عثمان بن عفان الأموي ، والزبير بن العوام الأسدي ، وطلحة بن عبيد الله التيمي ، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف الزهريان ، ثم كان من السابقين بعد هؤلاء خالد بن سعد بن العاص الأموي ، وأبو عبيدة بن الجراح الفهري ، وأبو سلمة والأرقم بن أبي الأرقم المخزوميان ، وعثمان بن مظعون الجمحي ، وأخواه قدامة وعبدالله ، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وسعيد بن زيد العدوي ، وابنة عمه وزوجه فاطمة بنت الخطاب.. إلخ . انظر سيرة ابن هشام ١/٢٧٧ وما بعدها.

الراجحة من ملأهم لم يكترثوا بها ولم يلقوا لها بالاً ولم يؤمنوا بها .

ومما كانوا يؤذون به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العَبْسُ والتكشيرُ بوجوههم إليه[1] . وجَعْله ينظر إلى ما يكره من العورات ، فقد جاء رجل من قريش بمكة إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يا محمد ألم يبلغني أنك تنهي عن السباء ـ يعني عن سباء العرب ـ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : بلى ، فتحول الرجل فكشف عن إسته في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[2] ، ويؤذونه في ضرب بناته[3] . ويحثو سفهاؤهم التراب على رأسه ، وكانوا يَنْضِدون الفرثَ والأفْحَاث[4] والدماء على بابه ، ويطرحون رحم الشاة في برمته ، ويسبّونه ويهجونه ، ويعذبون أصحابه وأحباءه وهو ينظر[5] ، ويستهزئون به ، ويريدون أن يوقعوه في الحَرَج وذلك مثلاً عندما أرسلوا إليه ـ وكان جالساً في ناحية المسجد ـ رجلاً من إراش باع إبلاً له على أبي جهل[6] فمطله بأثمانها ، فقال ذلك

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/١٧٤.
والسيوطي: الخصائص الكبرى ١/١٣٦ (دار الكتب العلمية ، بيروت).
(٢) ابن إسحاق : السير والمغازي ص ٢٣٤.
(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.
(٤) الأفحاث جمع فَحِث ، وفَحِثُ الكرش شيء متصل بها ذو أطباق وأجواف . انظر المعجم الوسيط ٢/٦٧٥ ، (من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار المعارف بمصر١٣٩٣ هـ).
(٥) السهيلي : الروض الأنف ٢/٤٨ (تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر ، بيروت).
(٦) عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، كناه الرسول ﷺ (بأبي جهل) بدلاً من كنيته السابقة (أبي الحكم) ، وهو فرعون هذه الأمة ، من أكابر رجال الملأ في قريش ، كان شديد الأذى للنبي ﷺ ـ مع معرفته بصدقه ـ وللمسلمين عامة ، نزل في شأنه آيات من القرآن الكريم ـ سنذكرها في حينها إن شاء الله تعالى ـ ، قتل يوم بدر كافراً وهو ابن سبعين سنة.
انظر عنه ، البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٢٥ وما بعدها ، والبيهقي : دلائل النبوة ٢/١٨٩ وما بعدها (تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ).

الرجل لهم وهم في ناديهم جلوس من يساعدني في أخذ حقي؟ فأشاروا له إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لِمَا يعلمون من العداوة بينه وبين أبي جهل، فذهب إليه فقام معه إلى أبي جهل وأمره بإيفاء الرجل حقه فامتثل لذلك أسرع ما كان(١).

إتهام الرسول ﷺ بعلل عقلية وروحية وخلقية :

ومن أبرز ما كانوا يؤذون به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تلقيبه بالألقاب الشنيعة ، وتوجيه التهم والعلل العقلية والروحية والخُلقية إليه ، كالجنون ، والسحر ، والشعر ، والكهانة ، والكذب ، والإفتراء ، والاستعانة بالآخرين . وغير ذلك مما حكاه الله تعالى عنهم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، فمن الآيات التي أشارت إلى وصفهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنون ما يأتي :

﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾(٢).

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٣).

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٤).

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾(٥).

---

(١) انظر تفصيل القصة عند ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) سورة الحجر، آية ٦.

(٣) سورة القلم ، الآيات ، ٥١ ـ ٥٢.

(٤) سورة الصافات ، الآيات ٣٥ ـ ٣٧.

(٥) سورة سبأ ، الآيات ٧ ـ ٨.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1]

ويفهم من هذه الآيات أنهم لم يكونوا يقصدون أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان مريضاً مخبول العقل أو أنه مبتلى بصرع ، وهي الصفات التي تلازم المريض بالجنون ، وهذا مما لا يعقل عنهم في حد ذاته لأنهم يرون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتلو الآيات القرآنية الرائعة في بلاغتها ونصاعتها وقوتها ، والتي كانت تنفذ إلى أعماقهم على الرغم من مكابرتهم وجحودهم. فكانت ألسنتهم تنطق بالحق والصدق فتفضحهم في دعاويهم الكاذبة[2] ، وإنما كانوا يقصدون رمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بغرابة الأطوار والشذوذ فيما يدعو إليه ويبشّر به وينذر ، على ما تعود الناس أن يرموا بمثل ذلك من يتصدى لدعوة جديدة ، أو يبدي رأياً ، أو يقول قولاً ، أو يخبر خبراً غير مألوف في المجتمع الذي يعيش فيه[3].

ولم يكتف القرآن بحكاية هذه التهمة بل تولى تكذيبها وتزييفها وردها رداً قوياً في أكثر من مناسبة ، فإضافة إلى ما ورد في أعجاز الآيات السابقة من تكذيب لدعواهم نرى قوله تعالى: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[4] حيث يقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مما غمَصَه به الكفار من صفة الجنون ويؤانسه بهذا الخطاب الرقيق الذي يعتبر في أعلى درجات

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات ٦٨ ـ ٧٠ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ١١/٢ .

(٣) دروزة: سيرة الرسول ﷺ ٧٢/١ (الطبعة الثانية ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٤ هـ .

(٤) سورة القلم ، الآيات ١ ـ ٣ .

الآداب في المحاورة[1]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[2]، وقوله تعالى بعد أن أقسم بالنجوم وبالليل إذا عسعس وبالصبح إذا تنفس في سورة التكوير ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[3]. فنفى الله عز وجل عن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذه الآيات البيّنات ما وصفوه به من هذه الصفة التي يعرفون هم في قرارة أنفسهم أنهم كاذبون فيها، وأنه لا يصدقهم في دعواهم هذه إلا من هو مجنون حقيقة، ولعل أبرز مثال يمكن أن نوضح به ما نقول الحادثة التالية:

روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن ضِمَاداً[4] قدم مكة، وكان من أزدشنوءة، وكان يرقي من هذه الريح[5]، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يديّ. قال فلقيه. فقال: يا محمد أني أرقي من هذه الريح، وأن الله يشفي على يديّ من شاء، فهل لك[6]؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده

(١) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/١٠٣ (تحقيق محمد أمين قره علي وآخرين، طبع الوكالة العامة للنشر والتوزيع، بيروت ودمشق).

(٢) سورة سبأ، آية ٤٦.

(٣) آية ٢٢.

(٤) ضماد بن ثعلبة الأزدي نسبة لأزد شنوءة قبيلة مشهورة في اليمن، قدم مكة في أول بعثة الرسول ﷺ فأسلم - كما ورد في هذا الحديث - وكان عاقلاً متطبباً. انظر الشفا للقاضي عياض ١/٤٨٣.

(٥) المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن، أنظر شرح النووي لصحيح مسلم ٤/١٦٥ (بهامش كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، الطبعة السادسة، بولاق، ١٣٠٤ هـ).

(٦) أي فهل لك رغبة في رقيتي، وهل تميل اليها؟

الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد ». قال ، فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث مرات ، قال ، فقال: لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن ناعوس[1] البحر ، قال ، فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام ، قال فبايعه ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: « وعلى قومك » قال : وعلى قومي . . .[2] .

فهذا الرجل اللبيب عندما سمع مقالة قريش في محمد صلى الله تعالى عليه وسلم رقّ له ، وهمّ بمعالجته علّ الله أن يشفيه ، ولكنه بمجرد أن سمع منه ما سمع عرف أن ما يقال عنه إنما هو الزور والبهتان بعينه ، ولذلك استعاده ما قال ، ثم آمن به ودخل في الإسلام ، وتحمّل منه ما تحمّل .

وأما ما كان من نسبتهم إليه السحر والشعر والكهانة والكذب والافتراء والاستعانة بالآخرين وتعلُّم القرآن منهم وأخذه عنهم ، فقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك كثيراً ، ونشير هنا إلى نماذج تبين ادعاءاتهم تلك ، وردَّ القرآن عليها:

قال تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ﴾[4].

(١) رويت هذه اللفظة بأوجه متعددة منها ما ذكر ، ومنها قاموس ، وهاتان أشهر الروايات ، ومنها : قاعوس ، وتاعوس . والمعنى أن مقالتك هذه إشتهرت في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، وقاموس البحر : وسطه أو لجته أنظر شرح النووي لصحيح مسلم ٤/١٦٥ .

(٢) صحيح مسلم ١/٥٩٣ ، حديث رقم ٨٦٨ .

(٣) سورة ص ، آية ٤ .

(٤) سورة القمر، آية ٢ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾[2].

وقد رد الله تعالى عليهم في دعواهم هذه رداً قوياً محكماً حينما ذكر السحر وأخبر أن السحرة بعيدون عن الفلاح وأن عملهم باطل فاسد ، قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾[3] ، ثم قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[4].

وحملةُ القرآن الكريم على السحر ولو من باب الحكاية تتضمنُ تزييفَ نسبة السحر إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم[5].

وقال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[6].

وقال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾

---

(١) سورة هود ، آية ٧ .
(٢) سورة الأنبياء، آية ٥ .
(٣) سورة يونس ، آية ٧٧ .
(٤) سورة يونس ، الآيات ٨١ - ٨٢ .
(٥) دروزة : سيرة الرسول ﷺ ١/٧٤ .
(٦) سورة الأنبياء، الآية ٥ .

إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(٣).

---

(١) سورة الحاقة، الأيات ٣٨ ـ ٤٨.

(٢) سورة الفرقان، آيات ٤ ـ ٦. قال ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣١٠ (دار الفكر، بيروت) تعقيباً على هذه الآية: وهذا الكلام لسخافته وكذبه وبهته منهم، كل أحد يعلم بطلانه، فانه قد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمد رسول الله ﷺ لم يكن يعاني شيئاً من الكتابة لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى أن بعثه الله نحواً من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه ونزاهته وأمانته وبعده عن الكذب والفجور وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى إنهم كانوا يسمونه من صغره وإلى أن بعث الأمين، لما يعلمون من صدقه وبره. فلما أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وحاروا فيما يقذفونه به، فتارة من إفكهم يقولون ساحر، وتارة يقولون شاعر، وتارة يقولون مجنون، وتارة يقولون كذاب. وقال تعالى: ((انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً)) سورة الفرقان، الآية ٩.

(٣) سورة الشورى، الآية ٢٤.

وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾(٢).

ومن جملة الردود عليهم قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَالشُّعَرَاءُ

(١) سورة الأحقاف، الآية ٨.
(٢) سورة النحل، الآيار ١٠١ ـ ١٠٥
(٣) سورة الأنعام، الآية ٩٣.

يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾[2] .

فتلك الآيات السابقات تتناول مزاعمهم التي افتروها على الرسول ﷺ فتعرضها بأمانة كما نطقوها ثم ترد عليها رداً قوياً محكماً وتفندها تفنيداً واضحاً ، ويلاحظ تركيز أغلب الآيات المذكورة على مسألة الإفتراء وإعانة الأقوام الآخرين للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتعلّمه القرآن من الشخص الأجنبي ، ويقصدون به (جبر) النصراني ، غلام عامر بن الحضرمي وهو صاحب بيعة عند المروة ، كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس إلى مبيعته[3] ، أو (عائش) أو (يعيش) غلام حويطب بن عبد العزى وكان صاحب كتب وعلم ، أو (بلعام) وكان حداداً نصرانياً يمرّ عليه النبي ﷺ ويقف عنده ، أو يدخل إلى محله على مرأى من المشركين[4] ، وكان الرد على هذا في صراحة واضحة ﴿لسان الذين يلحدون إليه﴾ أي ينسبون إليه أنه يعلمه ﴿أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ أي القرآن فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة من رجل أعجمي ، لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل[5] .

ولم يكتف كفار قريش بهذه الافتراءات التي أشاعوها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل إنهم لما رأوا أثر القرآن الواضح في النفوس ، وحال

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٢٢١ ـ ٢٢٤ .
(٢) سورة يس ، الآية ٦٩ .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ١٣٥/٢ .
(٤) انظر تفسير الطبري ، المجلد السابع ، الجزء الرابع عشر ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ (دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ) وتفسير ابن كثير ٥٨٧/٢ ـ ٥٨٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٨٧/٢ .

الحسد بينهم وبين اتّباعه انطلقوا يتواصـون فيما بينهم ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾(١) أي اجعلوه لعباً وباطلاً واتخذوه هزواً لعلكم تغلبونه بذلك فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه غلبكم ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون الاستماع إليه ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فَرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا ذلك ذهب خشية أذاهم ، وإن خفض الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم صوته فظنّ الذي يسمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه ، وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إنما نزلت هذه الآية ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾(٢) يعني في ذلك(٣) .

وكـان الرسـول صلى الله تعالى عليـه وسلم إذا تلى عليهم القـرآن ودعاهم إلى الله تعالى قالوا يهزءون به : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾(٤) أي لا نفقه ما تقول ، ﴿ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ أي لا نسمع ما تقول ﴿ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ قد حال بيننا وبينك ﴿فَاعْمَلْ﴾ بما أنت عليه ﴿ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ بما نحن عليه ، فأنزل الله عز وجل في ذلك ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾(٤) إلى قوله ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ

---

(١) سورة فصلت ، الآية ٢٦ .
(٢) سورة الإسراء ، الآية ١١٠ .
(٣) ابن إسحاق : السير والمغازي ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، وابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ١/١١٠ (دار الجيل ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٤م) .
(٤) سورة فصلت ، الآية ٥ .
(٥) سورة الإسراء ، الآية ٤٥ .

فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا(١). ومما روي عن كفار قريش أنهم إذا سمعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ القرآن جاءوا وصفّوا له صفين جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ثم شرعوا يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار(٢) حتى لا يسمع ما يقول أحد ولا ينتفع به. ومع كل هذا الاستهزاء بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عند تلاوة القرآن ، والصدّ عن استماعه نجد أن زعماء قريش لا يملكون أن يثنوا أنفسهم عن سماع القرآن ، لما فيه من الجاذبية والقوة، فقد روى ابن إسحاق: أن أبا سفيان بن حرب(٣) وأبا جهل، والأخنس ابن شريق(٤) خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكلٌّ

---

(١) أنظر ابن هشام : السيرة النبوية ٦٦/٢ .

(٢) علي الحلبي : انسان العيون في سيرة الأمين المأمون ٤٧٦/١ وهو المشهور (بالسيرة الحلبية) ، دار المعرفة بيروت ، ١٤٠٠ هـ)

(٣) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو سفيان ، من سادات قريش في الجاهلية ، قاد قريشاً وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . أسلم يوم فتح مكة سنة ٨ هـ . ، وحسن إسلامه ، ولاه الرسول على نجران ، أبلى في الفتوح ، وكانت وفاته سنة ٣١ هـ وله نحو تسعين سنة . انظر عنه خليفة بن خياط: كتاب الطبقات ص ١٠ (تحقيق د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض ١٤٠٢ هـ)، والسوي: كتاب المعرفة والتاريخ ٣٠٠/٣ ـ ٣٠١ (تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩٦ هـ ، والذهبي. سير أعلام النبلاء ١٠٥/٢ ـ ١٠٧ (تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢ هـ).

الأخنس بن شريق الثقفي ، واسمه أبيّ ، كان من أشراف قريش ، وممن يصيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤذيه، قيل أنه أسلم بعد دلك سيرد الحديث عنه إن شاء الله تعالى في موضع لاحق من هذا البحث.

السيرة النبوية ١٠٧/٢ ، وابن يوسف : سبل الهدى ٦١٤/٢ ـ ٦١٥ .

لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض لا تعـودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عادوا ، فتلاوموا ، ثم عادوا في الليلة الثالثة ، ولم ينتهوا عن ذلك إلاّ بعد أن تعاهدوا على عدم العودة[1]. وهذا من أكبر الدلائل على أنهم كانوا يعرفون أن ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم حق من عند الله عز وجل لأن هـذا الـكـلام لا يمكن أن يتأتى لأي بشر مهما كان ، وإنما صرفهم الكبر والبغي والحسد.

والغريب أنه من بين تلك الألقـاب والصفات السـابقة التي ألصقـوا بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والتي لا يعلم مدى أثرها على نفسه إلا الله عز وجل ، نرى صفة واحدة تعلقوا بها كثيراً وأصروا عليها إصراراً عجيباً وهي صفة (السحر) فوصموا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بها في كل مناسبة كان الحق ينجلي فيها أو يظهر على يديه معلناً صدق رسالته[2] ، وقد جاء إصرارهم هذا بعد دراسة وتحليل لأكثر الصفات التي يمكن أن تطلق على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وتتناسب مع حاله ، فقد روى ابن إسحاق أن الوليد بن المغيرة[3] اجتمع إليه نفـر من قريش ـ وكـان ذا سنّ فيهم ـ وقد حضر الموسم ، فقال لهم : يا معشر قريش إنه قـد حضر هـذا

(١) سيرة ابن هشام ٢/٦٦ .

(٢) انظر على سبيل المثال ابن إسحاق : السير والمغازي ص ٢٧٦ ، وابن هشام : السيرة النبوية ٢/٣٥ ، ١٣٤ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٩ ـ ١٣٠ ، ٢٣٤ ، وابن يوسف : سبل الهدى ١/٥٧٨ .

(٣) هو الوليد بن المغيمرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، أبو عبد شمس ، يسمى العدل ، والوحيد ، وريحانة قريش ، أحد أقطاب المعارضة القرشية لدعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأحد المستهزئين به ، مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ، ودفن بالحجون .
انظر عنه البلاذري : أنساب الأشراف /١٣٣ ، والحلبي : إنسان العيون ١/٥١٢ .

الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأياً نقول به ، قال: بل أنتم فقولوا أسمع ، قالوا: نقول كاهن ، قال لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان ، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه ، قالوا: فنقول مجنون ، قال: ما هو بمجنون ، لقد رأينا المجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته ، قالوا: فنقول شاعر ، قال: ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا: فنقول ساحر ، قال: ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال: والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لعذق ، وإن فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر ، جاء بقول هو سحر ، يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك[1] . وأنزل الله عز وجل في شأن الوليد وأصحابه الذين كانوا معه يصنّفون القول في الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى ﴿ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]
أما ما أنزل الله تعالى في شأن الوليد خاصة فسنذكره إن شاء الله تعالى في موضعه من هذا البحث.

وقد كان المشركون يشددون في الأذى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى المسلمين من أصحابه ، ولهذا فكانوا يهرعون إلى البرية فراراً منهم ، ويصيبهم من الجوع والظمأ والأذى ما الله به عليم ، يشهد لذلك

(١) سيرة ابن هشام ٢/١١-١٢ .
(٢) سورة الحجر ، الآيات ٩٠-٩٣ ، انظر سيرة ابن هشام ٢/١٢ .

ما رواه عبدالله بن مسعود[1] رضي الله تعالى عنه ، قال : كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط[2] بمكة ، فأتى عليّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر ـ وقد فرّا من المشركين ـ فقالا : يا غلام هل عندك لبن تسقينا؟ قلت : إني مؤتمن ، ولست بساقيكما ، فقالا : هل عندك من جذعة لم ينزُ عليها الفحل؟ قلت : نعم ، فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الضرع ، فدعا ، فحفل الضرع ، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها ، ثم شربا ، وسقياني ثم قال للضرع اقلص فقلص . . [3] .

مع أبي طالب ومحنة الحصار :

ثم إن قريشاً لما رأت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ماض في طريقه إلى الدعوة مستخدماً كل الأساليب التي من شأنها أن تجذب الناس إلى ساحتها ، من ترغيب وترهيب ، وكشف لحقيقة الأوضاع التي يعيشونها في ظل معتقداتهم السائدة القائمة على تعظيم الأصنام وصرف العبادة لها من

---

(1) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ ، من السابقين إلى الإسلام ، أول من جهر بالقرآن بمكة ، خدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، شهد بدراً وهاجر الهجرتين ، مناقبه غزيرة وروى علماً كثيراً ، روى عنه الحديث والقراءة عدد من الصحابة والمشاهير ، توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ .

انظر عنه ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣١٦/٢ وما بعدها (بهامش الإصابة لابن حجر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٢٨ هـ) والذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٦١/١ وما بعدها (تحقيق حسين الأسد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٢ هـ .).

(2) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، أبو الوليد ، من رجال الملأ في قريش ، كان شديد الأذى للرسول ﷺ والمسلمين ، أسر يوم بدر ثم قتل وصلب مرجعهم منها . سترد بعض أخباره فيما بعد إن شاء الله تعالى . انظر عنه ، البلاذري : أنساب الأشراف ١٤٧/١ ـ ١٤٨ ، وسيرة ابن هشام ١٠٧/٢ .

(3) الذهبي : السيرة النبوية ص ٨٠ (تحقيق حسام الدين القدسي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت).

دون الله وحـده ، وعلى تمجيد الآبـاء والسير في طـريقهم والتعصب لمـوروثاتهم ، مـع أن قريشـاً نفسها لم تـألُ جهداً في استخـدام عدد من الأساليب التي حاولت بها أن تصرف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الدعوة ، ولعل من أبرز تلك الأساليب محاولاتها المتكررة مع أبي طالب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الواقف دونه والمحامي عنه[1] ، أقول لما رأت قريش ذلك وتبين لها عدم جدوى أساليبها اشتد مكرها ، وأزمع بعضهم على قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[2] ، وقالوا : قـد أفسد أبناءنا ونساءنا ، وعرضوا على قوم رسـول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم أن يأخذوا ديتـه مضاعفـة ويقتله رجل من غيـر قريش ، وتـريحوننـا وتريحون أنفسكم ، فأبوا ذلك إباءً شديداً ، ومنع الله عز وجل رسوله بحميّة رهطه وعشيرته ، وعندئذ أقسموا بالله لنقتلن محمداً سراً أو علانية[3] ، ثم أتوا إلى أبي طالب مرة أخرى وأنذروه إن لم يأخذ على يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويرده عما هو فيه ليقتلنه غيلة ، قالوا : قد أعذرنا إليك[4] . فلما رأى أبو طالب أنهم عازمون على ذلك خاف على ابن أخيه ، ثم انطلق ببعض من معه فأقامهم بين أستار الكعبة ، فدعوا على ظلمة قومهم وقال أبو

(١) جاءوا إلى أبي طالب ثلاث مرات ، قالوا له في المرة الأولى : إما أن تَكُفَّهُ عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً ، واستمر الرسول ﷺ في دعوته ، فجاءوا إلى أبي طالب مرة ثانية مهددين قائلين : إما أن تكفه عنا وإما ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين ، ثم جاءوا في المرة الثالثة يعرضون على أبي طالب عمارة بن الوليد ـ وهو أحد شباب قريش من ذوي النضارة والجمال ـ مقابل أن يتخلى أبو طالب لهم عن رسول الله ﷺ ، فهزيء بهم قائلاً : والله لبئس ما تسومونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله ما لا يكون أبداً . انظر في تفصيل تلك اللقاءات سيرة ابن هشام ٢/٤ ـ ٥ .

(٢) روى ذلك الزهري وموسى بن عقبة وابن اسحاق وغيرهم ، انظر البيهقي : دلائل النبوة ٢/٢٨٥ والذهبي : السيرة النبوية ص ١١٢ ، وابن يوسف : سبل الهدى ٢/٥٠٢ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/٢٣٠ .

(٤) المصدر السابق ١/٢٣٢ .

طالب : اللهم إن قومنا قد آبوا إلى البغي فعجّل نصرنا وحُل بينهم وبين قتل ابن أخي ، وقالت قريش : لا صلح بيننا وبين بني هاشم وبني المطلب ولا رحم ولا إلّ ولا حرمة إلا على قتل هذا الرجل الكذاب السفيه(١) . ولما رأى أبو طالب عملهم جمع بني هاشم وبني المطلب ابن عبد مناف ـ وكان أمرهم واحداً ـ وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شُعَبهم ويمنعوه ممن أراد قتله ، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيماناً ، ولما عرفت قريش أن الرسول ﷺ قد منع منهم وأن القوم غير مسلميه قرروا مقاطعتهم مقاطعة تامة واتفقوا على ألا يكلموهم ولا يجالسوهم ولا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم في شيء ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في الكعبة(٢) ، ومما كتبوا في هذه الصحيفة من العهود والمواثيق أن لا يقبلوا من بني هاشم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للقتل ، فلبث بنو هاشم وبنو المطلب ومن معهم من المسلمين في الشُعَب ثلاث سنين(٣) ، محصورين مبعدين مجتنبين حاشا أبا لهب وولده فإنهم صاروا مع قريش على قومهم(٤) ، واشتد البلاء والجهد على أولئك المحصورين في الشعب ، فقد قطعوا عنهم الأسواق والمادة والميرة ، ولم يتركوا لهم طعاماً يقدم مكة ولا بيعاً إلا بادروهم إليه فاشتروه(٥) .

وقد بلغ الجهد والضر بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه مبلغاً شديداً في محنة الحصارة هذه ، لأنهم كانوا لا يخرجون من الشعب في الثلاث سنين التي أمضوها إلا من موسم إلى موسم ، فتضاغى صبيانهم

---

(١) المصدر السابق ١/٢٣٠ .

(٢) ابن إسحاق : السير والمغازي ص ١٥٦ ، والبلاذري : أنساب الإشراف ١/٢٣٤ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٩ ، وابن عبد البر : الدرر ص ٢٥ .

(٥) ابن كثير : السيرة النبوية ٢/٤٤ .

فسُمع ضغاؤهم وصياحهم من وراء الشعب(١) ، ومن شدة ما أصابهم من الجوع جهدوا حتى كانوا يأكلون الخَبَط(٢) وورق السَّمُر(٣) حتى أن أحدهم ليضع كما تضع الشاة ـ كما ورد في الصحيح ـ وأكلوا الجلود اليابسة ، وكل ما وقعت عليه أيديهم(٤) ، ومات منهم قوم كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه(٥) .

وقد أثبت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه من المحصورين عملياً أثناء الحصار مقدرتهم على التحرر من حاجات الجسد من الطعام والشراب والنكاح ، وصمدوا لذلك صموداً عجيباً حتى أزال الله تعالى عنهم تلك المحنة .

والغريب أن أبا طالب ـ حتى بعد أن انحازوا في الشعب ـ لم يكن آمناً على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مكر قريش وغدرهم، ولذلك فإنه كان اذا نام الناس أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد به مكراً أو اغتيالاً ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته فاضطجع على فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ويأتي رسول الله على فراش ذلك فينام عليه(٦) .

ولم يكن أبو طالب يعلم حينذاك أن الله عز وجل كان قد عصمه من الناس،وأنزل عليه فيما بعدآية تؤكد ذلك ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٧) ثم كانت الوقائع والأحداث التي جرت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ق/٢٣٤ .
(٢) الخَبَط : ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط والنَّفْض ، المعجم الوسيط ٢١٦/١ .
(٣) السَّمُر : ضرب من شجر الطلح ، واحدته سَمُرَه ، المعجم الوسيط ٤٤٨/١ .
(٤) السهيلي : الروض الأنف ١٢٧/٢ .
(٥) البلاذري : أنساب الأشراف ٢٣٤/٢ .
(٦) الذهبي : السيرة النبوية ص ١٤٠ ـ ١٤١ .
(٧) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

كفار قريش تؤيد هذه العصمة له .

فمن ذلك أن بعض كفار قريش تواعدوا يوماً ليأخذوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاءوا إليه فسمعوا صوتاً وصفه بعضهم بقوله : «ما ظننا أنه بقي جبل بتهامة إلا تَفَتَّت»[١] ثم غُشي عليهم فما عقلوا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله . ثم تواعدوا ليلة أخرى فلما جاء نهضوا إليه «فجاءت الصفا والمروة حتى التقت إحداهما بالأخرى فحالتا بينهم وبينه»[٢] .

ومن باب العصمة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم تلك الهيبة التي وضع الله تعالى له في قلوب أعدائه عندما يرونه ، والوجل الشديد الذي يصيبهم عندما يغضب عليهم أو على بعضهم ، أخرج أحمد والحاكم والبيهقي وأبو نعيم من طريق عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر ، فتعاقدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله ، قال : فأقبلت فاطمة رضي الله تعالى عنها تبكي حتى دخلت على أبيها صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقالت : هؤلاء الملأ مِنْ قومك في الحجر قد تعاقدوا أن لو رأوك قاموا إليك ، فليس منهم رجل إلا عرف نصيبه من دمك ، فقال : يا بنيه أسكتي ، وطلب منها وضوءاً ، فلما توضأ دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا ، هو هذا ، هذا هو ، فخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم على صدورهم وعُقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه بصراً ، ولم يقم إليه رجل منهم ، فأقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قام على رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ، ثم قال شاهت الوجوه ، فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى إلا قتل يوم بدر كافراً[٣] .

---

(١) السيوطي : الخصائص الكبرى ١/١٢٩ .
(٢) المصدر السابق ١/١٢٩ .
(٣) ابن الجوزي : الوفاء بأحوال المصطفى ١/١٨٦ ـ ١٨٧ (تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٦ هـ) ، والسيوطي : الخصائص الكبرى ١/١٤٥ .

والشواهد التي تدل على عناية الله تعالى بنبيه وعصمته له من أعدائه كثيرة[1] ، وقد نشير إلى شيء منها غير ما ذكر فيما يرد من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

---

(١) انظر مثلاً البيهقي : دلائل النبوة ٢/١٩٦ ـ ١٩٧ حيث أورد خبر عصمته ﷺ من المخزوميين ، لكن من رواية الكلبي وهو محمد بن السائب ، متروك الرواية عند أهل الحديث ، انظر عنه ابن أبي حاتم الرازي : الجرح والتعديل ٧/٢٧٠ ـ ٢٧١ .

اشتداد الأذى على الرسول ﷺ بعد موت أبي طالب:

ذكرنا أن أبا طالب في حمايته للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ووقوفه إلى جانبه وقوفاً جاداً وحازماً ـ انسياقاً وراء عصبية العشيرة والرحم ـ كان أكمة تطيش حولها سهام الأعداء، وقد فوّت على كثيرين منهم ممن كان الحقد والحسد يغلي في صدورهم فرصة النيل منه أو الفتك به خوفاً من غضبته.

وظل هذا الرجل طوال حياته دعامة من الدعائم الكبرى التي استند إليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تبليغ دعوته والاستمرار فيها على الرغم من المعارضة القوية والتهديد المستمر الذي واجهه من رجال الملأ من قريش.

ولكن أبا طالب أدركته المنية عقب خروجه من الشعب(١) في النصف من شهر شوال من السنة الثالثة قبل الهجرة أي العاشرة من حين نبيء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم(٢). ومع ما كان يعرفه أبو طالب من خلال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته النبيلة منذ أن كان صغيراً وإلى أن نزل عليه الوحي وصدع بدعوته، ومع ما كان يبذل من حمايةٍ ومؤازرة، فكل ذلك لم ينفعه ولم يدخله في ساحة الإيمان بل مات على الشرك(٣)، فقد

---

(١) قال بعضهم بعد ثمانية وعشرين يوماً من خروجهم من الشعب، انظر ابن يوسف: سبل الهدى والرشاد ٢/٥٦٣.

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ١/١٢٥.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله تعالى في السيرة النبوية ١/٤٦١ «كان استمرار أبي طالب على دين

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] عن المسيب بن حزن رضي الله تعالى عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله ﷺ : «يا عمّ قل لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله» ، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب : فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : «أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك» ، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[2]، ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3]

وروى مسلم[4] عن العباس رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : «نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح»[5].

وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى : ﴿وهم

= قومه من حكمة الله تعالى، ومما صنعه لرسوله من الحماية، إذ لو كان أبو طالب قد أسلم لما كان له عند مشركي قريش وجاهة ولا كلمة ، ولا كانوا يهابونه ويحترمونه ، ولاجترأوا عليه ، ولمدوا أيديهم وألسنتهم بالسوء إليه » .

(١) صحيح البخاري ٢٤٧/٤ ، وصحيح مسلم ٥٤/١ ، رقم الحديث ٢٤ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ١١٣ .
(٣) سورة القصص الآية ٥٦ .
(٤) صحيح مسلم ١٩٥/١ ، حديث رقم ٢٠٩ .
(٥) غمره الماء أي علاه ، والضحضاح مارق من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، واستعير هذا المعنى للنار .

يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾(1) أنها نزلت في أبي طالب كان ينهي المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ، وينأى عما جاء به(2) .

وبموت أبي طالب الذي أعقبه موت خديجة رضي الله تعالى عنها(3) ، تضاعف الأسى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بفقد هذين الحبيبين اللذين كانا دعامتين من دعائم سير الرسالة في أزماتها ، كان أبو طالب السند الخارجي الذي يدفع عنه القوم ، وكانت خديجة السند الداخلي الذي يخفف عنه الأزمات والمحن ، فتجرأ كفار قريش على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونالوا منه ما لم يكونوا يطمعون به في حياة أبي طالب ، ولذلك كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : « ما زالت قريش كاعّين(4) حتى مات أبو طالب »(5) ، وروى الطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لما مات أبو طالب تجهموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال : « يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك »(6). وروى ابن إسحاق عن عبدالله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب اعترض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ،

(1) سورة الأنعام ، الآية ٢٦ .
(2) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ٢٣٨ .
(3) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى من قريش ، أول زوجة للرسول ﷺ ، وكانت أسن منه بخمس عشرة سنة ، نشأت في مكة في بيت شرف ويسار ، وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة ، خرج الرسول في تجارة لها ثم تزوجها ، وولدت له جميع أولاده إلا إبراهيم ، كانت أول من آمن به ، ثم أصبحت وزيرة صدق له على الإسلام ، وكان يسكن إليها وتؤانسه عندما يؤذيه كفار قريش حتى يزول عنه الهم والغم فيعود لأمره نشيطاً قوياً ، توفيت بعد أبي طالب بشهر وخمسة أيام على الراجح من أقوال العلماء .
انظر ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٢٧٧ وما بعدها ، وابن سعد : الطبقات الكبرى ١/١٢٥ ، وابن كثير : السيرة النبوية ٢/١٣٢ وما بعدها .
(4) كَعَّ : جبن وانقبض ، الذهبي : السيرة النبوية ص ١٤٩ .
(5) البيهقي : دلائل النبوة ٢/٣٤٩ .
(6) ابن يوسف : سبل الهدى والرشاد ٢/٥٧٢ .

فدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول: « لا تبكي فإن الله مانع أباك » ، ويقول بين ذلك: « ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب »[١].

ولما توالت المصائب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزم بيته وأقلّ الخروج فلما رأى أبو لهب ذلك ورأى جرأة الناس على ابن أخيه جاء إليه وقال له: يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً إذ كان أبو طالب حيّاً فاصنعه لا واللات والعزى لا يوصل إليك حتى أموت ، وفي تلك الأثناء سبّ ابنُ الغيطلة[٢] رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأقبل إليه أبو لهب فنال منه ، فولّى يصيح يا معشر قريش صَبَأَ أبو عتبة ، فأقبل رجال منهم حتى وقفوا على أبي لهب ، فقال ما فارقت دين عبد المطلب ، ولكني أمنع ابن أخي أن يُضام حتى يمضي لما يريد ، فقالوا: لقد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم[٣].

ويظهر من وقوف أبي لهب إلى جانب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم - إن صحت الرواية - أنه أصبح في حالة صعبة للغاية وأنه أصابه من الهم والضيم الشيء الكثير فتحركت في أبي لهب نوازع عصبية الرحم ، أما قريش فينطوي ردهم على خبث ومكر ، حيث أن امتداحهم له ليس من أجل وصله لرحمه ، وإنما لتأكدهم من أنه ما زال على شركه وعداوته لله ولرسوله ، لأنه أحد أقطاب المعارضة الأقوياء الذين تلوّح بهم قريش أمام

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٦٦ .

(٢) الحارث بن قيس السهمي ، كان أحد المستهزئين المشهورين بالنبي ﷺ نزلت فيه آيات من القرآن - سنعرضها في حينها إن شاء الله - كان هلاكه بأن أكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب عليه الماء حتى مات في حياة النبي ﷺ .
انظر عنه البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/ ٢١٠ - ٢١١ ، من رواية الواقدي ، وهو متروك عند أهل الحديث . لكن معلوماته التاريخية غزيرة ، انظر عنه ابن أبي حاتم الرازي ٨/ ٢٠ - ٢١ .

الناس كافة ، نظراً لقرابته من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعداوته الشديدة له . ولذلك فإنه لم يمض وقت طويل حتى تخلى أبو لهب عن موقفه هذا وكشف بصراحة تامة عن عداوته الأبدية للإسلام وذلك حينما جاءه أبو جهل وعقبة بن أبي معيط وطلبا منه أن يسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عبد المطلب هل هو في الجنة أم في النار ، فلما أخبر الرسول أنه في النار نكص عنه واشتد في أذيته وآزر قريشاً عليه(١) .

وهنا ابتدأت مرحلة عصيبة في حياة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واجه فيها كثيراً من المشكلات والمصاعب والمحن والفتن حينما أصبح في الساحة وحيداً لا ناصر له ولا مؤازر إلا الله سبحانه وتعالى ، ومع هذا فقد مضى في تبليغ رسالة ربه إلى الناس كافة على ما يلقى من الخلاف والأذى الشديد الذي أفاضت كتب الحديث وكتب السير بأسانيدها الصحيحة الثابتة في الحديث عنه ، وتحمّل صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك ما تنوء الجبال بحمله ، حتى أنه وصف حالته وما واجهه في تلك المرحلة بقوله : « لقد أُخفت في الله وما يُخاف أحد ، ولقد أُوذيت في الله وما يُؤذى أحد ، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال(٢) ، فاشتد جيرانه في أذيته ومن أبرزهم وأنشطهم في ذلك أبو لهب ، والحكم بن أبي العاص بن أمية(٣) ، وعقبة بن أبي معيط ، وعدي

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١١/١ ، وابن الجوزي : الوفا بأحوال المصطفى ٢١٠/١ - ٢١١ .

(٢) سنن الترمذي ٦٤٥/٤ ، حديث رقم ٢٤٧٢ .

(٣) الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي ، عم عثمان بن عفان ، ووالد مروان ، أسلم يوم الفتح وسكن المدينة ثم نفاه الرسول ﷺ عنها إلى الطائف ثم أعيد إلى المدينة في خلافة عثمان ، ومات بها سنة ٣٢ هـ . وقد كف بصره .
انظر البلاذري : أنساب الأشراف ١٥١/١ ، وابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ٣٤٥/١ - ٣٤٦ ، (الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٨ هـ).

ابن الحمراء(٤) ، وابن الأصداء الهذلي(٢)، فكان الرجل منهم يطرح على رسول الله ﷺ رحم الشاة وهو يصلي حتى اتخذ رسول الله ﷺ حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، وكان أحدهم يطرح الأذى في برمته(٣) إذا نصبت له ، وكان ﷺ يتأذى من ذلك أذىً شديداً ، ومع ذلك لا يردُّ السيئةَ بالسيئة بل كل ما كان يفعله أنه إذا طرح الأذى أو القذر في بيته وضعه على عود ثم خرج ووقف على بابه وقال: « يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ » ثم يلقيه(٤). قال ﷺ « كنت بين شر جارين ، بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط . . »(٥) وكل جيران النبي ﷺ المؤذين له ماتوا كفاراً إلا الحكم بن أبي العاص(٦) .

ثم توالت المحن والبلايا على رسول الله ﷺ ، روى البخاري عن عروة بن الزبير قال: سألت عبدالله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر(٧) فدفعه عن رسول الله ﷺ ، فقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات

---

(١) لم أعثر له على ترجمة ، لكن ابن اسحاق أشار إلى أنه من جيران النبي ﷺ ، وأثبت ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/٩ أنه كان ممن ينال منه ويشتمه ويؤذيه .

(٢) لم أطلع فيما تحت يدي من مصادر على اسمه كاملاً ، كان أحد أعداء رسول الله ﷺ المبدين له بالعدواة ، دعا عليه الرسول فهلك . سيرد الحديث عنه فيما بعد إن شاء الله تعالى انظر عنه البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٥٠ .

(٣) أي قدره .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٦٦ .

(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/٢٠١ .

(٦) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٦٦ .

(٧) عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي ، أبو بكر الصديق ، أشهر من أن يُعَرَّف ، من كبار سادات قريش وموسريهم وعلمائهم بالأنساب خاصة ، أول من أسلم إسلام دعوة وتبليغ ، كان صاحب الرسول في الشدائد والمحن ، وبذل في سبيل نصرة الإسلام من ماله شيئاً كثيراً ، وهو أول الخلفاء الراشدين ، ومحارب المرتدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابتدأت في أيامه الفتوح ، وكانت خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر ، ووفاته في المدينة سنة ١٣ هـ . =

من ربكم[١] ، زاد أبو يعلى والطبراني : فقام رسول الله ﷺ فلما قضى صلاته مرَّ بهم وهم جلوس في ظل الكعبة فقال : يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح وأشار بيده إلى حلقه ، فقال أبو جهل : يا محمد ما كنت جهولاً ، فقال رسول الله ﷺ : أنت منهم[٢] .

وروى البزار وأبو يعلى برجال الصحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه ، فقام أبو بكر ينادي : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر المجنون[٣] .

وروى البخاري ومسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه ، فيضل في كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم[٤] فأخذه ، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه ، قال : فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض ، ـ وأنا قائم أنظر ـ لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ ، والنبي ﷺ ساجد ، ما يرفع رأسه ، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة ، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً ، وإذا سأل سأل ثلاثاً ، ثم قال : « اللهم عليك بقريش » ثلاث

= انظر عنه ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٦٩/٣ وما بعدها، وابن خياط : كتاب الطبقات ص ١٧ ، وما بعدها ، والمحب الطبري : الرياض النضرة في مناقب العشرة ، الجزء الأول ، القسم الثاني ص ٨٢ ، وما بعدها مخصص للحديث عنه (تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندي ، القاهرة ١٣٩٠ هـ) .

(١) صحيح البخاري ٢٤٠/٤ ، ٣٤/٦ - ٣٥ .

(٢) ابن يوسف : سبل الهدى والرشاد ٥٧٤/٢ .

(٣) ابن عبد البر : الدرر ص ١٧ ، وابن يوسف : سبل الهدى.. ٥٧٤/٢ .

(٤) ورد اسمه مصرحاً به في إحدى روايات مسلم ١٤١٩/٢ ، وهو عقبة بن أبي معيط .

مرات ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، ثم قال: « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط (وذكر السابع ولم أحفظه) » ، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمَّى صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب ، قليب بدر[1].

ولا شك أن هذه الأحداث المؤلمة وقعت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاة عمه أبي طالب وقبيل هجرته ، لأن كفار قريش لا يستطيعون أن ينالوا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا النيل ، ويتندرون به ويسيئون إليه وعمه على قيد الحياة ، فقد كان يحوطه ويحميه عن أقل من هذا ، ثم إنه ورد في بعض الروايات عن عبدالله بن مسعود راوي الحديث السابق ، قال : ولقد رأيتهم من العام المقبل صرعى بالطوى طوىٰ بدر[2] ، فتكون هذه الحادثة وقعت له في أول العام الذي هاجر فيه . وكان ابن كثير[3] رحمه الله تعالى يميل إلى وقوع هذه الأحداث للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب .

روى الإمام أحمد[4] رحمه الله تعالى بسنده عن ابن اسحاق أن عروة ابن الزبير سأل عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته ، قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا ، قال ، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول

---

(١) صحيح البخاري ٢٣٤/٣ ، وصحيح مسلم ١٤١٨/٢ ـ ١٩ ، رقم الحديث ١٧٩٤ .
(٢) ابن سيد الناس : عيون الأثر ١٠٣/١ .
(٣) السيرة النبوية ١٤٨/٢ ـ ١٤٩ .
(٤) مسند أحمد بن حنبل ١١٨/٢ ، (دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠٢ هـ).

الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما أن مرّ بهم غمزوه ببعض ما يقول ، قال : فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى ، ثم مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فقال : تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى أن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفأه[1] بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول انصرف يا أبا القاسم انصرف راشداً فوالله ما كنت جهولاً ، فانصرف رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم ، قال : فيقول رسول الله ﷺ : نعم أنا الذي أقول ذلك ، قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه ، قال : وقام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه دونه يقول وهو يبكي : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط[2] .

حقاً إنه لأذى شديد تحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فكما تجرأوا عليه بمد أيديهم وخنقه ، كانوا بالاساءة إليه بالقول وبالغمز وباللمز أسرع ، وكان ﷺ يتألم نفسياً من ذلك أشد الألم لأنه يتأذى منهم بالقول أعظم من تأذّيه بالفعل[3] وهذا واضح في قول عبدالله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما عندما غمزوه قال: «فعرفت ذلك في وجهه» في المرات

---

(١) يترضاه .
(٢) وانظر ابن اسحاق : السير والمغازي ص ٢٢٩ ، ويظهر أن هذه الرواية مفصلة وموضحة لرواية البخاري في الصحيح التي سبق الحديث عنها .
(٣) العامري : بهجة المحافل ١/١٢٣ .

الثلاث ، ولم يتركها لهم ﷺ في المرة الثالثة حيث جبههم بما يكرهون وهو الموت ، ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً ما رواه ابن هشام[1] قال : حدثني بعض أهل العلم أن أشد ما لقي رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه لا حر ولا عبد ، فرجع رسول الله ﷺ إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه ، وما ذكر ابن اسحاق[2] من أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج إلى بعض شعاب مكة ، وقد دخله من الغم ما شاء الله من تكذيب قومه .

وهذه صورة أخرى من صور الأذى القولي والفعلي للنبي ﷺ من كفار قريش : روي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال : أكثر ما نالت قريش من رسول الله ﷺ ، قال الراوي : فرأيت عيني عثمان ذرفتا من تذكر ذلك . قال عثمان : كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر ، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس ، عقبة بن أبي معيط وأبو جهل وأمية بن خلف[3] فمرّ رسول الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرفت ذلك في وجه النبي ﷺ ، فدنوت منه حتى كان بيني وبين أبي بكر ، فأدخل أصابعه في أصابعي حتى طفنا جميعاً . فلما حاذاهم ، قال أبو جهل : والله لا نصالحك ما بلّ بحر صوفة وأنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا . فقال رسول الله ﷺ : أنا ذلك ، ثم مضى عنهم ، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك ، حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه ، فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجمع ثوبه ، فدفعت في صدره فوقع على استه ، ودفع أبو بكر أمية بن

---

(١) السيرة النبوية ٢/٣٤ .
(٢) السير والمغازي ص ٢٧٩ .
(٣) أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، أحد جبابرة قريش المؤذين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولبعض أفراد المسلمين كبلال الحبشي ، نزلت في شأنه بعض آيات القرآن الكريم سنذكرها إن شاء الله تعالى في موقعها من هذا البحث، قتل يوم معركة بدر عندما رآه بلال بعد نهاية المعركة فاستصرخ عليه المسلمين .
انظر عنه ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٠٤ـ١٠٥ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٧ـ١٣٨ .

خلف ، ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن أبي معيط ، ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف ، ثم قال لهم : أما والله لا تنتهون حتى يحل عقابه عاجلاً . قال عثمان : فو الله ما منهم رجل إلا وقد أخذه الخوف وجعل يرتعد ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : بئس القوم أنتم لنبيكم . ثم انصرف إلى بيته وتبعناه حتى انتهى إلى باب بيته ، فوقف على السدة ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال : أبشروا ، فإن الله عز وجل مظهر دينه ومتمم كلمته وناصر نبيه ، إن هؤلاء الذين ترون مما يذبح الله بأيديكم عاجلاً ، ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، فو الله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله عز وجل بأيدينا(١) .

ويبدو للناظر في هذه الأحداث أنها مواقف تتكرر للنبي ﷺ من أشخاص معينين كانوا يحملون في نفوسهم العداوة والحقد والحسد من أمثال أبي جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهم ، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه إلى جانب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كثير من تلك المواقف يدافع عنه ويقف بينه وبين من يريد به سوءاً .

والله عز وجل فوق الجميع يصرف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شتمهم وسبهم ، أخرج البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد »(٢) ، وكان هذا ديدنهم لا يتلفظون باسم محمد استكباراً واستحقاراً(٣) .

والله عز وجل ينتصر لرسول الله ﷺ على أيدي بعض المشركين من بعضهم الآخر ويقرّ عين نبيه بذلك ، فقد ورد في بعض الروايات زيادة على قصة أبي جهل حينما أمر بطرح السلا على ظهره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد ، قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من المسجد فلقيه أبو

---

(١) ابن الجوزي : الوفا بأحوال المصطفى ١/١٨٨ ـ ١٨٩ .
(٢) صحيح البخاري ٤/١٦٢ .
(٣) انظر مثلاً ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٠٤ ، ١٩٢ .

البختري(1) ، ومع أبي البختري سوط يتخصّر به فلما رأى رسولَ الله ﷺ أنكر وجهه ، فقال : ما لك ؟ فقال النبي ﷺ : خلِّ عني ، قال : علم الله لا أخلي عنك أو تخبرني ما شأنك ، فلقد أصابك شيء ، فلما علم رسول الله ﷺ أنه غير مخلٍّ عنه أخبره ، قال : إن أبا جهل أمر فطرح علي فرث ، قال أبو البختري : هلمّ إلى المسجد ، فأتى رسول الله ﷺ وأبو البختري فدخلا المسجد ، ثم أقبل أبو البختري على أبي جهل فقال : يا أبا الحكم أنت الذي أمرت بمحمد فطرح عليه الفرث ؟ فقال : نعم ، فرفع السوط فضرب به رأسه ، فثار الرجال بعضها إلى بعض ، وصاح أبو جهل : ويحكم إنما أراد محمد أن يلقي بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه (2) .

وأخيراً فالله تبارك وتعالى يسلّي رسوله ﷺ ويطمئنه بما يكشف له من آياته الدالة على نبوته ، يوضح ذلك ما رواه ابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول الله ﷺ وهو جالس حزين ، قد خضب بالدماء ، قد ضربه بعض أهل مكة ، فقال : ما لك ؟ فقال : «فعل بي هؤلاء وفعلوا» قال: أتحب أن أريك آية ؟ قال : «نعم أرني» ، فنظر إلى شجرة من وراء الوادي ، قال : ادع تلك الشجرة ، فدعاها ، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، قال : قل لها فلترجع ، فقال

---

(1) العاص بن هشام (أو هاشم) بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، أبو البختري من زعماء قريش في الجاهلية ، كان ممن قام في نقض الصحيفة وبريء منها ، وكان يدخل الطعام على بني هاشم في الشعب ، لم يعرف عنه أيذاء للنبي ﷺ ، بل كان يكف عنه - كما في هذه الرواية - ، قتل يوم بدر كافراً ، وكان النبي ﷺ قد نهى عن قتله لكنه رفض إلا أن يشمل العفو زميله أيضاً فقتل .
انظر عنه المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢١٣ - ٢١٤ (تحقيق بروفنسال ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٧٦ م) ، والزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش وأخبارها ١/٤٥١ - ٤٥٢ (تحقيق محمود شاكر ، مكتبة دار العروبة بمصر ١٣٨١ هـ) .

(2) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٥ ، وابن يوسف :سبل الهدى ٢/٥٠٧٥،وقد تفرد بهذا الخبر الأجلح بن عبدالله عن ابن إسحاق ، ولا يبلغ درجة من يحتج بتفرده عند أهل الحديث ، انظر عنه ابن أبي حاتم الرازي : الجرح والتعديل ٢/٣٤٦ - ٣٤٧ .

لها ، فرجعت حتى عادت إلى مكانها ، فقال رسول الله ﷺ « حسبي »[1] .

ولهذا فإن رسول الله ﷺ لما دعا على قريش حينما أبطأوا عليه واستعصوا ورأى منهم إدباراً ، فقال : « اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف) » فأخذتهم سنة فحصّت كل شيء ، حتى أكلوا العظام والميتة والجلود من الجهد ، حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخاناً من الجوع ، لم يلبث النبي ﷺ أن رجع فسأل ربه عز وجل أن يكشف عنهم العذاب ، فقيل له : إن كشفنا عنهم العذاب عادوا ، ومع ذلك دعا ، فعادوا ، فانتقم الله منهم يوم بدر ، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إلى قوله ﴿ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[2] .

(١) سنن ابن ماجه ١٣٣٦/٢ حديث رقم ٤٠٢٨ ، (دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ).
(٢) سورة الدخان ، الآيات ١٠ - ١٦ ، وانظر صحيح البخاري ٢١٧/٥ ، ١٩/٦ ، ٣٢ ، ٤٠ .

محنة الرسول ﷺ في الطائف

لما تكالبت الفتن والمحن على رسول الله ﷺ في بلده الذي نبت فيه وبين قومه الذين يعرفون عنه كل صغيرة وكبيرة ـ خاصة بعد وفاة عمه أبي طالب ـ عزم صلى الله تعالى عليه وسلم على أن ينتقل إلى بلد غير بلده وقوم غير قومه يعرض عليهم دعوته ويلتمس منهم نصرته رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إلى الطائف وهي من أقرب البلاد إلى مكة[1] ، خرج إليها وحيداً[2] ، فلما انتهى إليها عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة ، عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، وأخواه مسعود وحبيب ، وكان أحدهم متزوجاً امرأة من قريش من بني جمح[3] فجلس إليهم رسول الله ﷺ وعرض عليهم نفسه وأعلمهم بما لقي من قومه ودعاهم الى الله عز وجل وإلى نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ،

---

(١) كانت الطائف منتجعاً لأهل مكة يصيّفون بها ، ويملك أثرياؤهم بها بساتين يترددون عليها .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ١٧٢/٢ ، وقد نص ابن اسحاق كما في السيرة على ذهابه وحيداً ، بينما ذكر آخرون كابن سعد في الطبقات ٢١٢/١ ، والبلاذري في أنساب الإشراف ٢٣٧/١ ، أن معه زيد بن حارثة ، والراجح ـ والله أعلم ـ أنه كان وحيداً بدليل أنه لم يرد لزيد ذكر في كثير من المواقف المهمة في هذه الرحلة ، إذ أنه لو كان مصاحباً له لأشارت إليه المصادر ، فمثلاً عندما دخل رسول الله ﷺ بستان ابني ربيعة وهما فيه ، قالا لغلامهما : اذهب إلى ذلك الرجل ، ولم يقولا (الرجلين) ، ثم لو كان زيد مع الرسول ﷺ عندما أقبل على مكة وأراد أن يدخلها بجوار ما احتاج إلى رجل غيره ليرسله في ذلك ، وأخيراً أين كان زيد عندما ذهب الرسول ﷺ مهموماً فلم يستفق إلا بقرن الثعالب ؟ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ١٧٢/٢ .

ولكن هؤلاء النفر خيّبوه ، وكان ردهم مغرقاً في الاستهزاء به ، قال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط ، وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ، وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك ، فخرج رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس منهم ، ولكنه قال لهم قبل أن يخرج : « إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني »[1] خوفاً من أن يصل الخبر قريشاً فتشمت به ، وتكون عليه أشد إباء وأكثر جرأة ولكن هؤلاء هزئوا به ، وكان مما قالوا له : كرهك أهل بلدك وقومك ولم يقبلوا منك . فجئتنا ، فنحن والله أشد لك إباء وعليك رداً ، ومنك وحشة[2] ، ثم أفشوا في قومهم ما راجعوه به ،وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، وأقعدوا له صفين من الناس ، فلما مرّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينهما كان كلما رفع رجلاً رجموا عراقيبه بالحجارة حتى أدموا قدميه صلى الله تعالى عليه وسلم[3] واختضبت نعلاه بالدماء ، وكان كلما أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض ، فيأخذون بعضديه فيقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون[4] . وظل صلى الله تعالى عليه وسلم على هذه الحال حتى وصل إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة[5] وكانا فيه يومئذ ،

---

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ٢٣٧/١ .

(٣) ابن عبد البر: الدرر ص ٣٥ .

(٤) السهيلي : الروض الأنف ١٧٧/٢ .

(٥) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، أبو الوليد ، أحد سادة قريش في الجاهلية ، له رأي وحلم ، توسط في حرب الفجار وانقضت الحرب على يده ، أدرك الإسلام فطغى ، وكان له موقف مع الرسول ﷺ ـ سنذكره في حينه إن شاء الله تعالى ـ ، قتل يوم بدر كافراً . انظر عنه ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٥٢ ، وابن حبيب البغدادي: المنمق في أخبار قريش ص ١٧٨ ـ ١٧٩ (تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٥ هـ .)، والسهيلي : الروض الأنف ٢١١/١ .

=

فدخله ، فرجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف ، فعمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ظل شجرة من أشجار العنب فجلس فيه ، وهو مكروب موجع ، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، فلما رآهما صلى الله تعالى عليه وسلم كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله ، فلما اطمأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلّى ركعتين[1] ثم توجه إلى ربه عز وجل بهذا الدعاء المؤثّر « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملّكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزل بي غضبَك أو تُحِلّ عليَّ سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك »[2] .

وهذا الدعاء يدل على مدى شدة الكرب الذى حلّ بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى قوة الأذى الذى أصابه وتحمله حتى خشي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكون ذلك بسبب غضب من ربه عز وجل عليه ، وإلا فهو مستعد لتحمل المزيد وغير مبال بما يصنع به أعداء الله في سبيل تبليغ رسالة ربه .

وأرسل له ابنا ربيعة مع غلام نصراني لهما شيئاً من العنب بعد أن تحركت له رحمهما ، وقبل أن يبدأ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالأكل

= وأما شيبة بن ربيعة فهو شقيق عتبة ، أمها هند بنت المضرب ، من زعماء قريش أيضاً أدرك الإسلام واتخذ موقفاً عدائياً من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم . أطعم في معركة بدر تسع ذبائح ، وقتل في هذه المعركة كافراً . أنظر عنه ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ١٥٢ . وابن حبيب البغدادي : المحبر ص ١٦٠ ، ١٦٢ (تحقيق د . إيلزه ليختن شتيتر ، المكتب التجاري ، بيروت) .

(١) ابن يوسف : سبل الهدى ٥٧٧/٢ .

(٢) رواه الطبراني برجال ثقات عن عبدالله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما . انظر ابن يوسف : سبل الهدى ٥٧٧/٢ .

سمى الله عز وجل فأثار هذا الكلام فضول الغلام ، فجرت محاورة بينه وبين الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عرف الغلام من خلالها صدقه ، فأكبَّ على رأسه ويديه وقدميه تقبيلاً ، فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ، ولما سألاه عن سبب ذلك قال : يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي ، فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه[١] ، وهكذا يمارس أعداء الله الصد عن سبيل الله تعالى في كل موقع وفي أي ميدان ويستغلون حالة قوتهم وسيادتهم ، وضعف الدعاة إلى الله عز وجل وقلة مناصريهم وأعوانهم .

وانصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف وهو محزون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة[٢] ، وهام على وجهه فنسي نفسه من شدة ما أصابه من الهم فلم ينتبه إلا بعد أن قطع شوطاً بعيداً . روى البخاري ومسلم[٣] عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[٤] ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب[٥] ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ،

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ١٧٣/٢ .
(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١٢/١ .
(٣) صحيح البخاري ٨٣/٤ ، وصحيح مسلم ٤٢٠/٢ - ٤٢١ ، حديث رقم ١٧٩٥ .
(٤) كذا ورد في الحديث (ابن عبد ياليل بن كلال) والذي ذكره أهل المغازي والسير أن الذي كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (عبد ياليل ابن عمرو وأخواه - كما مر - ، ولا شك أن رواية الصحيح أصح .
(٥) أي قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد .

وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملك الجبال وسلّم عليّ ، ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1] ، فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئاً .

ثم عاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم راجعاً إلى مكة ، ولا شك أن قريشاً كان قد بلغها خبر خروجه من بين ظهرانيها إلى الطائف ، وهي في هذه الحال لا تسمح له بدخولها مرة أخرى ، وورد في بعض الروايات أنهم كانوا قد أخرجوه منها[2] ، وعلى أي حال فقد اتجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى غار حراء ، ومن هناك أرسل رجلاً من خزاعة[3] إلى بعض رجال قريش يطلب منهم الجوار ، فأجاره المطعم بن عدي[4] حيث لبس سلاحه هو وبنوه وأرسل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن أقدم ، فدخل مكة وطاف بالبيت ثم انصرف إلى بيته ، فلذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم في أسارى بدر وكانوا سبعين « لو كان المطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له »[5] مكافأة لما صنع .

---

(١) تثنية أخشب وهو الجبل الخشن ، والأخشبان هنا المقصود بها جبلا قعيقعان وأبي قبيس ، وهما عن يمين المسجد الحرام ويساره . البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٠ (الطبعة الأولى ، دار مكة ١٤٠٢ هـ)

(٢) ابن سعد · الطبقات الكبرى ٢١٢/١ .

(٣) ورد اسمه مصرحاً به في بعض الروايات أنه عبدالله بن اريقط انظر ابن يوسف : سبل الهدى ٥٨٠/٢ .

(٤) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، رئيس بني نوفل في الجاهلية وقائدهم في حرب الفجار ، كان أحد الذين مزقوا صحيفة المقاطعة لبني هاشم ، أجار سعد بن عبادة حينما دخل مكة معتمراً فتعلقت به قريش ، مات قبل موقعة بدر كافراً ، وله بضع وتسعون سنة ، وقد عمر . انظر عنه ابن هشام : السيرة النبوية ١٢٣/٢ ، والزبيري : نسب قريش ص ٢٠٠ ، وابن حبيب : المنمق في أخبار قريش ص ١١٦ ، ١٧١ .

(٥) صحيح البخاري ٥٦/٤ ، ٢٠/٥

أذية الرسول ﷺ عندما كان يعرض نفسه على القبائل :

كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوالناس الى الإسلام بمكة مستعلناً عشر سنين بعد أن أمضى ثلاث سنوات في الدعوة السرية ، وكان طوال هذه السنين العشر يوافي الموسم في كل عام ، يتبع الحاج في منازلهم بمنى وعرفات وفي أسواقهم بعُكاظ[١] ومجَنَّة[٢] وذي المجاز[٣] ، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يُبلِّغ رسالة ربه عز وجل ، ويعدهم بالجنة مقابل هذه النصرة[٤] وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجد أحداً يجيبه ولا أحداً يصدقه ، وذلك بسبب دعاية قريش القوية ضده ، وخوف القبائل من سطوة

---

(١) عكاظ : من أشهر أسواق العرب في الجاهلية ، كان يوجد في الجهة الشرقية الشمالية من بلدة الحوية اليوم ، شمال شرقي الطائف على قرابة خمسة وثلاثين كيلًا في أسفل وادي شرِب ، تجتمع فيه قبائل العرب في كل سنة ينشدون الشعر ، ويتفاخرون ، يقيمون فيه أسواقهم عشرين يوماً من شهر ذي القعدة . أنظر عنه ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٤٢/٤ (دار بيروت ، بيروت ١٣٧٦ هـ) ، والبلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢١٥ .

(٢) مجَنَّة : سوق من أسواق العرب المشهورة في الجاهلية ، يقع بمرّ الظهران ، يقيمون فيه أسواقهم العشر الأخيرة من شهر ذي القعدة ياقوت : معجم البلدان ٥٨/٥ ـ ٥٩ ، والبلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٧٩ .

(٣) ذو المجاز : من أشهر أسواق العرب في الجاهلية ، ولا زال موضعه معروفاً بسفح جبل كبكب من الغرب يراه من يخرج من مكة على طريق نخلة اليمانية ، كانت تقوم فيه السوق في الأيام الثمانية الأولى من شهر ذي الحجة . أنظر عنه : ياقوت : معجم البلدان ٥٥/٥ ، والبلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النوية ص ٢٧٩ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبرى /٢١٦ .

قريش وغضبتها ، أو لشك بعضها في مصداقية دعوته ، إذ أنهم كانوا يتصورون أن لو كان في دعوته خير لسبقهم إليه أهله وعشيرته وقومه ، وكانت قريش نفسها تبث هذه الدعوى وتجد آذاناً مصغية تصدقها فيما تقول ، وبهذا كانت قريش تمارس تكذيباً مزدوجاً للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بإعراضها هي وعدم قبولها لدعوته ، وبصدها غيرها عن الإيمان به ، إما بنشر الدعايات الكاذبة عنه ، وإما بالسعي خلفه وتكذيبه مباشرة بعد أن يقوم بمهمة الدعوة في أوساط القبائل المختلفة .

وقد حرص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ارتياد المواسم والتردد عليها ، خاصة بعد قدومه من الطائف وبعد أن أصبحت قريش أشد ما تكون عليه خلافاً وفراقاً لدينه[1] ، ولهذا حرص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على السؤال عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ، والتعرف على الشخصيات البارزة فيها من أهل الأحلام والنهى رجاء أن يُوفَّق فيمن يستجيب له ويؤيه حتى يبلغ ما جاء به من عند الله عز وجل .

روى الترمذي[2] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف ، فقال : « ألا رجل يحملني إلى قومه ؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي » . وظل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في تردده على القبائل يدعوهم ، فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون : قومه أعلم به ، وكيف يصلحنا من أفسد قومه فلفظوه[3] .

وقد شاهد عدد من الرجال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مواقف متعددة وهو يدعو ويتحمل في سبيل ذلك كثيراً من الأذى والتكذيب والسخرية ، روى ابن اسحاق والإمام أحمد في مسنده[4] وغيرهما عن ربيعة

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ١٧٣/٢ .
(٢) سنن الترمذي ١٨٤/٥ ، حديث رقم ٢٩٢٥ .
(٣) ابن عبد البر : الدرر ص ٣٥ ، وابن كثير : السيرة النبوية ١٥٨/٢ .
(٤) انظر سيرة ابن هشام ١٧٣/٢ - ١٧٤ ، ومسند الامام أحمد ٤٩٢/٣ - ٤٩٣ .

بن عباد الديلي ـ وكان جاهلياً قد أسلم ـ قال : إني لغلام شاب مع أبي بمنى[1] ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد . وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبيّنَ عن الله عز وجل ما بعثني به ، والناس متقصّفون عليه ، ما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت ، قال وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن هذا الرجل إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقيش إلى ما جاءكم به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه ، وفي بعض الروايات كان يقول : يا أيها الناس إن هذا قد غوى فلا يغوينكم عن آلهة آبائكم ، وفي بعضها أنه كان يقول : صابيء كاذب[2] .

ويتكرر هذا الموقف مرات ومرات ، روى الطبراني عن طارق بن عبدالله قال : إني بسوق ذي المجاز إذ مرّ رجل بي عليه حلة من بُرد أحمر وهو يقول : يا أيها الناس قولوا : لااله إلا الله تفلحوا ، ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه وساقيه ، يقول : يا أيها الناس أنه كذاب فلا تطيعوه ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : غلام بني هاشم الذي يزعم أنه رسول الله ، وهذا عمه عبد العزى[3] .

وروى الطبراني أيضاً برجال ثقات عن مدرك بن منيب العامري رضي الله تعالى عنه قال : حججت مع أبي فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة فقلت

---

(١) ورد في بعض روايات الإمام أحمد أنه كان بسوق ذي المجاز .
(٢) وردت هذه الروايات في مسند الإمام أحمد في الصفحات المشار إليها آنفاً ، ويحتمل أن اختلاف العبارات كان بسبب اختلاف المواقف وتعددها . والرجل الذي يمشي خلفه ويكذبه عمه أبو لهب .
(٣) أنظر ابن يوسف :سبل الهدى ٢/٥٩٤ .

لأبي : ما هذه الجماعة ؟ قال : هذا الصابيء ، وإذا رسول الله ﷺ يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا[1] .

ويلاحظ هنا أن أغلب العبارات التي كانت قريش تنشرها في أوساط الحجاج كانت تجد رواجاً وقبولاً مثل الصابيء ، وغلام بني هاشم الذي يزعم بأنه رسول ، وغير ذلك ، ولا شك أن هذا كان مما يحز في نفس الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويضاعف ألم التكذيب وعدم الاستجابة .

ولم يقتصر الأذى على ذلك بل واجه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ما هو أشد وأقسىٰ ، فقد روى البخاري في تاريخه والطبراني في الكبير عن مدرك بن منيب أيضاً عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية وهو يقول : ياأيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا ، فمنهم من تفل في وجهه ، ومنهم من حثا عليه التراب ، ومنهم من سبّه ، حتى انتصف النهار ، فأقبلت جارية بعسّ من ماء فغسل وجهه ويديه ، وقال : يا بنية لا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلة ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله ﷺ ، وهي جارية وضيئة[2] .

وقد كان أبو لهب وأبو جهل لعنهما الله يتناوبان على أذية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عندما يدعو في الأسواق والمواسم[3] ، وكان يجد منهما عنتاً كبيراً ، إضافة إلى ما يلحقه من المدعوين أنفسهم ، فقد أطبقت كل القبائل على تكذيبه وردّ ما جاء به إن لم يتجاوزوا ذلك إلى سبّه وشتمه وطرده من بين ظهرانيهم وإلحاق الأذى البدني به ، فمثلاً لقي من بني

---

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ٢/١٥٧ .

عامر بن صعصعة ما لم يلق من أحد من العرب[١] ، فعندما طرده رئيسهم بيحرة بن فراس من رحالهم قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ناقته ليركبها ، فغمز الخبيث بيحرة شاكلتها ، فقمصت برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فألقته[٢] .

ولقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بني حنيفة مثل ما لقي من بني عامر[٣] ، وقال له رجل من بني محارب يوماً : والله لا يؤوب بك قوم إلى دارهم إلا آبوا بشر ما آب به أهل الموسم[٤] .

وقد ذكر ابن اسحاق أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض نفسه الكريمة على كنده وكلب وبني عامر بن صعصعة وبني حنيفة[٥] .

وزاد ابن سعد عن شيخه الواقدي : وعلى بني عبس وغسان وبني محارب وبني فزارة وبني مرة وبني سليم وبني نصر بن هوازن وبني ثعلبة بن عكابة وبني الحارث بن كعب وبني عذرة وقيس بن الخطيم فلم يستجب منهم أحد[٦] .

ويبدو أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يكتفي بالمرور على القبيلة مرة واحدة وإنما كان يكثر التردد والمحاولات والتكرار ، يدل على ذلك ما رواه جهم بن أبي جهم أن رسول الله ﷺ وقف على بني عامر يدعوهم إلى الله تعالى فقام رجل منهم فقال له : عجباً لك والله ، قد أعياك قومك ثم أعياك أحياء العرب كلها حتى تأتينا وتتردد علينا مرة بعد مرة ؟ والله

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ٢٣٧/١ .
(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ١٦٢/٢ .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ١٧٤/٢ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ٢٣٨/١ .
(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ٢٣٧/١ .
(٥) ابن هشام : السيرة النبوية ١٧٤/٢ .
(٦) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١٦/١ ـ ٢١٧ .

لأجعلنك حديثاً لأهل الموسم . .[1] .

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يؤمّ الأشراف والساده ويقصدهم بالدعوة لأنهم أحرى بالتفهم والتعقل من غيرهم ، ولأن النجاح في ميدانهم يساعد على النجاح في الميادين العامة ، ويسهل انتشار الدعوة ، لكن كثيرين منهم مع ذلك لم يكونوا أهلاً لهذا التقدير والاختيار من جانب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فمنهم من كان يتجهم له ، ومنهم من يعبس في وجهه ومنهم من يجبهه ، ومنهم من يحقره ، ومنهم من يستهزىء به ، ومنهم من يؤذيه .

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعاني أشد المعاناة من تلك المواقف ، ليس لما يصيبه في نفسه أو بدنه من أذى ومن هم وغم وحزن فحسب ، وإنما لعدم استجابة قومه وإعراضهم عن دعوته ، وخوفه عليهم من الهلاك ، وحرصه على مصلحتهم وهدايتهم ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].والقرآن الكريم ينفرد بشيء مهم في عرضه لسيرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم دون مصادر السيرة كلها ، وهو بيان حالته النفسية وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن ، ولولا القرآن الكريم لما كدنا نعرف هذا الجانب مفصلاً في حياة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فانظر كيف صور القرآن الكريم حسرته الباطنية وحرقته على قومه لعدم إيمانهم بدعوته ، وهم يتساقطون في طريق جهنم واحداً إثر آخر[3] ، قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ[4] عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا

---

(١) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٦٠٠ ، وانظر ص ٥٩٥ من الكتاب نفسه .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

(٣) فاروق حمادة : مصادر السيرة النبوية وتقويمها ص ٢٧ ـ ٢٨ (الطبعة الأولى ، دار الثقافة الدار البيضاء ١٤٠٠ هـ) .

(٤) باخع نفسك : أي قاتلها ومهلكها أو مجهدها .

ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾(٣) ، وقال تعالى : ﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾(٤) . وهذا الخلق من أخلاق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعتبر من أعظم الأخلاق وأكرمها ، وهناك آيات أخرى في القرآن الكريم يظهر أن من مقاصدها تهدئة روع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والتهوين عليه مما يلقىٰ ، وتسليته عما يجده من هم وغم بسبب عناد قومه وجحودهم وعدم اهتدائهم ، حرصاً على خيرهم ومصلحتهم في الدنيا ونجاتهم وسعادتهم في الآخرة ، مما هو متصل بالخلق الذي تضمنته الآيات السابقة ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾(٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾

(١) سورة الكهف ، الآية ٦ .
(٢) سورة الشعراء ، الآية ٣ .
(٣) سورة فاطر ، الآية ٨ .
(٤) سورة طه ، الآية ١ – ٢ .
(٥) سورة يونس ، الآية ٩٩ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية ٣٥ .

وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[1] .

والآيات التي تسلّي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتعزيـه ، وتطيّب نفسه ، وتبيّن عذره ، وتوجّهه للصبر على أذى المؤذين وتكذيب المكذبين ، وقول المفترين ، وتأمره بالهجر الجميل لهم ، الهجر الذي لا قطيعة فيه ولا شدة ، وأن يكل أمر المغرورين المكذبين الذين أطغاهم الجاه والثراء إلى الله عز وجل ، كثيـرة[2] ، منها قـوله تعـالى : ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾[3] .

وقد استمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في عرض دعوته في المواسم وظل ينتقل بها من قبيلة إلى قبيلة ومن شـريف إلى شريف حتى تداركه الله عز وجل بوفد الأنصار ـ رضي الله تعالى عنهم ـ الذين بايعوه على النصرة والإيواء والحماية ، فانفتح له بذلك باب الأمل وتحقيق النصر على الأعداء ، لكن الطريق ما تزال حتى الآن شائكة ، فهو ما زال بين ظهراني المشركين الذين صاروا يتوجسون خيفة من جراء اتصاله بأهل يثرب ، وزاد حنقهم واشتد غيظهم عليه بعد أن تأكدوا من فحوى المحادثات التي جرت بينه وبينهم ، ولذلك عقدوا اجتماعاً عاجلاً في دار الندوة[4] ، وعزموا في

---

(١) سورة الحجر ، الآيات ٩٧ ـ ٩٩ .
(٢) أنظر القاضي عياض : الشفا ص ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ودروزه : سيرة الرسول ﷺ ١/٦٠ ـ ٦١ .
(٣) سورة المزمل ، الآيات ١٠ ـ ١١ .
(٤) دار الندوة : هي الدار التي بناها قصي بن كلاب في الجانب الشمالي من البيت الحرام ، كانت مجتمع قريش للتشاور في أمورها ، وتقضى فيهـا أمور أخرى ، أدخلت في توسعة المسجد الحرام في عهد بني العباس ، راجع عنها الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ١/١٠٩ ـ ١١٠ (تحقيق رشدي الصالح ملحس، الطبعة الثانية، مطابع دار الثقافة بمكة ١٣٨٥ هـ). والبـلادي: معجم المعالم الجغرافية ص ٣١٨.

هذه المرة على أن يكون القرار حاسماً ، وأن يكون الإجماع على ذلك قائماً من مختلف الأطراف القبلية القرشية ، فقرروا ما حكاه الله تعالى عنهم في قوله : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(1) ، فأنزل الله تعالى رسوله الأمين جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخبر ما دبّروا ، وبالإذن له في الهجرة إلى المدينة . وكيف يستطيع الهجرة وقد أحكموا حوله الحصار ، وأخذوا من كل قبيلة من قريش شاباً جلداً ـ حسبما اتفقوا عليه في دار الندوة ـ لكي يضربوه ضربة رجل واحد إذا خرج من بيته ، فيتفرق دمه في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف حرب القبائل مجتمعة ، فيرضون بالدية حينئذ(2) ، وتستريح قريش من هذا العناء الذي عاشته طوال تلك السنوات العشر الماضية .

وأخذ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يعد لهذا الأمر الجليل عدته فوضع الخطط واتخذ كافة الاحتياطات التي تساعده على اجتيازه بنجاح على الرغم من ذلك الحصار المحكم الذي ضرب حوله ، ولم يَدَعْ شيئاً من أمور هذه الهجرة للمصادفة بل رسم كل الخطوات التي سيمر بها بدقة واتقان وهو بهذا يضرب أروع الأمثلة للمسلمين والدعاة إلى الله خاصة أن التوكل على الله عز وجل في الأزمات والأوقات الحرجة وفي جميع الأحوال لا يكفي بل لا بد من عمل ما في الوسع ، ثم يصاحب ذلك التوكل على الله تعالى ، فكان مما عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لإنجاح هذه الهجرة ، أن انتقى أول رجلين أسلما في تاريخ الدعوة وهما أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما ليؤديا أدواراً رُسمت لهما في حركة الهجرة ، فأبو بكر ليكون الرفيق

---

(1) سورة الأنفال : الآية ٣٠ .

(2) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٢٢١ ـ ٢٢٢ .

والمشارك في وضع الخطة ، وعلي ليقوم بمهمة مزدوجة وهي الإيهام ، وأداء الأمانات ، وكذا تكليف آل أبي بكر بتأمين الطعام ولوازم السفر المفاجيء . وخروج الرسول ﷺ في الهاجرة في وقت لم يعتد فيه الخروج والمجيء الى أبي بكر لإخباره بأمر الهجرة ، وطلبه الخلوة بأبي بكر عندما أراد أن يبوح له بسر الهجرة ، ولما تكلم بها لم يبين الوجهة ، والسرعة في التجهيز ، والتسلل من عند أبي بكر ليلاً من باب خلفي ، والتوجه جنوب مكة على طريق اليمن إيهاماً ، واللجوء إلى غار ثور ، والتوقف فيه ثلاث ليال حتى يخف الطلب ، والاتفاق مع دليل خرّيت أمين[1] . والتوصل إلى أخبار قريش عن طريق عبد الله بن أبي بكر ، والطعام في الغار يصل عن طريق راعي غنم أبي بكر عامر بن فهيره . وكانت آثار عبد الله الذي ينصرف من الغار بغلس تمحى بواسطة آثار الأغنام . والطعام الأخير وكل أمره لأسماء بنت أبي بكر . وسلوك طريق وعرة غير معروفة عندما اتجه ركب الهجرة إلى المدينة[2] . ومع كل هذه الإحتياطات والإمكانات التي وظفها الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لإنجاح الهجرة كان على صلة بربه عز وجل يدعوه ويستنصره ويتضرع إليه ، فيجيء نصر الله تعالى مباشراً مرئياً على الرغم من العقبات والمستحيلات التي تبدو للعيان ، فيخرج الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من بيته وهم محيطون به إحاطة السوار بالمعصم غير مكترث بهم ، بل الأعجب من ذلك أنه بعد أن مرّ بهم نثر على رؤوسهم التراب وهو

---

(١) هو عبدالله بن أريقط من بني الديل ، كان ماهراً بمعرفة الطرق والمسالك ، ولم يكن مسلماً في ذلك الوقت ، لكنه أسلم بعد ذلك ـ كما يقول بعض العلماء ـ وبعضهم نفى ذلك . وقد أمنه الرسول ﷺ وأبو بكر فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال . انظر النووي : السيرة النبوية ص ٢٤ (تحقيق عبد الرؤوف علي وبسام الجابي ، دار البصائر ، الطبعة الأولى ، دمشق ١٤٠٠ هـ) وابن يوسف : سبل الهدى ٣٣٧/٣ (تحقيق عبد العزيز حلمي ، القاهرة ١٣٩٥ هـ).

(٢) انظر حديث الهجرة في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها ٢٥٥/٤ وما بعدها . وانظر عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ١٣٥ ـ ١٣٦ (دار الرسالة ، بيروت ١٣٩٤ هـ).

يتلو الآيات الأولى من سورة(يسٓ) حتى قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(١) .

ثم عندما يصل كفار قريش إلى باب الغار باحثين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، يقول رفيقه أبو بكر رضي الله تعالى عنه في هذه الحال : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا ، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن إن الله معنا »(٢) ، وأبو بكر شديد الخوف على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأقدام القوم تذهب وتجيء ،ولكنها إرادة الله وقدرته ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾(٣) .

ثم تتوالى المحن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الطريق إلى المدينة ، حيث أصابه الجوع والخوف يوضح ذلك ما حدث في خيمة أم معبد(٤) ، وعندما رهقهم الطلب عن طريق سراقة بن مالك

---

(١) سورة يسٓ ، الآيات ١ - ٩ .

(٢) صحيح البخاري ٤/١٨٩ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(٤) أم معبد الخزاعية ذكر عنها أهل السير أنها امرأة جلدة برزة تحتبي بفناء بيتها تطعم وتسقي من يمر بها، ولما مر بها الرسول وصحبه سألوها شيئاً يشترونه منها، فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى - وكانت سنة جدباء - فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة، فقال ما هذه الشاة؟ قالت: خلفها الجهد عن الغنم، قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: إن رأيت حليباً فاحلبها، فمسح ﷺ ضرعها بيده وسمى الله ودعا. . فحلب وسقاها وشرب هو وأصحابه. انظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/٢٣٠ .

المدلجي[1] ، ثم استمر ركب الهجرة في مسيره حتى وصل إلى المدينة التي أصبحت داراً آمنة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولكن ليبـدأ فيها مرحلة جديدة من الكفاح والمعاناة والحروب مع أعداء الدعوة ، وقد كثروا في هذه المرحلة ، وظل في جهاده حتى أظهره الله تعالى عليهم ، وتم له فتح مكة وغلبة قريش ، وحكّمه الله تعالى فيهم ، وهم لا يشكُّون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم نظراً لمواقفهم السابقة غير المشرفة معه ، فما زاد على أن عفا وصفح ، وقـال : « ما تقـولون إني فـاعل بكـم » ؟ قـالـوا : خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : أقول كما أخي يـوسف : « لا تثـريب عليكم اليوم يغفـر الله لكم وهـو أرحم الـراحمين ، إذهبـوا فـأنتم الطلقاء »[2] .

---

(١) سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، أبو سفيان ، حاول أن يلحق بالرسول ﷺ في طريق هجرته ، ولكنه منع من ذلك ، فطلب الأمان من رسول الله فكتب له كتاباً ، فعاد يرد الناس عنه ، أسلم بعد الفتح ، ومات سنة ٢٤ هـ . أنظر حديثه مفصلاً في مسند الإمام أحمد ٤/١٧٥ ـ ١٧٦ ، وفي صحيح البخاري ٤/١٨١ ، ١٩٠ ، ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، وفي سبل الهدى لابن يوسف ٣/٣٥١ ـ ٣٥٤ .

(٢) خـرّج هذا الحديث ابن يوسف عن عدد من الأئمة كالإمام أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه عن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، والبخاري في صحيحه عن مجاهد ، وغيرهم . انظر سبل الهدى ٥/٣٦٤ . (تحقيق فهيم شلتوت و د . جودة هلال ، القاهرة ١٤٠٤ هـ).



الفصل الثاني

ما أصاب المسلمين الأولين
من محنة الأذى والفتنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1] .

لم يكن البلاء بسبب دعوة الإسلام منصباً على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في مكة وحده ، وإنما امتد ليصيب بقية المؤمنين بهذا الدين السابقين إليه ، على تفاوت واختلاف في درجات هذا البلاء من شخص لآخر ، وذلك لأن الله تعالى يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان ، كما جاء في الحديث الصحيح أن أشد الناس بلاء « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلي الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه »[2] .

ولذلك كان ما أصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه من الأذى البدني والنفسي يفوق ما أصاب غيره من أفراد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، بل يفوق ما أصاب غيره من الأنبياء والمرسلين (لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد)[3] ، وذلك على الرغم من هيبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في نفوس أعدائه ، ومنع

(١) سورة العنكبوت ، الآيات ١ ـ ٣ .
(٢) مسند الأمام أحمد ١/١٧٤ ، وسنن الترمذي ٤/٦٠١ ـ ٦٠٢ رقم الحديث ٢٣٩٨ .
(٣) سنن الترمذي ٤/٦٤٥ .

أبي طالب إياه ، ووقوفه إلى جانبه ، ولكن الوضع بالنسبة لقريش خطير ومقلق والصبر قد نفد ، فكان أن تصدَّوا له وأصابوه بما أشرنا إلى جزء منه في الفصل السابق .

وفي هذا الفصل سنشير إلى شيء مما أصاب بعض المسلمين السابقين والصفوة المختارة من صحابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين حملوا هذاالدين في العهد المكي وتحمَّلوا بسببه ما تحمَّلوا من صنوف العذاب والفتنة فمنهم من صبر ومنهم من عجز وافتتن من شدة ما أصابه من البلاء ، يصور ابن عمر رضي الله تعالى عنهما حال المسلمين في تلك الفترة بقوله : « كان الإسلام قليلاً ، فكان الرجل يفتن في دينه ، إما قتلوه ، وإما يعذبوه »[١] ، وذلك أن قريشاً لما رأوا الإسلام ينتشر في أوساط قبائلهم وبطونهم تآمروا فيما بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين أسلموا «فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم »[٢] . وكان التعذيب والفتنة يقوم بها أفراد القبيلة أنفسهم ، ولا يشترك أحد من غيرهم فيها حفاظاً على العلاقات الحسنة بين القبائل ومنعاً للترات والأحقاد التي قد تنشأ بسبب العصبية القبلية المتأصلة في النفوس .

وقد كان المسلمون الأولون جاهدين في الاستخفاء عن قريش ، حيث يمارسون عباداتهم وشعائرهم بعيدين عن أنظار الكفار في الشعاب والأماكن النائية خوفاً من أذاهم ، ولكن ذلك لم يكن مجدياً ، فقد كانوا يتتبعونهم ويرصدون لهم الرصد لكشفهم ، والعيب عليهم ، والفتك بهم ، روي عن سعد بن أبي وقاص [٣] رضي الله تعالى عنه أنه قال : خرجت أنا وسعيد بن

---

(١) صحيح البخاري ٥/١٥٧ .

(٢) ابن إسحاق : السير والمغازي ص ١٤٨ ، ١٩٠ .

(٣) سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري ، أبو إسحاق ، من السابقين الأولين في الإسلام ، أحد المبشرين بالجنة ، فارس مشهور من فرسان الإسلام ، شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفتح القادسية ومدائن كسرى ، وتولى =

وغيرهم من ضعفاء المسلمين كانت تهزأ بهم ، ويقول بعضهم لبعض : هؤلاء جلساؤه كما ترون قد منّ الله عليهم من بيننا بالهدى ودين الحق ، لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا[1] ، أو لعلهم كانوا يقولون ـ كما روى ابن جرير الطبري[2] ـ يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعاً لهؤلاء ؟ أطردهم فلعلك إن طردتهم نتبعك ، فنزلت هذه الآيات ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3] ، ونظراً لحرص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الشديد على استماع قومه منه ، وأن يغشوا مجالسه ، رجاء أن يهديهم الله عز وجل للإسلام ، فيبدو أنه وافق على طلب زعماء قريش بأن يكون لهم معه مجلس خاص لا يشاركهم فيه هؤلاء المستضعفون ، كما ورد ذلك مصرحاً به في بعض الروايات[4] ، وكما يظهر من سياق الآية في النهي عن الطرد والتحذير من عاقبته . ولكن بعد نزول الآية كانت المفاصلة التامة مع المشركين ، وليقولوا أو يفعلوا ما شاءوا . ولذلك كان غضبهم وحنقهم على المسلمين يزداد يوماً بعد يوم ، وخاصة بعدما لاحظوا فشل أساليبهم في مواجهة دعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وازدياد عدد المسلمين ، وإسلام رجال من غير قريش ، ومن هنا كانوا يوجهون

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٣٥ ، والبلاذري : أنساب الأشراف : ١/٦٥٦ .
(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ٥/١٢٧ .
(٣) سورة الأنعام : الآيات ٥٢ ـ ٥٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/١٢٥ ـ ١٢ .

سهام أحقادهم على أولئك المستضعفين من المسلمين ، يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر[١] ، ويحاولون فتنتهم بكل ما لديهم من أساليب حتى إنهم يلبسونهم أدراع الحديد[٢] ، ويعذبون طائفة منهم بالنار والسياط[٣] ،فمنهم من يُفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يَصْلُب لهم ويعصمه الله تعالى منهم[٤] ، هذا فضلاً عما كانوا ينعتونهم به من الألفاظ النابية والصفات المرذولة كالمجانين والصبّأ والسفهاء[٥] .

روى ابن اسحاق[٦] أن سعيد بن جبير قال لابن عباس : أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ فقال : نعم ، والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضُر الذي به ، حتى إنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة ، وحتى يقولوا : أللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، وحتى أن الجُعْل ليمر بهم فيقولون : أهذا الجعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداء منهم ، لما يبلغون من جهده ، فإذا أفاق رجع إلى التوحيد[٧] . ولذلك كان أولئك المفتونون يصيبهم الهلع والخوف الشديد خشية من غضب الله تعالى ، حتى سألوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن حالهم ، فلما علم باطمئنان قلوبهم بالإيمان أزال عنهم الوحشة والخوف ، وأنزل الله عز وجل في محكم كتابه ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٦٧/٢ .
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ١٥٨/١ ، والسهيلي : الروض الأنف ٧٧/٢ .
(٣) البيهقي : دلائل النبوة ٩١/٢ .
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ٦٧/٢ .
(٥) انظر ابن اسحاق : السير والمغازي ص ٢١٤ ، ٢٣٣ ، وابن هشام : السيرة النبوية ٩٨/٢ ، ١٢٠ ، وابن يوسف : سبل الهدى ٥٧٤/٢ .
(٦) السير والمغازي ص ١٩٢-١٩٣ .
(٧) وانظر ابن هشام ٦٩/٢ ، والبلاذري: أنساب الأشراف ١٩٧/١ .

إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١) .

ثم قال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢)، تضمنت هذه الآية الإشارة إلى صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم ، فوافقوهم على الفتنة ، ثم إنهم أمكنهم الخلاص بالهجرة فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله تعالى وغفرانه ، وانتظموا في سلك المؤمنين وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا وتحملوا المشاق ، فأخبر الله عز وجل أنه بعد هذا غفور لهم رحيم بهم يوم معادهم(٣) .

ونظراً للضغط المتواصل على المسلمين في مكة من قبل قريش والتضييق المتزايد الذي استحكمت حلقاته ، رأى الرسول ﷺ أن يوجه أصحابه إلى بلد آخر يأمنون فيه على أنفسهم ويهربون بدينهم من مشركي قريش الذين لم يألوا جهداً في صب البلاء والفتنة عليهم ، فوجههم إلى الحبشة ، وقال لهم :« إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه»(٤)، والشواهد تدل على عظم المحنة على المسلمين في تلك الأيام ؛ فخُروج عدد من الأشراف ممن لهم قبائل تحميهم أمثال عثمان بن عفان(٥) رضي الله تعالى عنه ومعه زوجته

(١) سورة النحل ، الآية ١٠٦ .
(٢) سورة النحل ، الآية ١٠٠ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٨٩ .
(٤) ابن أسحاق : السير والمغازي ص ٢١٣ .
(٥) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي ، أبو عبدالله ، ثالث الخلفاء الراشدين ، ذو النورين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، من كبار السابقين الذين اعتز بهم الإسلام، كان غنياً وشريفاً في الجاهلية والإسلام ، أنفق مالاً كثيراً في سبيل الله تعالى ، وله أعمال جليلة ، نقم عليه بعض أعداء الإسلام فأثاروا ضعفاء المسلمين عليه وقتلوه في يوم عيد الأضحى وهو يقرأ القرآن الكريم بعد حصار دام اربعين يوماً في سنة ٣٥ هـ. انظر عنه ، =

رقيـة[١] بنت رسـول الله صلى الله تعـالى عليـه وسلم ، وجعفـر بن أبي طالب[٢] ، ابن عم الرسول ، وأبو سلمة بن عبد الأسد[٣] وغيرهم ، وتتابعُ الخروج إلى هناك حيث نيَّف عددهم على ثمانين ما بين رجل وامرأة[٤] ، واستخفاءُ المسلمين الذين لم يتمكنوا من الهجرة بإسلامهم[٥] ، كل هذا دليل على أن الوضع في مكة لم يعد محتملاً ، ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد في حـديث جعفر بن أبي طـالب رضي الله تعالى عنـه إلى النجـاشي حينمـا

= ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٥٣ وما بعدها ، والذهبي : تاريخ الإسلام ٣/١٧٧ وما بعدها (تحقيق حسام الدين القدسي ، مطبعة القدس القاهرة ١٩٧٩م) ، وابن حجر : الإصابة ٢/٤٦٢ والتي بعدها .

(١) رقية بنت محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، أمها خديجة بنت خويلد ، ولدت في الجاهلية ، وتزوجت عتبة بن أبي لهب ، ولما ظهر الإسلام فارقها تلبية لرغبة والديه ، ثم تزوجها عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهاجرت معه إلى الحبشة مرتين ، ثم هاجرا إلى المدينة ، وماتت بها بُعيد معركة بدر سنة ٢ هـ .
انظر عنها ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨/٣٦ والتي بعدها ، والدولابي : الذرية الطاهرة النبوية ص ٥٢ وما بعدها (تحقيق سعد الحسن ، الطبعة الأولى ، الدار السلفية ، الكويت ١٤٠٧ هـ) .

(٢) جعفر بن إبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، من السابقين الأولين في الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ولم يزل بها إلى أن هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة ، فقدم عليه جعفر ، وبقية من كان بالحبشة من المسلمين ، وهو بخيبر ، بعد أن فتحها ، ففرح به ﷺ ، وهو من شجعان بني هاشم ، استشهد في معركة مؤتة سنة ٨ هـ . بعد أن قطعت يداه فعوضه الله عنهما جناحين في الجنة ، ولذا سمي (جعفر الطيار) . انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/٣٤ وما بعدها . وأبا نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء ١/١١٤ وما بعدها (الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٩٤ هـ) .

(٣) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبدالله المخزومي القرشي ، أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة ، وابن عمته ، أحد السابقين الأولين ، هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد بدراً ، ومات بعدها بشهر ثم خلف على زوجته من بعده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٣٩ وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ١/١٥٠ وما بعدها .

(٤) انظر أسماء الذين هاجروا إلى الحبشة وأحوالهم مفصلة عند ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٧٠ وما بعدها ، وعند البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٩٨ وما بعدها .

(٥) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٧٤ .

استدعاهم للمثول بين يديه وسألهم عن سبب لجوئهم إلى بلاده ، حيث قال جعفر :(فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان . . . فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا)[١] .

ولما عاد بعض مهاجرة الحبشة إلى مكة لم يستطيعوا أن يدخلوها إلا بجوار من أحد المشركين ، وبعضهم عاد ولم يتمكن من دخولها[٢] . والذين دخلوا خرجوا مرة ثانية لأن قومهم إشتدوا عليهم وسَطَتْ بهم عشائرهم ولقوا منهم عنتاً شديداً، فأذن لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية ، فكانت خرجتهم الثانية هذه أعظم مشقة ، ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى ، وذلك لأنه غاضهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره للمسلمين[٣] . ويحتمل أن الآية التالية تتحدث عن هؤلاء المهاجرين إلى الحبشة ، قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٤] فهم صبروا على أذى قومهم ، وتركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله تعالى خيراً منها في الدنيا ، حيث مكّن لهم في البلاد وحكّمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء وحكاماً ، وثوابهم في الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا[٥] .

وسورة النحل نزلت في أواسط العهد المكي فقريب جداً أن هذه الآية تتحدث بشأن هذه الهجرة التي حدثت في ذلك الوقت[٦] .

---

(١) مسند الإمام أحمد ١/٢٠٢ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ٢ /١١٨ ، وابن سعد : الطبقات الكبرى ١/٢٠٦ .
(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/٢٠٧ .
(٤) سورة النحل . الآيات ٤١ ـ ٤٢ .
(٥) تفسير ابن كثير ٢/٥٧١ .
(٦) دروزة : سيرة الرسول ﷺ ١/ ٢٧٠ .

وقد يتساءل بعض الناس باستغراب كيف أن قريشاً حتى بعد أن خرج المسلمون من بين ظهرانيهم إلى الحبشة لم ترض بذلك ، بل أرسلت رسولين إلى النجاشي ملك الحبشة ، وبعثت معهما الألطاف والهدايا إليه لكي تستميله إلى صفها وتجعله يطرد المسلمين اللاجئين إلى بلده ، وقد رفض النجاشي أن يطردهم إلا بعد أن يسمع كلامهم ، ولما سمعه طرد رسولي قريش ، وأعاد ما قدما من هدايا ، وأكرم المسلمين[1] . لكن المتأمل في هذا التصرف المتعنت من قريش في ملاحقتهم للمسلمين حتى بعد أن أخلوا لهم الدار يلاحظ أن الكفر لا يستريح مع ظهور الإسلام وعلو شأنه وإطمئنان أهله ، وإنما يهدف أعداء الإسلام إلى التضييق على المسلمين حتى يتركوا عبادة الله وحده ، ويشاركوهم في ضلالهم . وما كان للكفر أن يرضى عن ظهور الإسلام بله استعلائه أو حتى يهادنه ويقبل التعايش معه ، وإذا بدا ذلك يوماً فإنما لاستغلال مصلحة أو دفع مضرة أو استكمال قوة .

وكذلك يستنتج من الروايات التي تحدثت عن محاولات قريش ممثلة في مندوبها عمرو بن العاص[2] تغيير قلب النجاشي على المسلمين حينما حاول أن يستجيش حميته الدينية ويستثيره بقوله :«أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً ، فاسألهم عما يقولون فيه»[3]. وكان يريد من ذلك أن يستأصل النجاشيُّ خضراءهم ـ أي يبيد المسلمين ـ يستنتج من هذا

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٨٦ ـ ٨٨ .

(٢) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، أبو عبدالله ، أحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والميكدة فيهم ، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام ، ثم أسلم في هدنة الحديبية ، واستعمله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض الجيوش ، وكان أحد أمراء الجيوش المتجهة لفتح الشام في عهد عمر بن الخطاب ، وولاه فلسطين ، ثم وجهه لفتح مصر ، فتم ذلك على يديه ، وكان مع معاوية بن أبي سفيان في الفتنة بينه وبين علي بن أبي طالب . كانت وفاته بمصر سنة ٤٣ هـ . انظر عنه طبقات ابن سعد ٤/٢٥٤ ، وما بعدها ، والكندي : ولاة مصر ص ٢٩ وما بعدها (تحقيق د . حسين نصار ، دار صادر ، بيروت) ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٣/٥٤ وما بعدها .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١/٢٠٣ .

أن الكفار والمشركين لا يحملون في قلوبهم مودة أو رحمة للمسلمين ولا شفقة عليهم ، وإنما السعادة كل السعادة بالنسبة لهم أن يروهم يتقلبون في العذاب والشقاء والحرمان ، وأن يصيبهم القتل . وأحداث هذا العصر في أكثر بقاع الأرض تؤيد هذا بكل وضوح ، لأن الكفر على اختلاف مسمياته ، وباختلاف بلدانه ، وتغير أزمانه ، هو هو ملة واحدة يقف في صف معاد لله ولرسوله وللمؤمنين .

وفي أثناء غياب معظم المسلمين المهاجرين إلى الحبشة التفتت قريش إلى من ظلَّ تحت يديها ممن لم يتمكن من الهجرة ، فكتبوا صحيفة المقاطعة الظالمة على بني هاشم وبني المطلب وعلقوها في الكعبة ، ثم عَدَوا على من أسلم فأوثقوهم وآذوهم ، واشتد البلاء عليهم ، وعظمت الفتنة فيهم ، وزلزلوا زلزالاً شديداً[1] ، وظل حالهم كذلك حتى فرّج الله تعالى عنهم بتمزيق الصحيفة ، ثم بالهجرة إلى المدينة فيما بعد .

وسنعرض فيما يلي نماذج من مواقف الأذى والفتنة التي تعرض لها بعض أفراد المسلمين على أيدي كفار قريش ، لنرى إلى أي حد واجه المسلمون تلك التحديات وتحملوا في سبيل الله تعالى ما تحملوا من البلايا والمحن في محاولات قريش المستميتة للابقاء على أوضاعها الجاهلية وقيام دولتها الوثنية . وهي مواقف تضيء الطريق أمام الأجيال المؤمنة الساعية لنشر دين الله تعالى في الأرض ، لتقف بشموخ وإباء أمام كل التحديات التي تعترض الطريق وتعرقل المسيرة ، متخذة من هذه المواقف وغيرها ، ومما تعرض له صفوة البشر صلوات الله وسلامه عليه نبراساً وحافزاً على التحمل والصبر والاستهانة بكل المعوقات .

---

(١) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٦٤ .

أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه :

من أكثر الرجال الذين تعرضوا لمحنة الأذى والفتنة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، نظراً لصحبته الخاصة له ، والتصاقه به في المواطن التي كان يتعرض فيها للأذى من قومه ، فينبري الصديق مدافعاً عنه وفادياً إياه بنفسه ، فيصيبه ما يصيبه من أذى القوم وسفههم ، هذا مع أن الصديق يعتبر من كبار رجال قريش المعروفين بالفضل والإحسان يعرفون ذلك عنه ويعرفه غيرهم ، قال ابن الدُّغُنَّة[1] لمّا عارضه وهو يريد الهجرة « إن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُج ولا يُخْرَج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق »[2] ولكنّ قريشاً لا تهمهم مثل هذه الصفات ما دام أن الأمر وصل إلى حد تسفيه العقول وسبّ الآلهة وتكفير من مضى من الآباء ، فقد آذوا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه وهو أعلى من أبي بكر منزلة ، وأكمل صفات ، ولم يشفع له تاريخه المشرق ، ولا حياته الطاهرة

---

(١) اختلف في اسمه فروي عن الزهري أن اسمه الحارث بن يزيد ، وحكى السهيلي أن اسمه مالك ، وهو سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون من خزيمة بن مدركة ، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش ، ويضرب بهم المثل في قوة الرمي . ويقال ابن الدغنة نسبة إلى أمه أو أم أبيه أو دابته ، وسيرد خبر إجارته لأبي بكر مفصلاً بعد قيل .
انظر عنه السهيلي : الروض الأنف ١٢٧/٢ ، وابن حجر : فتح الباري ٢٣٣/٧ ، (تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، دار المعرفة ، بيروت) .

(٢) صحيح البخاري ٢٥٤/٤ .

بينهم . ولهذا فتحدثنا المصادر أنه لما أسلم أبو بكر وطلحه بن عبيد الله[١] التيميين أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية[٢] فشدهما في حبل بمكة وأوثقهما رباطاً ، ولم يمنعهما بنو تيم ، فلذلك سمي أبو بكر وطلحة(القرينين)[٣] . وقد أُثِرَ أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغه ذلك قال : « اللهم اكفنا شر ابن العدوية »[٤] .

وقد كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يتحرق أسى عندما يرى المسلمين المستضعفين تصبُّ عليهم قريش أليم العذاب وتُنكّل بهم أشد النكال ليردُّوهم عن دينهم ، ولهذا فإنه سارع إلى استخلاص أولئك المعذبين من أيدي جلاديهم فاشتراهم وأعتقهم لله عز وجل ، وكان أبوه يلومه على اعتاقة أولئك المستضعفين ويقول له : « أي بني لو أنك إذا أعتقت أعتقت رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون معك ، فقال له : يا أبه إنما أريد ما أريد(أي لله عز وجل) »[٥] .

وكان حريصاً على إظهار الإسلام أمام قريش منذ وقت مبكر ويحض

---

(١) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ، أبو محمد ، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ،يقال له طلحة الجود وطلحة الفياض وطلحة الخير ، لقب بذلك في مناسبات مختلفة ، شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأبلى يوم أحد خاصة بلاء حسناً ، قُتل يوم الجمل ، ودُفن بالبصرة سنة ٣٦ هـ . انظر عنه ، ابن سعد ؛ الطبقات الكبرى ٣/٢١٤ وما بعدها ، وابن قتيبة : المعارف ص ٢٢٨ وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ١/٢٣ وما بعدها .

(٢) نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، يقال له : ابن العدوية نسبة إلى أمه وهي من عدي خزاعة ، وقد كان شديداً على المسلمين ، ويدعى أسد قريش ، قتل يوم بدر كافراً ، انظر عنه : المصعب الزبيري : نسب قريش ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢١٥ ، والذهبي : السيرة النبوية ص ٧٩ .

(٤) البيهقي : دلائل النبوة ٢/١٦٧ ، وابن كثير : السيرة النبوية ١/٤٣٨ .

(٥) ابن إسحاق : السير والمغازي ص ١٩٢ .

الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك حتى يعرفوا الإسلام ويخالطوا المسلمين حتى وإن كان عدد المسلمين قليلاً في ذلك الحين ، روت عائشة رضي الله تعالى عنها أنه لمّا اجتمع أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً أَلَحَّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر أنا قليل » . فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس ، فكان أوَّلَ خطيب دعا إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً ، ووُطيء أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً ، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويُحرِّفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر ، حتى ما يُعرف وجهه من أنفه . وجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبي بكر ، وحَمَلَتْ بنو تيم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ، وَلاَ يَشُكُّون في موته ، ثم رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد ، وقالوا : والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب ، فتكلم آخر النهار ، فقال : ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه ، وقالوا لأمه أم الخير : انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقية إياه . فلما خلت به ألحت عليه ، وجعل يقول : ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فقالت : والله ما لي علم بصاحبك . فقال : اذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه . فخرجت حتى جاءت أم جميل . فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله . فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك . قالت : نعم ، فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً ، فدنت أم جميل

وأعلنت بالصياح ، وقالت : والله إن قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر . إنني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال فما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قالت هذه أمك تسمع ، قال : فلا شيء عليك منها ، قالت : سالم صالح . قال : أين هو ؟ قالت : في دار الأرقم . قال : فإن لله عليّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكن الناس ، خرجتا به يتكيء عليهما ، حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ ، قال : فأكب عليه رسول الله ﷺ فقبّله ، وأكب عليه المسلمون ، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقة شديدة ، فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله ، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله ، وأدع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال : فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت[1] .

نتوقف قليلاً عند هذه الرواية وقفات نستخلص منها بعض العبر ونبدي بعض الملاحظات :

فأولاً : يلاحظ مدى حرص أبي بكر رضي الله تعالى عنه على إعلان الإسلام وإظهاره أمام الكفار ـ كما أسلفنا ـ حتى وإن أدى ذلك إلى بعض المتاعب . ثم نرى أبا بكر يقوم خطيبًا يتحدث عن الإسلام ويدعو الناس إليه ، وهذه جرأة منه رضي الله تعالى عنه لا يمكن أن يقوم بها إلا من ملأ الإيمان قلبه وملك عليه أحاسيسه ووجدانه ، لأن هيبة قريش ما زالت تملأ النفوس ، ولم يتعود المسلمون بعدُ على الدعوة المباشرة لهم ولا على المواجهة معهم بهذه الصورة ، وتَحَمُّل ما ينتج عن ذلك من أذى ، ولهذا كانت الضربة القاسية موجهة في هذه المرة لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ١/ ٤٣٩ ـ ٤٤١ . وابن يوسف : سبل الهدى ٢/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩ .

وتركز الرواية على مدى عمق وأثر الإصابة التي لحقته ، حيث ذكرت أن بني تيم ـ رهط أبي بكر ـ كانوا لا يشكون في موته ، ولذلك رجعوا إلى المسجد وهددوا بقتل عتبة بن ربيعة إن مات أبو بكر ، ويوضح هذا موقف أم جميل عندما شاهدته صريعاً دَنِفاً فلم تتمالك نفسها أن أعلنت بالصياح ، وعذلت من فعل به ذلك ، ويؤكده موقف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عندما رآه ورقَّ له رقة شديدة وقبَّله ، وموقف بقية المسلمين كذلك .

ثم يلاحظ مدى الحب الذى يكنه أبو بكر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، حيث أنه وهو في تلك الحال الحرجة يسأل عنه ويُلحُّ إلحاحاً عجيباً في السؤال ، ثم يحلف أن لا يأكل ولا يشرب حتى يراه . كيف يتم ذلك وهو لا يستطيع النهوض بل المشي ؟! لكنه الحب الحقيقي ، والعزائم التي تقهر المستحيل ، وكل مصاب في سبيل الله تعالى ومن أجل رسوله ﷺ فهو جلل[١] .

ويلاحظ أن العصبية القبلية كان لها في ذلك الحين دور في توجيه الأحداث والتعامل بين الأفراد حتى مع اختلاف العقيدة ، وقد استفاد منها الرسول ﷺ وبعض المسلمين .

وكذلك يلفت الانتباه فقه أم جميل الحركي في عدم مبادرتها إلى الإجابة حرصاً على سلامة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين .

وأخيراً رغبة أبي بكر الملحة في إدخال أمه إلى حظيرة الإسلام ، وطلبه من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الدعاء لها ، لِمَا رأى من برّها به ، وقد كان رضي الله تعالى عنه حريصاً على هداية الناس الآخرين إلى الإسلام ، فكيف بأقرب الناس إليه ! .

وقد كان بنو تيم مجيرين لأبي بكر منذ أن دخل في الإسلام، ولذلك كان

(١) أي هين ويسير .

في منعة منهم ، ورأينا موقفهم من قريش ومن عتبة بن ربيعة خاصة في الرواية السابقة ، لكنهم لم يلبثوا أن رفعوا الجوار عنه فكثر عليه الأذى من قومه ، ورغبوا في إخراجه من مكة وضيقوا عليه ، حتى عزم على الهجرة إلى الحبشة ليلحق بإخوانه المسلمين هناك ، ويستريح من أذى قريش ، ويأمن على نفسه وعلى دينه ، وبينما هو يسعى في هجرته نحو الحبشة متجهاً إليها حيث وصل إلى بِرْك الغِمَاد[1] لقيه ابن الدُّغُنَّة ، فقال له : أين تريد يا أبا بكر . فقال أبو بكر : آذاني قومي وأخرجوني من بلادي ، فأود أن أؤمَّ بلداً أكون فيه ، أستريح من أذاهم وآمن منهم[2] ، فأنكر ذلك ابن الدُّغنَّة وقال له : ارجع فأنا لك جار ، واعبد ربك في بلدك ، فرجع ، وارتحل معه ابن الدُّغنَّة ، واستنكر أمام ملأ قريش إخراجه وأعلن أنه جار له ،فقبلوا وأمضوا جواره ، إلا أنهم طلبوا منه أن يأمر أبا بكر أن يعبد ربه في بيته ، فلبث أبو بكر على ذلك يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره . ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، وكان يصلي فيه ، ويقرأ القرآن ، فينقذفُ عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدُّغنَّة ، فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا مقرين لأبي بكر الإستعلان ، فجاء ابن الدُّغنَّة إلى أبي بكر فقال له ذلك ، فقال أبو

---

(١) موضع قديم معلوم بين حَلِي والقنفذة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر ، ويعرف اليوم باسم (البِرْك) ، وهو مرفأ على الساحل جنوب مكة يبعد عنها حوالي ٦٠٠ كيلاً . انظر البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٤٢ .

(٢) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ٢٣٥ .

بكر : فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عزّ وجل[١] .

روى ابن اسحاق أن أبا بكر حين خرج من جوار ابن الدُّغنَّة لقيه سفيه من سفهاء قريش ، وهو عامد إلى الكعبة ، فحثا على رأسه تراباً ، فمرَّ بأبي بكر أحدُ زعماء قريش ، فقال له : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت فعلت هذا بنفسك ، وهو يقول : أيْ رب ما أحلمك ! أيْ رب ماأحلمك ! أيْ رب ما أحلمك![٢] .

وقد مرت معنا في أثناء حديثنا في الفصل السابق بعض المواقف التي وقفها أبو بكر مع رسول الله صلى الله تعالى وسلم عندما كانوا في ثورة غضبهم عليه بعد وفاة عمه أبي طالب ، ولعل من أبرز مواقفه ، عندما وضع عقبة بن أبي معيط ثوبه في عنق رسول الله ﷺ وخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ ، وقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم[٣] .

وكانت له مواقف أخرى مشابهة لهذا الموقف ويكرر فيها هذه الجملة ، يدافع فيها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويفديه بنفسه[٤] ، ويتحمل منهم الأذى البدني والنفسي ، حتى إنهم لما ضربوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرة وغشي عليه ، نفحهم أبو بكر عنه وقام فيهم قائلاً عبارته المشهورة : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! قالوا : هذا ابن أبي قحافة المجنون[٥] . وفي إحدى تلك المرات لما قام دون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باكياً ومحامياً عنه ، غضبوا عليه ونتفوا

---

(١) صحيح البخاري ٤/٢٥٤ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/١٢٢ .
(٣) صحيح البخاري ٤/٢٤٠ .
(٤) راجع الصفحات ٣٩ ـ ٤٤ من هذا البحث.
(٥) ابن عبد البر : الدرر ص ١٧ .

شعره وآلموه ، حتى إن ابنته أم كلثوم قالت : رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه بما جبذوه بلحيته، وكان رجلاً كثير الشعر[1] .

ولهذا فكثير من العلماء يفضلون أبا بكر على مؤمن آل فرعون الذي جاءت الآية الكريمة على لسانه ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[2] لأن ذلك اقتصر حيث انتصر على اللسان، أما أبو بكر فاتبع اللسان يداً ، ونصر بالقول والفعل محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم[3] . روى البزار وأبو نعيم في الفضائل عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال : أيها الناس أخبروني بأشجع الناس . قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ قال : أبو بكر ، لقد رأيت رسول الله ﷺ وأَخَذَتْه قريشٌ ، هذا يَجَأه ، وهذا يُتَلْتِلُه[4] ، وهم يقولون : أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحدً ، قال : والله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر ، يضرب هذا ، ويجالد هذا ، ويتلتل هذا ، ويقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال : ألا تجيبونني ؟ فوالله لساعةٌ من أبي بكر خير من مثلي مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه[5] . رحمك الله تعالى يا أبا بكر ما أشجعك في الحق ، وما أجراك على الباطل وأهله ! .

ثم كان موقف أبي بكر الأخير في العهد المكي من هجرة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وتضحياته التي قدمها ، وتَحَمُّله الشدائد الصلاب ، ومعاناته الوجل والخوف وتوقع الموت في كل لحظة من لحظات

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٣٤ .
(٢) سورة غافر ، الآية ٢٨ .
(٣) انظر الدرر ص ١٦ ، حاشية ١ .
(٤) يجأه : أي يضربه ، ويتلتله : أي يذله ويخيسه .
(٥) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٥٧٥ .

تلك الهجرة لا على نفسه وإنما على رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه أن يقبض عليه المشركون أو يطالوه بأذى ، ويكفي أن نعرف أنه الرجل الوحيد الذي وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم مقترنة بحزنه على الرسول ﷺ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] .

وأنه كان في طريق الهجرة يمشي أحياناً خلف الرسول ﷺ وأحياناً يمشي أمامه ، فيسأله الرسول عن ذلك فيقول : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، وأذكر الرصد فأمشي أمامك ، وكان يكثر من الإلتفات[2] حينما رهقهم سراقة بن مالك المدلجي خوفاً على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويبكي قائلاً : هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله ، فقال له الرسول : ما يبكيك ، فقال : أما والله ما على نفسي أبكي ولكني أبكي عليك[3] .

هذا فضلاً عن قيامه بنفسه على حاجات الرسول وسعيه إلى راحته طوال طريق الهجرة[4] . فرضي الله تعالى عنه وأرضاه .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٤٠ .

(٢) صحيح البخاري ٤/٢٥٧ .

(٣) المروزي : مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ، (تحقيق شعيب الأرناؤوط ، الطبعة الثالثة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٣٩٩ هـ .).

(٤) أنظر تفصيل ذلك في صحيح البخاري ٤/١٨٠ ـ ١٨١ ، وعند المروزي : مسند أبي بكر ص ١٠٦ وما بعدها.

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه[١] :

كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قبل أن يسلم ممن يؤذي الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم[٢] والمسلمين[٣] ، ثم هداه الله تعالى للإسلام مبكراً[٤] . فاعتز المسلمون ونشطوا بإسلامه ، ورغب أن يناله ما ينال المسلمين من الامتحان والتحدي القرشي ، فذهب إلى خاله أبي جهل

---

(١) عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ، أبو حفص الفاروق ، كان في الجاهلية من أشراف قريش وشجعانهم ، وله السفارة فيهم ، أسلم في شهر ذي الحجة من السنة السادسة من البعثة، قال ابن مسعود : ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر ، وقال : ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ابن الخطاب ، وكان إسلامه فتحاً وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة ، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وهو ثاني الخلفاء الراشدين ، وفي أيامه اكتمل فتح بلاد فارس وبلاد الشام ومصر ، ومآثره كثيرة جداً ، كانت وفاته بسبب طعنة من أبي لؤلؤة المجوسي سنة ثلاث وعشرين هجرية . أفرد بعض المؤلفين كتباً خاصة للحديث عنه ، منهم : ابن الجوزي ، ومحمد رشيد رضا ، وعباس محمود العقاد ، وعلي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، ومحمد حسين هيكل وغيرهم . وانظر عنه : ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/٢٦٥ وما بعدها ، والمحب الطبري : الرياض النظرة ، الجزء الثاني مفرد للحديث عنه خاصة .

(٢) يؤكد ذلك قول الرسول ﷺ له حينما سمعه يمشي خلفه ليلاً بعد أن انصرف من المسجد مصلياً : (يا عمر ما تدعني ليلاً ولا نهاراً) ، انظر الذهبي : السيرة النبوية ص ١٠٣ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٩٥ ، وصحيح البخاري ٢/٢٤٢ ، وفيه قال سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ والله لقد رأيتني وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلم عمر .

(٤) انظر قصة إسلامه مفصلة عند ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٩٥ وما بعدها ، والذهبي : السيرة النبوية ص ١٠٢ وما بعدها .

ابن هشام ـ وهو من أشد الناس عداوة للإسلام والمسلمين ـ قال عمر : فقرعت عليه الباب فقال : من هذا ؟ قلت ابن الخطاب وقد صبأت ، قال : لا تفعل ، ثم دخل وأجاف الباب دوني ، فقلت : ما هذا بشيء ، فذهبت إلى رجل من عظماء قريش فناديته ، فخرج إليّ ، فقلت مثل مقالي لخالي ، وقال لي مثل ما قال خالي ، فدخل وأجاف الباب دوني ، فقلت ما هذا بشيء ، إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب ، فقال لي رجل : أتحب أن يُعلم بإسلامك ؟ قلت : نعم ، قال : فإذا جلس الناس في الحجر فأت فلاناً ـ لرجل لم يكن يكتم السّر ـ (١) فقل له فيما بينك وبينه : إني قد صبأت ، فإنه قلما يكتم السر ، ففعل عمر ذلك ، فقام الرجل يجر رداءه ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ ، وعمر يقول خلفه : كذب ، ولكني قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، قال : وطَلَحَ(٢) عمر فقعد ، وقاموا على رأسه ، وهو يقول : افعلو ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو تركتموها لنا (٣) ، قال : فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش فلما وقف عليهم قال : ما شأنكم ؟ فقالوا : صبأ عمر ، فقام على الحِجرْ فأشار بكُمِّه : ألا اني قد أجرت ابن أختي ، فتكشفوا عنه ، قال عمر : فكنت لا أشأ أن أرى رجلاً من المسلمين يُضْرَب ويَضْرِب إلا رأيته ، فقلت ما هذا بشيء حتى يصيبني ما يصيب المسلمين ، فأتيت خالي ، فقلت : جوارك رَدٌّ عليك ، فما زلت أَضْرِبُ وأُضْرَب حتى أعز الله الإسلام(٤) .

وروى البخاري رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمر عن أبيه ، قال :

(١) هو جميل بن معمر الجمحي .
(٢) أي أعيا وتعب .
(٣) يعني مكة .
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٩٧ـ٩٨ ، والذهبي : السيرة النبوية ص ١٠٧ .

بينما هو في الدار خائفاً ، إذ جاءه العاص بن وائل السهمي[١] ، أبو عمرو عليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير ، وهو من بني سهم ، وهم حلفاؤنا في الجاهلية ، فقال له ما بالـك ؟ قال : زعم قـومك أنهم سيقتلونني أن أسلمت ، قال : لا سبيل إليك ، بعد أن قالها أَمِنْتُ ، فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي ، فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذي قد صبأ ، قال : لا سبيل إليه ، فكرَّ الناس[٢] .

فعمر رضي الله تعالى عنه على الرغم من شدته وقسوته ومهابته ناله ما ناله من أذى قريش ، وهددوه بالقتل ، وقد رد الجوار ليكون كعامة المسلمين الذين يتعرضون للفتنة ، وظل كذلك حتى هاجر إلى المدينة رضي الله تعالى عنه .

(١) العاص أو (العاصي) بن وائل بن هشام السهمي القرشي، أبو عمرو، من أشراف قريش، وأحد الحكام في الجاهلية، كان على بني سهم في حرب الفجار، وهو أحد المستهزئين برسول الله ﷺ - وسيأتي خبره مفصلاً إن شاء الله تعالى - مات بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بأشهر، وهو ابن خمس وثمانين سنة.
انظر عنه ، المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، وابن حبيب البغدادي : المحبر ص ١٣٣ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٧٠ والمنمق في أخبار قريش ص ٥٢ ، ٣٨٦ وما بعدها . والبلاذي : أنساب الأشراف ١/١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) صحيح البخاري ٤/٢٤٢ .

أسمعتهم ما يكرهون[1] .

وبهذا كان عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . ولا غرو أن هذا العمل الذي قام به عبدالله يعتبر تحدياً عملياً لقريش التي ما كانت لتتحمل مثل هذا الموقف ، ويلاحظ جرأة عبد الله عليهم بعد هذه التجربة على الرغم مما أصابه من أذى .

وأما الموقف الثاني فهو موقف أبي ذر الغفاري[2] رضي الله تعالى عنه عندما هداه الله تعالى إلى الإسلام ، قال : والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، - قال أبو ذر : فضُربتُ لأموت[3] - وأتى العباس[4] فأكب عليه ، قال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام ، فأنقذه منهم ، ثم عاد في الغد لمثلها ، فضربوه ، وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه[5] .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٤٧/٢ .

(٢) جندب بن جنادة الغفاري ، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، من كبار الصحابة وكان رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل ، قوّالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، على جِدّة فيه - كما يقول الذهبي - توفي سنة ٣٢ هـ . في الربذة من قرى المدينة . انظر عنه تاريخ الطبري ٢٨٣/٤ وما بعدها (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة)، وابن عبد البر : الاستيعاب ٢١٣/١ وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٤٦/٢ وما بعدها .

(٣) الذهبي : السيرة النبوية ص ١٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ٥٤/٢ .

(٤) العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو الفضل ، عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، جواد، سديد الرأي، أسلم قبل فتح مكة ، وكان يكتب إلى الرسول بأخبار المشركين ، وشهد معه معركة حنين فكان ممن ثبت حين الهزيمة ، عمي في آخر عمره ، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٣٢ هـ.

انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٥/٤ وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٧٨/٢ وما بعدها ، وابن كثير : البداية والنهاية ١٦١/٧ والتي بعدها .

(٥) صحيح البخاري ٢٤٢/٤ ، وصحيح مسلم ١٩٢٤/٢ .

أسمعتهم ما يكرهون[1] .

وبهذا كان عبد الله بن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . ولا غرو أن هذا العمل الذي قام به عبدالله يعتبر تحدياً عملياً لقريش التي ما كانت لتتحمل مثل هذا الموقف ، ويلاحظ جرأة عبد الله عليهم بعد هذه التجربة على الرغم مما أصابه من أذى .

وأما الموقف الثاني فهو موقف أبي ذر الغفاري[2] رضي الله تعالى عنه عندما هداه الله تعالى إلى الإسلام ، قال : والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، ـ قال أبو ذر : فضُربتُ لأموت[3] ـ وأتى العباس[4] فأكب عليه ، قال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم إلى الشام ، فأنقذه منهم ، ثم عاد في الغد لمثلها ، فضربوه ، وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه[5] .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٤٧ .

(٢) جندب بن جنادة الغفاري ، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، من كبار الصحابة وكان رأساً في الزهد والصدق والعلم والعمل ، قوّالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، على حِدّة فيه ـ كما يقول الذهبي ـ توفي سنة ٣٢ هـ . في الربذة من قرى المدينة .
انظر عنه تاريخ الطبري ٤/٢٨٣ وما بعدها (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة)، وابن عبد البر : الاستيعاب ١/٢١٣ وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٤٦ وما بعدها .

(٣) الذهبي : السيرة النبوية ص ١٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢/٥٤ .

(٤) العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أبو الفضل ، عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، جواد، سديد الرأي، أسلم قبل فتح مكة ، وكان يكتب إلى الرسول بأخبار المشركين ، وشهد معه معركة حنين فكان ممن ثبت حين الهزيمة ، عمي في آخر عمره ، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٣٢ هـ .
انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/٥ وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٧٨ وما بعدها ، وابن كثير : البداية والنهاية ٧/١٦١ والتي بعدها .

(٥) صحيح البخاري ٤/٢٤٢ ، وصحيح مسلم ٢/١٩٢٤ .

وكان رضي الله تعالى عنه قد ضربوه قبل ذلك حينما سأل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : مال عليّ أهل الوادي[1] بكل مَدَرَة وعظم حتى خررت مغشيّاً عليّ ، قال : فارتفعتُ حين ارتفعتُ كأني نُصُبٌ أحمر[2] قال : فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء ، وشربت من مائها[3] .

كان هذا موقف قريش من أبي ذر مع أنه لم يمكث بمكة بعد إسلامه إلا قليلاً حيث أمره الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالرجوع إلى قومه[4] .

---

(١) يعني أهل مكة .
(٢) يعني من كثرة الدماء التي سالت مني بضربهم إياي ، والنُّصُب : الصنم أو الحجر الذي يذبح عنده في الجاهلية فيتحمر بالدم .
(٣) صحيح مسلم ٢/١٩٠ .
(٤) صحيح البخاري ٤/٢٤١ .

بلال بن رباح :

كان بلال بن رباح رضي الله تعالى عنه من مولّدي السراة ، أو من مولدي بني جمح[1] ، فنشأ فيهم ، ولمّا ظهر الإسلام كان من السابقين الأولين المستجيبين لدعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، حيث كان سابع سبعة معه ، وفي الوقت نفسه بادر إلى إظهار إسلامه أمام مواليه وأمام قريش[2] ، ولذلك ناله من التعذيب والأذى شيئاً كثيراً ، وهذه صور منه :

قال ابن اسحاق وغيره : كان أمية بن خلف الجمحي ـ مولاه ـ يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد ، أنا كافر باللات والعزى[3] وكان أمية يضع في رقبته حبلاً ، ويأمر الصبيان فيجرونه فيشتدون به بين أخشبي مكة ـ يعني جبليها ، وهو يقول : أحد أحد[4] ، وقد ظل الصبيان يلعبون به ، ويطوفون به في شعاب مكة ، حتى أثّر الحبل في عنقه ، ثم ملّوه فتركوه[5] . ويؤكد هذا ما رواه البلاذري عن حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه أنه قال : حججت أو قال اعتمرت فرأيت

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٨٥/٧ ، والبلادي : أنساب الأشراف ١٨٤/١ .

(٢) ابن عبد البر : الدرر ص ١٥ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ٦٧/٢ .

(٤) البلادي : أنساب الأشراف ١٨٤/١ .

(٥) ابن عبد البر : الدرر ص ١٦ .

بلالاً في حبل طويل تمده الصبيان ، وهو يقول : أحد أحد أنا أكفر باللات والعزى وهبل وساف ونائلة وبوانه[1] ، فأضجعه أمية في الرمضاء[2] .

وروى البلاذري أيضاً بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال : لما أسلم بلال أخذه أهله ، فقمطوه[3] وألقوا عليه من البطحاء ، وجعلوا يقولون : ربك اللات والعزى ، فيقول أحد أحد[4] .

وروى عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه قال : مررت ببلال وهو يعذب في الرمضاء لو أن بضعة لحم وضعت لنضجت، وهو يقول : أنا

---

(١) هذه أسماء أصنام للعرب في الجاهلية . فاللات : صخرة مربعة أقيم عليها بناء في الطائف ، اعتبرتها ثقيف من أعظم المعبودات ، وعظمتها قريش وجميع العرب ، لما أسلمت ثقيف بعث الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إليها المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها .
والعزى من أعظم الأصنام عند قريش يزورونها ، ويهدون لها ، ويذبحون عندها ، وهي بواد من نخلة الشامية يقال له (حُراض) بين مكة والعراق ، هدمها خالد بن الوليد،وقطع الأشجار التي عندها وكسر الوثن .
وهبل : من أعظم الآلهة الوثنية في مكة ، داخل الكعبة ، مصنوعة من عقيق أحمر على صورة إنسان ، كانوا يطوفون حوله ، ويستقسمون بالأزلام عنده ، ويقدمون له الهدايا .
أساف ونائلة : يروى أنهما كانا رجلاً وامرأة من جرهم قد تحابا ، ثم قصدا مكة للحج ، فدخلا الكعبة ، فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ، ففجرا بها ، فمسخا حجرين ، فأخرجا ووضعا موضعهما ليعتبر بهما الناس ، فعبدا بمرور الزمن ، عبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت من العرب .
أما بوانة فلم أجد لها تعريفاً فيما اطلعت عليه من مصادر .
انظر في تعريف الأصنام السابقة كتاب الأصنام للكلبي ص ١٩ ، ١٦ ، ١٨، ٢٧ ،٢٩ . (تحقيق أحمد زكي ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٣٢ هـ) . وتوفيق برو : تاريخ العرب القديم (الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٤ هـ).

(٢) أنساب الأشراف ١/١٨٥ .

(٣) أي شدوه وربطوه .

(٤) أنساب الأشراف ١/١٨٦ .

كافر باللات والعزى ، وأمية مغتاظ عليه ، فيزيده عذاباً فيقبل عليه ، فيذهب خَلْقُه[١] فيغشىٰ عليه ، ثم يفيق[٢] .

وروى أن بلالاً قال: أعطشوني يوماً وليلة، ، ثم أخرجوني وعذّبوني في الرمضاء في يوم حار[٣].

وكان بلال رضي الله تعالى عنه كلما اشتد عليه العذاب غاظهم بقوله : أحد أحد، فيقولون له : قل كما نقول ، فيقول : إن لساني لا ينطق به ولا يحسنه[٤] .

ومن شدة غيظهم عليه كانوا يلبسونه في الحر الشديد درع الحديد[٥] . حتى يحمى عليه فيكويه ويزيد في عذابه .

وقد روى أن أبا جهل لم يكن يكتفي بتعذيب أمية بن خلف لبلال ، ولذلك ساهم بنفسه في تعذيبه كما ذكر ابن عبد البر أنه أخذه فبطحه على وجهه ، وسلقه في الشمس ، وعمد إلى رحى فوضعها عليه ، فجعل بلال يقول : أحد أحد[٦] .

ما أصبر بلالاً وما أصلبه رضي الله تعالى عنه ! فقد كان صادق الإسلام ، طاهر القلب ، ولذلك صَلُبَ ولم تلن قناته أمام التحديات وأمام صنوف العذاب ، وكان صبره وثباته مما يغيظهم ويزيد حنقهم ، خاصة أنه الرجل الوحيد من ضعفاء المسلمين الذي ثبت على الإسلام فلم يوات الكفار فيما يريدون مردداً كلمة التوحيد بتحد صارخ ، وهانت عليه نفسه في الله عز وجل ، وهان على قومه .

---

(١) وفي بعض الروايات (فَيَدْغَت في حلقه) يعني يرطّبه بالماء .
(٢) البلادي : أنساب الأشراف ١/١٨٥ .
(٣) المصدر السابق ١/١٨٦ .
(٤) المصدر السابق ١/١٨٥ ـ ١٨٦ .
(٥) ابن حزم : جوامع السيرة ص ٤٤ (مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ١٩٨٢ م).
(٦) ابن عبد البر : الاستيعاب ١/١٤٤ .

وقد كانت نجاته مما هو فيه على يد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، إذ أنه كان يسكن في حي بني جمح ، فمر على بلال وهو يُعذَّب في يوم من الأيام ، فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ حتى متى تعذبه ؟ قال : أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى ، قال أبو بكر : أفعل ، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى ، على دينك أعطيكه به . قال : قد قبلت ، قال : هو لك . فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك . وأخذ بلالاً فأعتقه[1] ، ورُوي من وجه آخر أن أبا بكر اشترى بلالاً بخمس أوقي ، وقيل بسبع .

وأيا كان فقد تخلص بلال رضي الله تعالى عنه من العذاب والنكال الذي صُبّ عليه لكي يرتد عن دينه ، وفي الوقت نفسه تخلص من أسر العبودية ، فعاش مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بقية حياته ملازماً له ، ومات راضياً عنه مبشراً إياه بالجنة ، فقد روى مسلم في صحيحه قول الرسول ﷺ لبلال : « . . فإني سمعت خشف نعليك بين يدي في الجنة »[2] .

وأكرمه الله عز وجل في الدنيا بأن قرت عينه بقتل غريمه أمية بن خلف الذي كان يوالي عليه بالعذاب والمكروه ، وذلك يوم بدر حين استصرخ عليه الأنصار وساهم في قتله ، فقال أبو بكر :

هنيئاً زادك الرحمن خيراً ... فقد أدركت ثأرك يا بلال

ومما قال عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه يذكر بلالاً وأصحابه الذين أعتقهم أبو بكر رضي الله عنه وما كانوا فيه من البلاء[3] :

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه ... عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل
عشيةَ همّا في بلال وصحبه ... ولم يحذرا مايحذر المرء ذو العقل

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٦٧-٦٨ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٨٤ .
(٢) صحيح مسلم ٢/١٩١٠ ، رقم الحديث ٢٤٥٨ .
(٣) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٩١ ، وابن يوسف : سبل الهدى ٢/٤٨٤ .

بتــوحيده رب الأنــام وقــولــه شهــدت بـأن الله ربي على مهــل
فــإن تقتـلوني تـقتـلوني ولـم أكن لأشـرك بالـرحمن من خيفـة القتـل
فيــا ربَّ إبـراهيم والعبــدِ يــونس ومـوسىٰ وعيسىٰ نجّني ثم لا تمـل
لمن ظـل يهوى العـزّ من آل غالب على غيـر حق كـان منـه ولا عـدل

وقبل أن نختم الحديث عن بلال رضي الله تعالى عنه يحسن التنبيه إلى رواية أوردها بعض أهل السير مفادها أن ورقة بن نوفل كان يمر على بلال وهو يعذب ويقول أحد أحد ، فيُقْبِل ورقة على من يفعل به ذلك من بني جمح وعلى أمية فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً[1] . ولا شك أن هذا وَهْمٌ ، لأن ورقة بن نوفل لم يكن حياً آنذاك ، فقد كانت وفاته في الأيام الأولى لنزول الوحي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها« . . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي »[2] ، وذلك بعد عرض خديجة رضي الله تعالى عنها الرسول ﷺ ، ليُحَدِّثه بما جاءه من التنزيل مما لم يكن يعهده وأثار الخوف في نفسه ، وفي ذلك الوقت لم يكن بلال قد أسلم بعد .

---

(١) أي لأتخذن قبره منسكاً ومسترحماً . الروض الأنف للسهيلي ٢/٧٨ ـ ٧٩ . والرواية وردت عند ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٩٠ ، وتابعه عليها ابن هشام ٢/٦٧ ، وأوردها العامري في بهجة المحافل ١/٩٣ .
(٢) صحيح البخاري ١/٤ .

خبَّاب بن الأرتّ :

كان خباب قيناً بمكة ، وهداه الله تعالى إلى الإسلام مبكراً مع جماعة من أصحاب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذلك قبل دخول الرسول دار الأرقم بن أبي الأرقم[1] ، ويروى أنه كان سادس ستة أسلموا مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم[2] ، وكان أحد المستضعفين الذين عُذِّبوا بمكة لكي يرجعوا عن دينهم[3] ، فإذا استعصى عليهم ولم يجبهم إلى ما يريدون زادوا عليه في العذاب فجعلوا يلصقون ظهره بالأرض على الرَّضَف[4] حتى ذهب ماء مَتْنه[5] .

وكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يألف خباباً ويتردد عليه بعد أن أسلم ، فلما علمت مولاته بذلك ، وهي أم أنمار الخزاعيه ، أخذت حديدة قد أحمتها ، فوضعتها على رأسه ، فشكا خباب ذلك إلى رسول الله

---

(١) الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي ، أبو عبدالله ، صحابي من السابقين الأولين ، كانت داره بمكة عند الصفا تسمى (دار الإسلام) ، كان الرسول ﷺ يستخفي فيها ، ويُعلّم المسلمين الإسلام ، وقد أسلم فيها عمر بن الخطاب ، شهد الأرقم المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وتوفي بالمدينة سنة ٥٣ أو ٥٥ هـ ، وله ثلاث وثمانون سنة . انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٣٤٢ ، وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/٤٧٩ ، وما بعدها .

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٧٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/١٦٥ .

(٤) الرَّضَف هو الحجارة المحماة .

(٥) البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٧٦ .

صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال : اللهم انصر خباباً ، فاشتكت مولاته رأسها ، فكانت تعوي مع الكلاب ، فقيل لها اكتوي ، فجاءت إلى خباب ليكويها ، فكان يأخذ الحديدة قد أحماها فيكوي بها رأسها[1] .

الله أكبر ما أقرب فرج الله تعالى ونصره من عباده المؤمنين الصابرين ! فانظر كيف جاءت إليه بنفسها تطلب منه أن يكويها مع رأسها ، تماماً كما كانت تفعل به من قبل ، ولا ريب أن في هذا عبرة كبيرة لمن أراد أن يعتبر .

وقد روى البلاذري باسناده أن الذي كان يُعذِّب خباباً عتبةُ بن أبي وقاص[2]، ثم قال : والثابت أن الذي كان يعذبه الأسود بن عبد يغوث[3].

وفي نظري أنه لا تنافر بين تلك الأقوال ، لأنه من غير المستبعد أن يكون هذا عذبه مرة ، وذاك مرة أخرى ، وتلك مرة ثالثة ، وأن الذي كان يقوم على تعذيبه باستمرار أحد من ذكر . لأن تعذيب المستضعفين من المسلمين كان حقّاً مشاعاً لكل من كانت عنده هذه النزعة العدوانية ، وإن كان أولياء المُسْتضعَف هم الذين يتولون ذلك غالباً .

---

(١) المصدر السابق ١/١٧٩ .

(٢) عتبة بن أهيب بن عبد مناف الزهري ، أصاب دماً بمكة في قريش فانتقل إلى المدينة واتخذ بها منزلاً ومالاً وذلك قبل معركة بعاث ، هو الذي كسر رباعية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وشجه في جبهته يوم أُحد ـ كما ذكر ابن سعد ـ، مات في الإسلام ، وأوصى لأخيه سعد بن أبي وقاص .
انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢/٤٥ ، ٣/١٣٩ ، والزبيري : نسب قريش ص ٢٦٣ .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٧٩ .
والأسود بن عبد يغوث بن وهب الزهري كان أحد المستهزئين ، مات ميتة سيئة ـ سنشير إليها عند الحديث المفصل عنه إن شاء الله تعالى ـ في عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .
انظر عنه ، الزبيري : نسب قريش ص ٢٦٢ ، وابن حبيب البغدادي : المنمّق في أخبار قريش ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ ، والبلاذري: أنساب الأشراف ١/١٣١ ـ ١٣٢ .

ولما زاد ضغط المشركين على ضعفاء المسلمين ولقوا منهم شدة ، جاء خباب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقال له : ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ، فقعد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محمَرٌ وجهه ، فقال : « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه ، فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه ، فيُشقّ باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه ، والله ليُتمّن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »[1] .

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن المؤمن مبتلى في أي عصر من العصور وأن عليه أن يتذرع بالصبر ، ولا يستعجل النتائج ، حتى يكتب الله له النصر والفرج .

وقد تحدث خباب رضي الله تعالى عنه عن بعض ما كانوا يَلْقون من المشركين من عنت وسوء معاملة ومساومة على الحقوق حتى يعودوا إلى الكفر ، قال : كنت قيناً وكان لي على العاص بن وائل دَيْنٌ ، فأتيته اقتضيه ، فقال لي : لن أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : لن أكفر حتى تموت وتبعث ، قال : وإني لمبعوث بعد الموت ؟ فإن كان ذلك فلسوف أقضيك إذا رجعت إلى مالي وولدي ، فنزلت فيه : ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ إلى قوله «فرداً»[2] .

وذُكر أن عمر بن الخطاب في خلافته سأل خبّاباً عما لقي في ذات الله تعالى ، فكشف خباب ظهره فإذا هو قد برص ، فقال عمر ما رأيت كاليوم ،

---

(١) صحيح البخاري ٤/١٧٩ ـ ١٨٠ ، ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .
(٢) سورة مريم ، الآيات ٧٧ ـ ٨٠ ، أنظر مسند أحمد بن حنبل ٥/١١١ . وأنساب البلاذري ١/١٧٣

فقال خباب : يا أمير المؤمنين لقد أوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها ، ثم وضع رَجُلٌ رِجْلَه على صدري فما اتقيت الأرض أو قال برد الأرض إلا بظهري ، وما أطفأ تلك النار إلا شحمي[1] .

وقد روى الإمام أحمد والترمذي عن خباب أنه قال : « ما أعلمُ أحداً من أصحاب النبي ﷺ لقي من البلاء مثل ما لقيت »[2] .

وهذا القول ليس على إطلاقه إذ أنه كان في الصحابة رضوان الله تعالى عنهم من هو أشد محنة من خباب ، لكن شدة معاناته جعلته يتصور هذا التصور ، ولا شك أن قوله هذا يدل على عظم ما ابتلي به من محنة وبلاء وفتنة في الدين ، فرضي الله تعالى عنه وجزاه خير الجزاء .

آل ياسر :

أصل ياسر بن عامر بن مالك أحد بني عَنْس من قبائل اليمن ، قدم مكة وأخواه الحارث ومالك يطلبون أخاً لهم ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن ، وأقام ياسر بمكة ، وحالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي[3] ، فزوّجه أبو حذيفة أمة له يقال لها سُميَّة بنت خياط ، فولدت له عمّاراً ، فأعتقه أبو حذيفة الذي لم يلبث أن مات .

وجاء الإسلام فأسلم ياسر وسُميَّة وعمار وأخوه عبدالله بن ياسر ، فغضب عليهم مواليهم بنو مخزوم غضباً شديداً وصبّوا عليهم العذاب صَبّاً ،

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١٦٥/٣ ، والبلادي : أنساب الأشراف ١٧٨/١ ، والسهيلي : الروض الأنف ٩٨/٢ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١١٠/٥ ، وسنن الترمذي ٣٠١/٣ ، حديث رقم ٩٧٠ .

(٣) هو مهشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ، أحد رجال قريش المعروفين بالرأي ، يقال أنه هو الذي أشار على قريش لما اختلفوا في الحجر الأسود أيهم يضعه ، أن يضعه أول داخل من باب المسجد ، ويبدو من سياق بعض الروايات أنه توفي قبل البعثة . انظر عنه البلاذري : أنساب الأشراف ١٠٠/١ ، ١٥٧ .

كانوا يُخرجونهم إذا حميت الظهيرة فيُعذبونهم برمضاء مكة[١] ، ويقلبونهم ظهراً لبطن[٢] ، فيمرُّ عليهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يعذبون ، فيقول : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة »[٣] ، وجاء أبو جهل إلى سُميَّة فقال لها : ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله ، فأغلظت له القول ، فطعنها بالحربة في قبلها فقتلها ، فهي أول شهيدة في الإسلام رضي الله تعالى عنها[٤] .

قال عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أقبلْت ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخذ بيدي ونحن نتماشىٰ بالبطحاء ، إذ أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون ، فقال ياسر : أهكذا يكون الدهر كله ؟ فقال له النبي ﷺ : اصبر ، اللهم اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت[٥] ، ثم لم يلبث ياسر أن مات تحت العذاب ، ورمي ابنه عبد الله فسقط[٦] .

وذكر العامري أن أختاً لعمار كانت معهم في العذاب وأنها ماتت بعد أبيها[٧] ، ولعل ذكر أخته هنا وهم أو تصحيف عن أخيه ، إذ أنه لم يرد لها ذكر على الإطلاق فيما اطلعت عليه من كتب السير والمصادر القديمة ، وإنما المنصوص عليه أخوه عبدالله سابق الذكر .

أما عمار رضي الله تعالى عنه فقد عاش بعد أهله زمناً وكابد من صنوف العذاب ألواناً ، فهو يُصنَّف في طائفة المستضعفين الذين لا عشائر لهم بمكة

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٦٨ .
(٢) العامري : بهجة المحافل ١/٩٢ .
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . ورجال الإسناد ثقات ، انظر البيهقي : دلائل النبوة ٢/٢٨٢ .
(٤) البلادي : أنساب الأشراف ١/١٥٨ ، والسهيلي : الروض الأنف ٢/٤٨ .
(٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٤٩ .
(٦) البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٦٠ .
(٧) بهجة المحافل ١/٩٢ .

تحميهم ، وليست لهم منعة ولا قوة ، فكانت قريش تعذبهم في الرمضاء بمكة أنصاف النهار ليرجعوا عن دينهم[١] ، وكان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول[٢] ولمّا أخذه المشركون ليعذبوه لم يتركوه حتى سبَّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذكر آلهتهم بخير ، فلما أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ما وراءك ؟ قال : شرٌّ ، والله ما تركني المشركون حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير ، قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئناً بالايمان ، قال : فإن عادوا فعد ، فنزلت الآية ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾[٣] .

وكان سبب موافقة عمار لهم أنهم دَلَّوه في أحد آبار مكة وغطّوه بالماء ، وقالوا له لا تزال هكذا حتى تشتم محمداً ، وحتى تقول اللات والعزى خير من دين محمد ، ويؤكد ذلك ما رواه ابن سعد أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقي عماراً وهو يبكي فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول أخذك الكفار فغطوك في الماء ، فقلت كذا وكذا ، فإن عادوا فقل ذاك لهم[٤] .

وروي أن المشركين كانوا يعذبون عمار بن ياسر بالنار ، فكان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يَمرّ به ويُمرّ يده على رأسه فيقول : يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على ابراهيم[٥] .

قال محمد بن كعب القرظي أخبرني من رأى عمار بن ياسر متجرداً في سراويل ، قال : فنظرت إلى ظهره، فإذا فيه حَبَطٌ كثير[٦] ، فقلت له : ما

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٤٨/٣ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١٥٨/١ .
(٣) سورة النحل ، الآية ١٠٦ . انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٤٩/٣ .
(٤) الطبقات الكبرى ٢٤٩/٣ .
(٥) المصدر السابق ٢٤٨/٣ .
(٦) الحَبَطُ هو الانتفاخ .

هذا ؟ قال : هذا مما كانت قريش تعذبني به في رمضاء مكة[1] .

وهكذا نرى محاولات قريش الجادة لفتنة عمار رضي الله تعالى عنه وصرفه عن دينه كسائر فعلهم مع غيره من ضعفاء المسلمين ، وتفننوا في تعذيبه فمرة يغرق بالماء واخرى يحرق بالنار ، حتى انه اضطر من شدة ما واجه منهم من عذاب وبلاء إلى موافقتهم والقول بما يرضيهم ، وجرى ذلك على لسانه ، لكن قلبه ممتليء بالايمان وأشد من الحديد في دينه ، وقد روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه لما دخل عليه عمار قال: مرحباً بالطيب المطيب سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مليء عمار إيماناً إلى مُشاشه»[2] .

فرضي الله تعالى عنه وجزاه خير الجزاء .

صُهيب بن سِنان :

كان صهيب أحد السابقين الأولين إلى الاسلام ، فقد أسلم هو وعمار ابن ياسر في وقت واحد حينما دخلا على الرسول ﷺ في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وكان أحد الذين بادروا بإعلان اسلامهم أمام قريش[3] .

روى والبلاذري باسناده عن الحسن أنه قال : رسول الله ﷺ : « صهيب سابق الروم »[4] . وكان صهيب من المؤمنين المستضعفين الذين كانوا يعذبون في الله تعالى ، والذين ليس لهم وزن أو اعتبار في نظر قريش ، فقد مرّ هوومجموعةمن أصحابه على مجلس من مجالس قريش ، فقالوا : انظروا إلى الأرذال ، هؤلاء جلساء محمد ، وجعلوا يهزؤون بهم ، فقال

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ١٥٨/١ .

(٢) المُشاش : رؤوس العظام ، وهذا للمبالغة في وصف قوة إيمان عمار أي لو كان الإيمان جسماً لملأ ما ذكر وخالط لحمه ودمه . أنظر سنن ابن ماجه ٥٢/١ ، حديث رقم ١٤٧ ، وانظر العامري : بهجة المحافل ٩٤/١ .

(٣) فنسنك : مفتاح كنوز السنة ص ٢٨٣ ، (ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور).

(٤) أنساب الأشراف ١٨١/١ .

صهيب : نحن جلساء نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم آمنّا وكفرتم ، وصدقناه وكذبتموه ، ولا خسيسة مع الاسلام ولا عز مع الشرك ، فعذبوه وضربوه ، وجعلوا يقولون : أنتم الذين منّ الله عليكم من بيننا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(١) .

وظل صهيب في مكة صابراً على أذى قريش وفتنتها ، ولم يهاجر إلى الحبشة مع من هاجر إليها من المسلمين ، ثم هاجر إلى المدينة وكان من آخر الناس هجرة إليها(٢) ، وكان له قصة طريفة مع قريش ، إذ أنه لمّا خرج من مكة يريد الهجرة اتّبعه نفر من قريش فقالوا له : أتيتنا صعلوكاً حقيراً ، فكَثُر مالُك عندنا وبلغت ما بلغت ، ثم تريد أن تنطلق بنفسك ومالك ، والله لا يكون ذلك . قال : فنزل عن راحلته ونثل ما في كنانته ، ثم قال : يا معشر قريش لقد علمتم أني أرماكم رجلاً ، والله لا تصلون إليّ حتى أرمي بكل سهم معي في كنانتي ، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، فافعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي وخليتم سبيلي ؟ قالوا : نعم ، ففعل ، فلما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ربح البيع أبا يحيى ، ربح البيع ، قال : ونزلت : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٣) .

عامر بن فهيرة(٤) :

كان عامر قديم الاسلام قبل أن يدخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٥٣ ، وانظر المصدر السابق ١/١٨١ ، ١٨٤ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٢٢٨ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٠٧ ، وانظر المصدر السابق ٣/٢٢٨ ، والبلاذري: أنساب الأشراف ١/١٨٢ .

(٤) عامر بن فهيرة ، أبو أحمد ، مولد من مولدي الأزد ، كان مملوكاً للطفيل بن عبدالله بن=

دار الأرقم بن أبي الأرقم ويدعو فيها[1] ، وكان من المستضعفين من المؤمنين ، عذَّبه كفارُ قريش ليرجع عن دينه ، لكنه صَلُبَ حتى اشتراه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأعتقه[2] . روي عن محمد بن كعب القرظي قال : كان عامر بن فهيرة يُعذب حتى لا يدري ما يقول[3] . وكانت له مشاركة واضحة في أحداث الهجرة : إذ أنه كان يرعى غنم أبي بكر وقت اختفائه مع الرسول صلى الله تعالى وسلم في الغار ، فحين يختلط الظلام يأتيهما عامر بالغنم فيذبحان ويأكلان من لحمها ، ويشربان من ألبانها ، ثم حين يقترب الفجر ينصرف من عندهما ذاهباً إلى مكة مغطياً على آثار عبدالله بن أبي بكر الذي يأتيهما بأخبار أهل مكة[4]. ثم هاجر مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بكر يخدمهما في الطريق ، مُعرضاً نفسه لغضبة قريش ونقمتها على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحبه أبي بكر ومن ساندهم في هجرتهم . فرضي الله تعالى عنه .

أبو فُكيهة[5] :

يقال أنه آل أمرُ أبي فكيهة إلى صفوان بن أمية الجمحي[6] ، فأسلم

= الحارث أخي عائشة بنت أبي بكر لأمها أم رومان ، فأسلم عامر فاشتراه أبو بكر الصديق ، فأعتقه ، فكان يرعى غنماً له ، صاحب الرسول ﷺ وأبا بكر في الهجرة خادماً لهما ، وشهد بدراً وأحداً ، ثم استشهد يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة . انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ . والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٩٣ ـ ١٩٤ .

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/ ٢٣٠ .

(٢) البلادي : أنساب الأشراف ١/ ١٩٤ .

(٣) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/ ٤٨٠ .

(٤) صحيح البخاري ٤/ ٢٥٦ .

(٥) اسمه أفلح أو يسار ، يقول أولاده : نحن من أهل اليمن من الأزد حلفاء لبني عبد الدار ، له بنات أسلمن قديماً ، وهاجرن إلى الحبشة مع أزواجهن ، كانت فكيهة وهي التي يكنى بها مع رجل من بني جمح ، وبركة مع رجل من بني أسد ، توفي أبو فكيهة قبل بدر . انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨/ ٢٤٦ . والبلاذري: أنساب الأشراف ١/ ١٩٤ .

(٦) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي ، أبو وهب ، أسلم بعد الفتح ، =

حين رأى بلالاً مسلماً ، فأخذه أمية بن خلف فربط في رجله حبلاً ، وأمر به فُجرّ وسحب ثم ألقاه في الرمضاء . ومر به جُعْلٌ ، فقال : أليس هذا ربك ؟ فقال : الله ربي ، خلقني وخلقك وخلق هذا الجعل ، فغلظ عليه ، وجعل يخنقه ، ومعه أخوه أبي بن خلف(٣) يقول له : زده عذاباً حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره ، ولم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ، ثم أفاق فمر به أبو بكر فاشتراه واعتقه(٤) .

وروي أن بني عبد الدار هم الذين كانوا يعذبونه لأنه كان لهم ، فأخرجوه يوماً مقيداً في منتصف النهار إلى الرمضاء ، ووضعوا على صدره صخرة حتى دلع لسانه ، وقيل قد مات ، ثم أفاق(٥) .

وقد روي عن محمد بن كعب القرظي قال : كان أبو فكيهة يُعذّب حتى لا يدري ما يقول(٦) . رضي الله تعالى عنه .

* * *

وهناك طائفة أخرى من الشباب المؤمن جاءتهم البلوى من قبل والديهم وأقربائهم الذين استغلوا مالهم من ولاية على أولئك الشباب ، فألحّوا عليهم إلحاحاً شديداً من أجل أن يتركوا دينهم ، وحاربوهم في قوتهم وأرزاقهم ، وحبسوهم . وعندما يتدبر الباحث بعض الآيات القرآنية التي جاءت بصدد وصاية الإنسان بوالديه كقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ

= وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه ، من أشراف قريش في الجاهلية والإسلام ومن أغناهم ، شهد معركة اليرموك ، مات بمكة سنة ٤١ هـ . انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤٩/٥ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ٥٦٢/٢ وما بعدها .

(٣) أبي بن خلف بن وهب الجمحي القرشي ، من زعماء قريش الذين تصدوا لدعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ـ سنتحدث عن موقفه مفصلاً إن شاء الله تعالى ـ طعنه الرسول بحربة يوم أُحد وهو يسعى إلى الرسول يريد قتله ، فاحتمله المشركون ، ومات بمر الظهران على أميال من مكة . انظر عنه الزبيري : نسب قريش ص ٣٨٧ .

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف ١٩٥/١ .

(٥) المصدر السابق : الصفحة نفسها .

(٦) المصدر السابق : ١٥٨/١ .

حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[2]،وكقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[4] . عندما يتدبر تلك الآيات يحسّ بأنّ هناك مشهداً جديداً من مشاهد الأذى والفتنة ، وتكرار الآيات بهذا الخصوص يدل على أن محنـة غضب الوالدين واضطهادهما وإلحاحهما لم تكن مقصورة على حادث واحد بل تعرض لها أكثر من شخص من المسلمين في مكة ممن كانوا ينتمون إلى البيوت القرشية ذات الوجاهة[5] ، فمنهم :

سعد بن أبي وقاص :

الذي تعرض للفتنة من قبل والدته التي امتنعت عن الطعام والشراب حتى يعود إلى دينها . روى الطبراني أن سعداً قال : أُنزلت فيّ هذه الآية ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا . الآية ﴾ قال : كنت رجلاً براً بأمي فلما أسلمتُ قالت : يا سعد ما هذا الدين الذي أراك قد أحدثت . لتدعنَّ دينك هذا أو لا آكلُ ولا أشربُ حتى أموت فتُعيَّر بي

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٧ .
(٢) سورة لقمان ، الآيات ١٤ ـ ١٥ .
(٣) سورة الإسراء ، الآيات ٢٣ ـ ٢٤ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٥١ .
(٥) انظر دروزه : سيرة الرسول ﷺ ١/٢٨١ .

فيقال يا قاتل أمه ، فقلت لا تفعلي يا أمه فإني لا أدع ديني هـذا لشيء ، فمكثت يوماً وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت ، فمكثت يوماً وليلة أخرى لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا لشيء ، فإن شئت فكلي وإن شئت لا تأكلي ، فأكلت[١] .

وروى مسلم في صحيحه أن أم سعد حلفت أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ، ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمتَ أن الله وصَّاك بوالديك ، وأنا أمك وأنا آمرك بهذا ، قال مَكَثَتْ ثلاثاً حتى غُشي عليها من الجهد ، فقام ابنٌ لها يقال له عِمَارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد ، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[٢] .

قال فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصاً ثم أو جروها[٣] . فمحنة سعد هنا محنة عظيمة ، وموقفه رضي الله تعالى عنه موقف فذّ يدل على مدى تغلغل الايمان في قلبه ، وأنه لا يقبل فيه مساومـة مهما كـانت النتيجة .

ومصعب بن عمير[٤] :

كان قبل أن يسلم رضي الله تعالى عنه أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٤٦/٣ .

(٢) صحيح مسلم ١٨٧٧/٢ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٧٨/٢ . ومعنى قوله : (شجروا فاها بعصاً ثم أوجروها) أي فتحوه ثم صبوا فيه الطعام ، وإنما شجروه بالعصا لئلا تطبقه فيمتنع وصول الطعام إلى جوفها .

(٤) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي من بني عبد الدار ، من السابقين الأولين إلى الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، ثم رجع ، فبعثه الرسول ﷺ بعد العقبة مع أهل المدينة =

أبـويه[١] . روى ابن سعـد قال : كـان مصعب بن عمير فتى مكـة شبابـاً وجمالاً ، وكان أبواه يحبانه ، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكـون من الثياب وأرقـه ، وكان أعـطر اهل مكـة ، يلبس الحضـرمي من النعال[٢] . وبلغ من شدة كَلَفِ أمه به أنه يبيت وقَعْبُ الحيس[٣] عند رأسه فإذا استيقظ من نومه أكل[٤] . ولما علم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو إلى الاسـلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم دخل عليـه فأسلـم وصدّق به ، وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه ، فكـان يختلف إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلـم سراً ، فبصر به عثمان بن طلحة[٥] يصلي فأخبر أمه وقومه ، فأخذوه وحبسوه ، فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى ، ثم رجـع مع المسلمين حين رجعـوا ، فرجع متغير الحال قد حَرَجَ ، يعني غلظ ، فكفّت أمه عنه من العذل[٦] .

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه : لقد رأيتـه جهد في الاسلام جهداً شديداً حتى لقد رأيت جلده يتحشّـف ، أي يتطاير ، تحشّـف جلد الحيـة عنها ، حتى إن كنـا لنعرضـه على قسينا فنحمله ممـا بـه من

= يعلمهم الإسلام ، فأسلم على يديه أسيد بن حضير وسعد بن معاذ من سادة الأوس ، ثم شهد بدراً مع الرسول ، واستشهد يوم أُحد سنة ٣ هـ . انظر عنه ، الأصبهاني : حلية الأولياء ١٠٦/١ ـ ١٠٨ والذهبي : سير أعلام النبلاء ١٤٥/١ وما بعدها .

(١) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٩٣ .

(٢) الطبقات الكبرى ١١٦/٣.

(٣) القَعْب : القدح الغليظ ، والحَيْس : تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن وتسوى كالثريد . المعجم الوسيط ٢١١/١ .

(٤) السهيلي : الروض الأنف ١٩٥/٢ .

(٥) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبدالله القرشي العبدري ، حاجب البيت الحرام ، وأحد المهاجرين ، هاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص إلى المدينة ، شهد فتح مكة ، فدفع إليه الرسول ﷺ مفتاح الكعبة ، توفي سنة ٤٢ هـ . انظر عنه ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤٤٨/٥ ، والبسوي : المعرفة والتاريخ ٢٧٢/١ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ١٠/٣ ـ ١٢ .

(٦) الطبقات الكبرى ١١٦/٣ .

الجهد[1] .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : إنا لجلوس مع رسول الله ﷺ في المسجد إذ طلع مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو ، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى للذي كان فيه من النعمة والذي هو اليوم فيه . .[2] . ويزيد هذا وضوحاً ما ورد أن مصعباً أقبل ذات يوم ـ والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم جالس مع أصحابه ـ وعليه قطعة نمرة قد وصلها بإهاب قد ردَّنه ثم وصله إليها ، فلما رآه أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نكسوا رؤوسهم رحمة له ، ليس عندهم ما يغيرون عنه ، فسلم فرد عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأحسن عليه الثناء ، وقال : الحمدالله ليقلب الدنيا بأهلها ، لقد رأيت هذا يعني مصعباً ، وما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويه نعيماً منه ، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسوله[3] ، وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلما ذكره ، قال : « ما رأيت بمكة أحداً أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير[4] .

ومع كل ما أصابه رضي الله تعالى عنه من بلاء ومحنة ، ووهن في الجسم والقوة ، وجفاء من أقرب الناس إليه لم يقصر عن شيء مما بلغه أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الخير والفضل والجهاد في سبيل الله تعالى حتى أكرمه الله عز وجل بالشهادة يوم أُحد .

حدّث خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنه قال : هاجرنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نبتغي وجه الله ووجب أجرنا على الله ، فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئاً ، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أُحد فلم نجد ما نكفنه فيه إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، فإذا غطينا

---

(١) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٩٣ .
(٢) سنن الترمذي ٤/٦٤٧ ، رقم الحديث ٢٤٧٦ .
(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/١١٧ .
(٤) المصدر السابق ٣/١١٦ .

رجليه خرج رأسه ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه بها ونجعل على رجليه من أذخر . [1] .

وخالد بن سعيد بن العاص[2] :

كان إسلام خالد قديماً ، لرؤيا رآها عند أول ظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ رأى كأنه واقف على شفير النار ، وهناك من يدفعه فيها ، والرسول يلتزمه لئلا يقع ، ففزع من نومه ، معتقداً أن هذه رؤيا حق ، فقصها على أبي بكر الصديق ، فقال له : أريد بك خير ، هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتبعه ، فذهب إليه فأسلم ، وأخفى إسلامه خوفاً من أبيه ، لكن أباه علم به لمَّا رأى كثرة تغيبه عنه ، فبعث إخوته الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد في طلبه ، فجيء به ، فأنَّبه وضربه بمقرعة أو عصاً كانت في يده حتى كسرها على رأسه ، ثم حبسه بمكة ، ومنع أخوته من الكلام معه ، وحذرهم من عمله ، ثم ضيق عليه الخناق فأجاعه وقطع عنه الماء ثلاثة أيام ، وهو صابر محتسب ، ثم قال له أبوه : والله لأمنعنك القوت ، فقال خالد : إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به ، وانصرف إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان يكرمه ، ويكون معه[3] . ثم رأى أن يهاجر إلى الحبشة مع من هاجر إليها من المسلمين في المرة الثانية[4] .

---

(١) صحيح البخاري ٢٥٢/٤ ، ٢٦١ ، ٣٩/٥ .

(٢) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي ، أحد السابقين الأولين إلى الإسلام ، روي أنه كان خامساً في الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة ومكث بها بضع عشرة سنة ، استعمله الرسول ﷺ على صنعاء ، وأمره أبو بكر على بعض الجيش في غزو الشام ، استشهد بمرج الصفر سنة ١٤ هـ . انظر عنه الزبيري : نسب قريش ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ، وابن قتيبة : المعارف ص ٢٩٦ ، وابن عبد البر : الاستيعاب ٣٩٩/١ ـ ٤٠٣ .

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب ٤٠٢/١ ـ ٤٠٣ .

(٤) البلادي : أنساب الأشراف ١٩٩/١ . والذهبي : سير أعلام النبلاء ٢٦٠/١ .

عثمان بن مظعون[1] :

كان قبل أن يسلم يُكثِّر بوجهه إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فكلمه الرسول فاستقر الإيمان في قلبه ، ومن ثم أحب رسول الله حباً شديداً[2] ، ولما أسلم عَدىٰ عليه قومه بنو جمح فآذوه[3] ، وكان أشدهم عليه ، وأكثرهم إيذاءً له أمية بن خلف ، ولذلك قال بعد أن خرج إلى الحبشة يعاتبه[4] :

أأخرجتني من بطن مكة آثماً ... وأسكنتني في صرح بيضاء تقذعُ
تريش نبالاً لا يواتيك ريشها ... وتبرى نبالاً ريشها لك أجمعُ
وحاربت أقواماً كراماً أعزة ... وأهلكت أقواماً بهم كنت تفزعُ
ستعلم إن نابتك يوماً مُلِمَّة ... وأسلمك الأوباش ما كنت تصنعُ

ووجد عثمان بن مظعون في الحبشة مستراحاً من أذى أهله وعشيرته

---

(١) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي ، أبو السائب، من حكماء قريش في الجاهلية وممن حرَّم الخمر على نفسه ، كن أحد السابقين إلى الإسلام ، وهاجر إلى الحبشة مرتين ، ثم إلى المدينة ، وكان زاهداً في الدنيا عابداً مجتهداً ، شهد بدراً ، ثم مات بعدها سنة ٢ هـ . ، فقبّله رسول الله ﷺ وهو ميت وسالت دموعه على خد عثمان ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين ، وأول من دفن بالبقيع منهم .
انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/٣٩٣ وما بعدها ، والزبيري : نسب قريش ص ٣٩٣ ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ١/١٥٣ وما بعدها .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/١٧٤ .

(٣) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٦٤ .

(٤) الذهبي : السيرة النبوية ص ١١٢ .

الأقربين ، لكنه لم يلبث أن عاد منها ضمن من عاد من المسلمين في المرة الأولى ، ولم يستطع أن يدخل مكة إلا بجوار من الوليد بن المغيرة حيث ظل يغدو ويروح في جواره آمناً مطمئناً ، فلما رأى ما يصيب أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من البلاء وما هو فيه من العافية أنكر ذلك على نفسه ، وقال : والله إن غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي »[1]. فذهب إلى الوليد بن المغيرة وقال له : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك ، وقد رددت إليك جوارك ، فقال له : لم يا ابن أخي ؟ فلعلك أوذيت ، أو انتهكت ، قال : لا ، ولكني أرضى بجوار الله تعالى ولا أريد أن أستجير بغيره ، قال : فانطلق إلى المسجد فاردد عليّ جواري علانية ، كما أجرتك علانية ، فانطلقا إلى المسجد فرد عليه جواره أمام الناس . ثم انصرف عثمان إلى مجلس من مجالس قريش فجلس معهم ، وفيهم لبيد بن ربيعة[2] الشاعر ينشدهم ، فقال لبيد : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » ، فقال عثمان : صدقت ، واستمر لبيد في إنشاده فقال : « وكل نعيم لا محالة زائل » ، فقال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يزول ، قال لبيد : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شرى أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فاخضرّت ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال : أما

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٢٠ .

(٢) لبيد بن ربيعة بن مالك العامري ، أبو عقيل ، فارس شاعر شجاع ، أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ ، يُعد من الصحابة ، قال بعد أن أسلم : أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران فزاد عمر في عطائه .
كان كريماً لا تهب الصبا إلا أطعم ، مات سنة ٤١ هـ . انظر عنه ابن سلّام : طبقات الشعراء ص ٤٨ ـ ٤٩ ، وابن حجر : الإصابة ٣/٣٢٦ ـ ٣٢٧ .

والله يا ابن أخي إن عينك لغنية عما أصابها ، ولقد كنتَ في ذمة منيعة ، فقال عثمان : والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، ثم عرض عليه الوليد الجوار مرة أخرى فرفض[1] .

والناظر في قصة عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه وما حصل له بمكة من أذى قومه وتضييقهم عليه أولاً ، ومن ثم مفارقته لجوار أحد المشركين أسوة بإخوانه المؤمنين أن يناله ما ينالهم من البلاء ، وخوفاً من أن تكون سلامته من بينهم لوهن في نفسه ، يُدركُ مدى قوة إيمانه رضي الله تعالى عنه ، ورغبته في الأجر ، وحرصَه على التأسي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في كل ما يصيبه من السراء والضراء[2] .

ولذلك لما مات رأت امرأة في المنام أن له عيناً تجري ، فجاءت رسول الله ﷺ ، فأخبرته ، فقال : ذلك عمله[3] .

عيَّاش بن أبي ربيعة[4] :

أسلم عياش رضي الله تعالى عنه قديماً قبل دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم ، وناله ما نال الأشراف من قومه الذين أسلموا من التبكيت والضرب ، فهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية

---

(١) ابن إسحاق : السير والمغازي ص ١٧٨ ـ ١٨٠ .
(٢) انظر طبقات ابن سعد ٣/٣٩٥ .
(٣) صحيح البخاري ٤/٢٦٥ .
(٤) عياش بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي القرشي ، من السابقين الأولين إلى الإسلام ، هاجر إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة لكنه أعيد إلى مكة بغدر من إخوانه لأمه فحبس بها ، ثم تمكن من الفرار بعد مدة، وظل بالمدينة إلى أن قبض رسول الله ﷺ ثم خرج إلى الشام مجاهداً ، ثم رجع إلى مكة فأقام بها إلى أن مات في حدود سنة ١٥ هـ .
انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣/١٢٩ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، وابن حجر : الإصابة ٣/٤٧ ، ترجمة رقم ١٦٢٣ .

ومعه امرأته[١] ، ثم عاد إلى مكة فلم يزل بها حتى ابتدأ الصحابة في الهجرة إلى المدينة فتجهز للخروج ، وصاحب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، فلما وصلوا المدينة ، ونزلوا عند قباء لحقه أخواه لأمه وهما : أبو جهل والحارث ابنا هشام فقالا له : يا عياش إن أمك مريضة ، وقد نذرت أن لا تستظل من شمس ولا يمس رأسها دهن ولا تطعم إلا بُلْغة من الخبز القِفَار[٢] حتى تراك ، ولم يزالا به حتى ردّاه معهما إلى مكة ، مع أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان قد نصحه أن لا يعود وحذره من مكرهما ، ثم أعطاه ناقته النجيبة الذلول لكي ينجو عليها إن رابه من أمرهما شيء ، لكنهما غدرا به ، وتمكنا من شد وثاقه ، وعادُا به إلى مكة موثقاً بالحبال ، ثم قالا لأهل مكة : هكذا فافعلوا بسفهائكم[٣] ، وظل محبوساً بمكة مدة من الزمان يعاني من الأغلال والحبس والنكال ، ويأبى أن يقول ما يُرضي الكفار حتى ما بعد غزوة الخندق[٤] .

وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن هاجر إلى المدينة يدعو له ولسلمة بن هشام[٥] وللمستضعفين من المؤمنين في صلاة الصبح ، كما ورد في الصحيح[٦] فأنجاهم الله تعالى بدعوته .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/١٢٩ .
(٢) البلغة : الشيء اليسير الذي يسد الرمق ، والقفار: الخالي من الإدام .
(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/٢٠٨ .
(٤) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٧٦ .
(٥) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، من السابقين إلى الإسلام ، ومن خيار الصحابة وفضلائهم ، ناله الأذى والتعذيب من قريش ، ثم تخلص وهاجر إلى الرسول ﷺ ، ولم يزل معه إلى أن توفي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فخرج مع الجيوش إلى الشام مجاهداً ، فقتل شهيداً بمرج الصفر في المحرم من سنة ١٤ هـ ، رضي الله تعالى عنه . انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/١٣٠ ـ ١٣١ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/٢٠٨ ، وابن عبد البر : الإستيعاب ٢/٨٥ .
(٦) صحيح البخاري ١/١٩٥ .

سَلَمة بن هشام :

كان قديم الإسلام بمكة ، وهاجر إلى الحبشـة[1] ، ولما عـاد منها حبسه أخوه أبو جهل وضربه وأجاعه وأعطشه[2] ، وعذب في الله عز وجل ، ومضى عليه وقت طويل وهو محبوس بمكة ، ثم قرن به عياش بن ربيعة في القيد ، وظلا متلازمين حتى فرّج الله تعالى عنهما بدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأفلت سلمـة من الحبس والتحق بالـرسول في المـدينة في أعقاب غزوة الخندق[3] .

وهكذا نرى أولئك الرهط من الشباب القرشي قـد أقبلوا على دعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واستجابوا لها والتفوا حول صاحبها ، على الرغم من مواقف آبائهم وذويهم وأقربائهم المتشددة تجاههم ، فضحّوا بكل ما كانوا يتمتعون به من امتيازات قبل دخولهم في الإسلام ، وتعرضوا للفتنة رغبة فيما عند الله تعالى من الأجر والثـواب ، وتحملوا أذى كثيراً . وهذا فعل الإيمان في النفوس عندما يخالطها فتستهين بكل ما يصيبها من عَنَت وحرمان إذا كان ذلك يؤدي إلى الفوز برضى الله تعالى وجنته .

نساء مسلمات عذبن :

هـذا ولم يكن التعذيب والأذى مقصـوراً على رجال المسلمين دون نسـائهم ، وإنمـا طـال النسـاء أيضـاً قسطٌ كبيـر من الأذى والعنت بسبب إسلامهن ، وقد أشرنا إلى ما أصاب سمية بنت خياط والدة عمار بن ياسر من التعذيب ، وكيف انتهت حياتها على يد أبي جهل حينما طعنها بحربة معه . وسنذكر هنا عدداً آخـر من النساء الـلائي تعرضن للفتنـة والأذى من كفار قريش .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٧٣ .
(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٤/١٣٠ .
(٣) المصدر السابق ٤/١٣١ .

فمنهن **فاطمة بنت الخطاب** أخت عمر وزوجة سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل[١] ، كانت هي وزوجها من السابقين الأولين إلى الإسلام ، قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم[٢] ، وكان خباب بن الأرت يختلف إليها يقرئها القرآن[٣] ، وورد في الحديث الصحيح قول سعيد بن زيد وهو يُحدِّث الناس في مسجد الكوفة : « لو رأيتُني موثقي عمرُ على الإسلام أنا وأخته وما أسلم . . . »[٤] . وتحدثت مصادر السيرة عن موقف عمر المتصلب معها ومع زوجها ، وضربه إياهما قبيل أن يهديه الله تعالى إلى الإسلام ، وأشارت إلى ندمه على فعله لمّا رأى الدماء تنزف من وجه أخته[٥] .

وممن عَذَّب عمرُ رضي الله تعالى عنه قبل أن يسلم **لُبينة أو لبَيبة** جارية بني المؤمل بن حبيب من آل عدي بن كعب ، كان عمر يعذبها لتترك الإسلام حتى يَفْتُر ، فيدعها ، ثم يقول لها : أما إني أعتذر إليك فإني لم أدعك إلا سآمة ، فتقول : كذلك يعذبك الله إن لم تسلم[٦] .

وروي عن حسان بن ثابت قال : قدمت مكة معتمراً والنبي ﷺ وأصحابه يُؤذَون ويُعذَّبون ، فوقفت على عمر وهو مؤتزر يخنق جارية بني

---

(١) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي ، أبو الأعور ، من الصحابة السابقين إلى الإسلام ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وشهد اليرموك وحصار دمشق وفتحها فولاه أبو عبيدة عليها، كان من ذوي الرأي، توفي بالمدينة سنة ٥١ هـ، وهو ابن بضع وسبعين. انظر عنه ابن قتيبة: المعارف ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦، والمحب الطبري: الرياض النضرة ٤/١١٥ وما بعدها. والذهبي: سير أعلام النبلاء ١/١٢٤ وما بعدها.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨/٢٦٧.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٩٥.

(٤) صحيح البخاري : ٤/٢٤٣ .

(٥) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٩٦ ، والبيهقي : دلائل النبوة ٢/٢١٧ .

(٦) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٩٥ .

عمر بن المؤمل حتى تسترخي في يديه ، فأقول قد مـاتت ، ثم يثب على زِنِّيره ، فيفعل بها مثل ذلك[1] ، وقد ظلت لبينة على حالها تلك حتى أذن الله تعالى لها بالفرج حينما مرَّ عليها أبو بكر الصديق فاشتراها فأعتقها[2] .

ومنهن زنِّيرة الرومية ، وهي جارية لبني عدي ، وقيل لبني مخزوم ، كانت من السابقات إلى الإسلام ، وممن عُذِّب في الله تعالى[3] . روي أن الذي باشر تعذيبها رجلان هما عمر بن الخطاب ـ كما مرَّ آنفاً في رواية حسان ـ وأبو جهل ابن هشام[4] . وكان أبو جهل يقول لقريش : ألا تعجبون لهؤلاء واتّباعهم محمداً! فلو كان ما أتى به محمد خيراً وحقاً ما سبقونا إليه ، أفسبقتنا زِنِّيرة إلى رشد وهي من ترون[5] .

وكانت زنيرة قد عذبت حتى عميت ، فقال لها أبو جهل : إن اللات والعزى فعلتا بك ما ترين ، فقالت ، وهي لا تبصره : وما تدري اللات والعزى من يعبدها ممن لا يعبدها ، ولكن هذا أمر من السماء ، وربي قادر على أن يرد بصري ، فأصبحت من تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها ، فقالت قريش : هذا من سحر محمد[6] . كان خلاصها من محنتها على يد الصديق رضي الله تعالى عنه الذي اشتراها فأعتقها[7] .

ومنهن النّهدية وابنتها ، وكانت النهـدية مـولّدة لبني نهـد بن زيد ،

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٦٨ .
(٣) ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٣١١ .
(٤) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٤٨٢ .
(٥) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٩٦ .
(٦) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٦٨ ، والبلادي : أنساب الأشراف ١/١٩٦ .
(٧) ابن عبد البر : الاستيعاب ٤/٣٢٢ .

فصارت لامرأة من بني عبد الدار ، فجعلت تعذبها هي وابنتها لمّا أسلمتا[1] . ومما كانت تقول وهي تعذبهما : والله لا أقلعت عنكما أو يعتقكما بعض من صبأ بكما ، فمرّ بهما أبو بكر وقد بعثتهما في طحين لها وهي تقول : والله لا أعتقكما أبداً ، فقال : حِلٍّ يا أم فلان ، فقالت حِلّ أنت والله أفسدتهما فأعتقهما . قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما به ، وهما حرتان ، أرجعا إليها طحينها ، قالتا : أوْ نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها قال : أو ذاكما إن شئتما[2] .

ومن النساء المسلمات اللائي عُذبن في الله تعالى أم عُبيس زوجة كُريْز ابن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، ولدت له عُبيساً فكنّيت به[3] ، أسلمت أول الإسلام ، وكانت ممن استضعفه المشركون فعذبوها ، وكان الذي يتولى تعذيبها ـ كما قال البلاذري ـ الأسود بن عبد يغوث الزهري ، وهي أمة لبني زهرة[5] . ابتاعها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأعتقها[4] .

وممن أعتق أبو بكر أيضاً حمامة أم بلال بن رباح بعد أن اشتراها وكانت تُعذَّب في الله تعالى[6] .

ومن خلال السرد السابق يلاحظ أن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان المنقذ ـ بعد الله تعالى ـ لكل من تردت حاله واشتدت محنته ابتداء من بلال ومروراً بعامر بن فهيرة وبأبي فكيهة وانتهاء بجميع من ذكر من النساء المسلمات المعذبات ما خلا فاطمة بنت الخطاب . وهذا أمر له دلالته ، وهو أن المسلمين الصادقين في إيمانهم لا يمكن أن يسكتوا على تعذيب أخوانهم

---

(١) ابن يوسف : سبل الهدى ٤٨٣/٢ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ٦٨/٢ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١٩٦/١ .
(٣) ابن حجر : الإصابة ٤٧٥/٤ .
(٤) أنساب الأشراف: ١٩٦/١ .
(٥) الزبيري : نسب قريش ص ١٤٧ .
(٦) ابن عبد البر : الدرر ص ١٩ .

المسلمين أو أخواتهم المسلمات ، فضلاً عن أن يرضوا بذلك ، ما دام أن في وسعهم تخليصهم مما هم فيه .

ويلاحظ كذلك أن المال وُظِّف في خدمة الدعوة الإسلامية منذ أيامها الأولى ، وفضلُ أبي بكر رضي الله تعالى عنه ومسارعتُه إلى الخيرات ، وحُبُّه لأخوانه في العقيدة ، وسخاء نفسه بماله في سبيل الله تعالى .

ومما يلفت نظر الباحث أن العذاب والتنكيل رُكِّز بصفة خاصة على تلك الفئة المستضعفة التي لم يكن لها ناصر ولا ولي إلا الله عز وجل ، أما من كانت لهم عشائر تحميهم أو تجيرهم فقد كانوا يتعرضون للعذاب أحياناً ويسلمون منه أحياناً أخرى ، لكن بعضهم ما كانوا يركنون إلى السلامة والعافية من الأذى ، ولا يرضون إلا أن يصيبهم مثلُ ما يصيب بقية أخوانهم المسلمين ، وذلك خوفاً أن يكون عدم ابتلائهم بسبب نقص في إيمانهم ، أو ألَّا يلحقوا بدرجة أولئك المعذبين ، ولذلك نجدهم ينبذون جوار المشركين ، ويرضون بجوار الله عز وجل .

ويلاحظ أيضاً أن المشركين متشبعون ببغض وعداوة المؤمنين ، وأنهم لا يفرقون في عدوانهم الوحشي بين الرجال والنساء . وأن المؤمن في كل زمان ومكان مبتلى بشتى أنواع البلاء ، وعليه أن يوطن نفسه على ذلك ، لأن الفرج من الله تعالى قريب .



الفصل الثالث

كفار قريش الفاتنون

قـال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾[1] .

سورة البروج التي منها هذه الآية من السور المكيـة بلا خـلاف بين العلماء[2] ، بل إنهـا قد تكون من السور التي نـزلت مبكرة جـداً في ذلك العهد[3] ، وهي تـدل على أن صناديد قريش وزعماءهـم قد أخـذوا يؤذون المسلمين ويضطهدونهم منذ عهد مبكر من ظهور الدعوة ، وذلك أن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة ، وتذكيـرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان ، حتى يقتدوا بهم ويصبروا على أذى قومهم ، ويعلموا أن كفارهم أحقّاء بأن يقال فيهم قتلت قريش أي لعنوا كما لعن أصحاب الأخدود[4] . والإجماع منعقد على أن تلك الآيات بصدد حوادث اضطهاد المسلمين وفتنتهم عن دينهم ، وقد احتوت إنـذاراً شديداً للفاتنين إن لم يتوبوا ويرتدعوا عن إثمهم ، واشتملت الآية التالية لها على التنويه بالمؤمنين وتطمينهم بحسن العاقبة في الدار الآخرة[5] .

وتؤكد مصادر السيرة النبوية أن موقف زعماء مكة من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعوته كان موقفاً سلبياً بل عدوانياً منذ الخطوات الأولى من العهد المكي ، وأن موقفهم هذا لم يكن ناتجاً عن دراسة وتفكير وتأمل في حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل مجيئه بالدعوة ـ وهم يعرفونهـا جيداً ـ ومقارنة ذلك بحاله بعد الدعوة ، وهل يقصد من ورائها الوصول إلى

(١) سورة البروج ، الآية ١٠ .

(٢) محمد الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير/ ٤١٠ (دار احياء التراث العربي ، بيروت) .

(٣) دروزه : السيرة النبوية ٢٦٨/٢ .

(٤) أبو قاسم الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ٢٣٧/٤ (دار المعرفة ، بيروت) .

(٥) دروزه : السيرة النبوية ٢٦٨/٢ .

أهداف معينة أم أنه يريد الخير والصلاح والسعادة لهم في الدنيا والآخرة ؟ ولو فعلوا ذلك لكانوا معذورين بعض الشيء ، ولكن أن يستقبلوه مباشرة بعد أول عرض للإسلام بقولهم على لسان أحدهم : تبّاً لك ألهذا جمعتنا !! فهذا العناد والمكابرة والاستكبار والحسد والبغي ، وإن كانت هناك أسباب أصيلة لرفض الدعوة نشير إليها باختصار[1] :

- عقيدة التوحيد التي جاء بها الرسول ﷺ . . . ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[2] .
- أثـر الزعـامة ودورهـا في عصر النبي صلى الله تعـالى عليه وسلم وبيئته .
- أثر عصبية التقاليد في المجتمع العربي .
- خوف زعماء مكة على امتيازاتهم وامتيازات مكة وإمامتها ومنافعها .
- أثر البعث والحساب ، والحملة على الزعماء والأغنياء .
- طبيعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم البشرية .

وقد كان لهذه الأسباب آثار قوية في وقوف عدد من زعماء مكة موقفاً سلبياً من الدعوة ، ولكن بعد أن ظهرت لهم حقيقة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واضحة كالشمس انساقوا بدافع الحسد والغرض والهوى واللجاج فامتزجت هذه بتلك ، فضلوا وأضلوا .

ثم انطلق كفار قريش في ميدان المماراة واللدد بعدما رفضوا دعـوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فطلبوا منه أموراً تـدل على مكابـرتهم وعنادهم وأنهم لا يهدفـون إلى معرفـة الحق ، ولذلـك فإن الله عـز وجل تحداهم وأفحمهم ، فذهبوا يصبّون جام غضبهم على المؤمنين بالله عز وجل ورسوله ، ووجدوا في المستضعفين منهم خاصة مجالاً لتفريغ أحقادهم .

ولهذا يلاحظ الباحث آيات قرآنية كثيـرة تتحدث عن زعمـاء قريش

---

(١) انظر المرجع السابق ٢/١٨٣ .
(٢) سورة ص الآية ٥ .

وسادتهم وكبرائهم وأغنيائهم وطغاتهم ، وفيها ردود عنيفة قاسية عليهم ، ينبعث الشرر من خلالها ، ويوجه لطمات قاسيات إلى وجوههم ، منذراً إياهم أو محذراً أو مقرِّعاً أو متحدياً ، وسنشير إلى تلك الآيات في مناسباتها - إن شاء الله تعالى - .

وفي هذا الفصل سنلقي أضواء على صناديد قريش الذين أبدوا عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، والمؤمنين ، ومَنْ تولّى كِبَر ذلك منهم ، وعظماء المستهزئين ، وأشهر المؤذين ، وسائر الذين أظهروا عداوتهم وأذاهم وخاصموا وجادلوا وفتنوا المؤمنين والمؤمنات .

وكان الذين تنتهي عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إليهم ثلاثة أشخاص هم : أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبي معيط[1] .

أبو جهل :

أشد كفار قريش عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأكثرهم إيذاءً وصداً عن سبيل الله تعالى وفتنة للمؤمنين ، وهو فرعون هذه الأمة[2] ، وعدو الرسول الأول ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[3] ، جاء في التفسير أن عدو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أبو جهل[4] .

وقد سقنا في الفصل الأول من هذا البحث عدداً من المواقف السيئة التي وقفها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[5] ، ونضيف هنا جزءاً

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٤ .

(٢) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ٢١٠ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٥ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٣١ .

(٤) الفخر الرازي : التفسير الكبير ٢٤/٧٨ (الطبعة الثالثة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت) .

(٥) وهي مواقف كثيرة راجع صفحات ٣٥، ٣٨، ٤٠، ٤٥، ٥٥.

آخر من مواقفه حتى تكتمل ملامح صورته ، ويظهر على حقيقته .

كـان أذاه للرسول صلى الله تعـالى عليه وسلم منـذ وقت مبكـر من الدعوة ، فقد كان يؤذيه عندما يريد الصلاة في المسجد ، قال ابن عباس ، قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال : لو فعله لأخذتـه الملائكـة[1] . وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال،قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل : نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته أو لأعفـرن وجهه في التـراب ، فأتىٰ رسـول الله ﷺ وهو يصلي ، زَعَمَ ليطأ على رقبته ، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، قال فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهَوْلاً وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً »[2] .

وبلغ من حماقته أنه كان ينهي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصلاة وينكر عليه إذا فعل ، روى الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : كان النبي ﷺ يصلي عند المقام فمر به أبو جهل فقال : يا محمد ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعَّده ، فأغلظ له رسول الله ﷺ ، وانتهره ، فقال : يا محمد لم تنتهرني ؟ أو بأي شيء تهددني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً ، قال : فقال جبريل عليه السلام : « فليدع ناديه » قال ، فقال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته[3] ، وقال الترمذي : حسن صحيح[4] . وروى ابن جرير الطبري عن

---

(١) صحيح البخاري ٨٩/٦ .
(٢) صحيح مسلم ٢١٥٤/٣ حديث رقم ٢٧٩٧ .
(٣) مسند الإمام أحمد ٢٥٦/١ .
(٤) سنن الترمذي ٤٤٤/٥ ، حديث ٣٣٤٩ .

ابن عباس قال ، قال أبو جهل : لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه . . فجاء النبي ﷺ فصلّى ، فقيل ما يمنعك ؟قال : قد اسودّ ما بيني وبينه من الكتائب ، قال ابن عباس : والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه(١) .

وجاء في صحيح مسلم(٢) أن الله عز وجل أنزل فيه هـذه الآيات : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾(٣) ، وكـذا نصّت كتب التفسير(٤) ، وكتب أسباب النزول(٥) على أن تلك الآيات نزلت في أبي جهل لعنه الله تعالى .

ومن مواقفه في إيذاء النبي ﷺ في صلاته محاولته قتله وهو سـاجد بفضخ رأسه بحجر كبير ، قال أبو جهل يوماً لقريش ، يا معشر قـريش إن محمداً قد أبىٰ إلا ما ترون من عيب ديننا ، وسبّ آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله ، فإذا

---

(١) تفسير الطبري ، المجلد العاشر ، الجزء الثلاثون ص ١٦٥ .
(٢) ٢١٥٤/٣ .
(٣) سورة العلق ، الآيات ٦-١٩ .
(٤) انظر مثلاً تفسير ابن كثير ٥٢٩/٤ .
(٥) انظر مثلاً أبا الحسن النيسابوري : أسباب النزول ص ٣٠٣ (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٣٨٨هـ) .

سجد في صلاته فَضَخْتُ - أو رضخت - به رأسه ، فأسلموني عند ذلك ، أو امنعوني ، فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم ، قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد . فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو إلى الصلاة بين الركنين وقِبْلَتُه إلى الشام ، وقريش جلوس في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه[1] مرعوباً قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده ، وقام إليه رجال من قريش ، فقالوا له : ما لك يا أبا الحكم؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي فحل من الإبل ،والله ما رأيت مثل هامته ولا قَصَرته[2]ولا أنيابه لفحلٍ قط ، فهمّ بي أن يأكلني ، قال ابن اسحاق : فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : ذلك جبريل ، لو دنا لأخذه[3].

ورُوي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾[4] قال أبو جهل : هاتوا لنا تمراً وزبداً ، وجعل يأكل من هذا بهذا ، ويقول :تزقَّموا فلا نعلم الزقوم غير هذا ، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾ - يعني أبا جهل -[5] ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ

---

(١) أي متغيراً لونه بالصفرة مع الكدرة من الفزع .

(٢) القَصَرَة : أصل العنق إذا غلظ ، المعجم الوسيط ٢/٧٣٩ .

(٣) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، وانظر سيرة ابن هاشم ٢/٣٨ .

(٤) سورة الواقعة، الآية ٥١ - ٥٢.

(٥) البلاذري : أنساب الاشراف ١/١٢٧ .

ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[1] أي كما كنت تزعم في الدنيا، وكان قد لقي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوماً فقال له: لقد علمت أني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم، فقال الله تعالى فيه: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ أي تقول له الزبانية عند القائه في النار ذلك توبيخاً له[2].

والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم قال ذلك ابن عباس[3]، وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد رآها عندما أسري به ورأى الجنة والنار فأخبر قريشاً بها، فكذّبوا[4]، وأنكروا أن تنبت شجرة في النار، فكانت فتنة لهم، وجعل المستهزئون يضحكون، وبيّن الله عز وجل أمر هذه الشجرة فقال: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[5]. ورؤوس الشياطين نبت ينبت خارج الحرم[6]، يعرفه أهل مكة.

وقول أبي جهل وفعله عندما سمع شجرة الزقوم يدل على استهتاره بآيات الله تعالى، وجرأته على الاستهزاء بها، فاستحق بأن يُجازىٰ بما ذُكر في الآيات الكريمة.

وقال يوماً وهو يهزأ برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به من الحق: يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار، ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم الناس كثرة وعدداً، أفيعجزُ كلُ

---

(١) سورة الدخان: الآيات ٤٣ - ٤٩.
(٢) الحلبي: انسان العيون ١/٤٦٥.
(٣) صحيح البخاري ٤/٢٥٠.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/٤٩.
(٥) سورة الصافات، الآيات ٦٢ - ٦٣.
(٦) البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٢٧.

مائة رجل منكم عن رجل منهم فتغلبونهم ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[1] .

وذكر العلماء أن مشيخة كفار قريش جاءوا إلى أبي طالب قُبيل وفاته فقالوا له : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا ، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا ، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه ، فدعاه فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك ، قال رسول الله ﷺ : « ما تريدون » ؟ قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا ولندعك وإلهك ، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم مُعطيّ كلمة ، إن تكلمتم بها ملكتم العرب ، ودانت لكم بها العجم ، وأدت لكم الخراج » قال أبو جهل : وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها ، قالوا : فما هي ؟ قال : « قولوا لا إله إلا الله » ، فأبوا واشمأزوا ، وقالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً[2] . ثم إن أبا جهل لقي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له : والله يا محمد لتتركن سبّ آلهتنا أو لنسبنّ إلهك الذي تعبد ، فأنزل تعالى فيه ﴿ وَلَا تَسُبُّوا ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[3] ، فكفّ الرسول عن سبّ آلهتهم ، وجعل يدعوهم إلى الله عز وجل[4] .

وروي عن عطاء بن يسار في قوله تعالى :﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾

---

(١) سورة المدثر ، الآية ٣١ ، انظر ابن هشام : السيرة النبوية ٤٧/٢ ، وابن سيد الناس : عيون الأثر ١١٠/١ ، وتفسير ابن كثير ٤٤٥/٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ١٦٥/٢ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٠٨ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ١٠٥/٢ ، وابن كثير : السيرة النبوية ٥١/٢ .

إنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وفي قوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[1] إنها نزلت في أبي جهل[2] .

وهكذا نلاحظ ما نزل في شأن هذا الرجل من الآيات القرآنية التي تحمل في طياتها التهديد والوعيد إثر أعمال منكرة أو أقوال مخزية يجابه بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذه غير الآيات القرآنية التي نزلت تتحدث عن كفار قريش عامة ، ويدخل هو في عمومها .

وكان سبب إسلام حمزة بن عبد المطلب[3] رضي الله تعالى عنه أن هذا الرجل مرّ على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلما جاء حمزة أُخبر بما فعل أبو جهل ، فأخذته الحمية فعمد إليه فضربه بالقوس فشجه شجة منكرة ، ولمّا ثار إلى حمزة بعض بني مخزوم لنصرة أبي جهل نهاهم ، وقال : دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبّاً قبيحاً ، وأسلم حمزة منذ تلك اللحظة[4] . ويلاحظ هنا اعتراف أبي جهل بما فعل بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومدى الذل والانكسار الذي يتحمله وهو يُضْربُ أمام القوم ضرباً قوياً ، وهو مَنْ هو عند نفسه وعند قومه منزلة

---

(١) سورة الليل ، الآيات ٥ ـ ١١ .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١٢٨/١ .

(٣) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ، أبو عمارة ، عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ، أحد صناديد قريش في الجاهلية والإسلام ، أسلم مبكراً ، وأعز الله بإسلامه المسلمين، هاجر إلى المدينة ، وكان أحد أبطال بدر ، واستشهد في معركة أحد بعد أن فعل الأفاعيل بكفار قريش ، وذلك سنة ٣ هـ . انظر عنه ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨/٣ وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ١٧١/١ وما بعدها .

(٤) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٧١ ، وابن هشام : السيرة النبوية ٣٤/٢ .

ومكانة . ويبدو أنه من كثرة إيذائه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وللمسلمين ماتت فيه العزة والكرامة والشهامة والحمية ، فأصبح يتعرض للذلة والمهانة على أيدي مَنْ يعز الله تعالى بهم دين الإسلام سواء أكانوا من أهله أم من غيرهم ؛ فتروي مصادر السيرة أن من ضمن جهوده في الفتنة محاولته التضييق على المسلمين المحصورين في شعب أبي طالب ومنع الطعام والشراب عنهم ، فرأى يوماً بعض من يحاولون إيصال ذلك إليهم فمنعهم ، فقام إليه أحدهم ، وهو على دينه ، فأخذ ساق بعير ميّت فشجه به ، ووطئه وطئاً شديداً وبعض المسلمين ينظرون ما يجري ، وأبو جهل يكره أن يبلغ المسلمين ذلك لئلا يشمتوا بهم[1] ، ولكنهم رأوا ذلك وشاهدوا ذلته وعجزه عن الدفاع عن نفسه .

ومن الأمثلة التي توضح ذلته وانكساره رغم تظاهره أمام قريش بالعزة والسيادة ما روته أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما عن الزبير ابن العوام رضي الله عنه أنه قال لها : لقد رأيت اليوم عجباً ، رأيت نفراً من المشركين جلوساً حول الكعبة ورئيسهم أبو جهل بن هشام ، فأقبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يتآمرون بمناهضته فوقف عليهم وقال : قُبِّحْتُم وقُبِّحَ صاحبُكم ، فكأنهم خرسوا ما فيهم أحد يتكلم ولا يقوم ، قال الزبير : ولقد نظرت إلى أخبثهم وأنجسهم ، وهو يعدو في أثر النبي يعتذر إليه ، ويقول : كُفَّ عنا ونَكفّ عنك ، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول : لا أكف عنك حتى تؤمن بالله أو أقتلك ، قال : وأنت تقدر على قتلي ؟! قال : الله يقتلك ويقتل هؤلاء ، فانصرف أبو جهل وأولئك منكسرين[2] .

ويستمر أذاه وتصديه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإذا لم يؤذه بالفعل آذاه بالقول ، وبالتضعيف لأمره ، وبطلب الأمور المستحيلة منه ؛

---

(١) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ١٦١ .
(٢) ابن الجوزي : الوفا ١/١٨٩ - ١٩٠ .

ذكروا أن أبا جهل قال : يا محمد ، أبعث لنا رجلين أو ثلاثة من آبائنا ممن قد مات ، فأنت أكرم على الله ، فلستَ بأهون على الله من عيسىٰ فيما تزعم ، فقد كان عيسىٰ يفعل ذلك ، فقال النبي ﷺ : لَمْ يُقدِّرني الله على ذلك ، قال : إذاً ، سَخِّر لنا الريح تحملنا في يوم إلى الشام وتردنا في يوم ، فإن طول السفر يجهدنا ، فلستَ بأهون على الله من سليمان ، فقد كان يأمر الريح فتغدو به مسيرة شهر وتروح به مسيرة شهر ، فقال النبي ﷺ : لا أستطيع ذلك ، فقال أبو جهل : فإن كنت غير فاعل شيئاً مما سألتك ، فلا تذكر آلهتنا بسوء[1] .

وهذا الرجل هو الذي أشار على قريش يوم اجتمعت في دار الندوة تتداول في شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، في أعقاب بيعة العقبة الثانية ، أشار عليهم بقتله ، وذلك بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً ، ثم يعطوا كل واحد منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فيتفرق دمه في القبائل جميعًا ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فيرضوا بالدية[2] . ورأيُه هذا هو الرأي الذي لقي القبول والاستحسان من قبل الحاضرين جميعاً ، وهو الذي حاولوا تنفيذه ، لكن الله تعالى حال بينهم وبين رسول الله ﷺ ، فخرج مهاجراً إلى المدينة من بين ظهرانيهم وهم محدقون ببيته .

وهكذا ومهما حاولنا الاستقراء للمصادر ، والبسط لمواقف هذا الرجل العدائية ضد الدعوة فلن نستطيع الإلمام بها أو الإتيان عليها كلها ، وذلك لأنه أخذ على نفسه منذ ظهور الرسول ﷺ بدعوته أن يكون حامياً لدولة الأصنام في مكة ، مدافعاً عن شرفها وسمعتها ، مؤذياً لكل من تعرض لها أو مسها بحديث سوء ، ولهذا فقد طال الرسولَ صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين منه أذى كثير .

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٦ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٢٢٢ .

ويشعر الباحث في هذا الموضوع أن هناك تساؤلاً يفرض نفسه ، وهو ما سبب اتخاذ أبي جهل ذلك الموقف العدائي من الدعوة ، وتزعمه لحملة الأذى والفتنة الموجهة لرسول الله ﷺ وأصحابه ، وانفراده من بين قريش خاصة بقتل بعض المستضعفين منهم ؟ ، صحيح إن كفار قريش عامة كانوا يحملون معه راية الرفض لكنهم كانوا يلينون في بعض المواقف أو في بعض الحالات ، أما هذا الرجل فلم تأخذه هوادة في جانب المسلمين ، ولم تتحرك في قلبه شفقة أو رحمة لأحد منهم .

عندما نفتش في المصادر بحثاً عن الإجابة لهذا التساؤل نجد فيها لمحات وومضات تهدي إلى الإجابة الشافية وتقود إلى الحكم الصحيح على هذا الرجل ، لا من رواية واحدة فحسب ، وإنما من خلال مجموع متكامل من الروايات يعطي دلالة واضحة محددة .

وأول الروايات تلك الرواية التي سبق وأن أوردنا شطراً منها في عرض سابق في الفصل الأول من هذا البحث[1] وهي رواية الإمام الزهري عن استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس بن شُريق لقراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث ليال متتالية ، وقد ورد في آخرها أن الأخنس بن شُريق لما أصبح أخذ عصاه ثم ذهب إلى أبي سفيان في بيته وسأله عن رأيه فيما سمع من قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال أبو سفيان : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ، قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل في بيته ،فقال له : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال أبو جهل : ماذا سمعت ؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من

---

(١) انظر ص ٢٥ ـ ٢٦ .

السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟! والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه ، قال : فقام الأخنس من عنده وتركه(١) .

والرواية الثانيه عند البيهقي بسنده عن المغيرة بن شعبة(٢) قال : إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة ، إذ لقينا رسول الله ﷺ ، فقال لأبي جهل : « يا أبا الحكم هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله ، أدعوك إلى الله » . فقال : يا محمد ، هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد أن نشهد أنك قد بلّغتَ ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت ، فوالله لو أني أعلم ما تقول حق لاتبعتك . فانصرف عنه رسول الله ﷺ ، وأقبل عليّ ،فقال: والله إني لأعلم أنما يقول حق ،ولكن يمنعني شيء ، إن بني قصي قالوا : فينا الحجابة ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا السقاية، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا الندوة ، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا اللواء ، فقلنا : نعم ، ثم أطعموا وأطعمنا ، حتى إذا تحاكّت الرُّكَب ، قالوا : منا نبي ، والله لا أفعل(٣) .

ومن ذلك ما روي عن أبي يزيد المدني أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقي أبا جهل فصافحه ، فقال له رجل : ألا أراك تصافح هذا الصابيء ؟ فقال : والله إني لأعلم أنه لنبي ، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعاً ؟ وتلا أبو يزيد : ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٦٦ .

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبدالله، أحد الدهاة والولاة المشهورين صحابي، أسلم سنة ٥ هـ ، وشهد مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الحديبية، ثم شهد اليمامة، وعدداً من المعارك المهمة في الفتوحات، تولى لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان، ثم لمعاوية، وأكثر ولايته كانت على الكوفة، ومات وهو عليها سنة ٥٠ هـ. انظر عنه ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/٣٨٨ وما بعدها، وابن حجر: الإصابة ٣/٤٥٢ وما بعدها.

(٣) البيهقي : دلائل النبوة ٢/٢٠٧ .

﴿يَجْحَدُونَ﴾[1] أي يعلمون إنك لرسول الله ويجحدون ذلك[2].

وكان سبب نزول هذه الآية كما روي عن علي رضي الله تعالى عنه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب بما جئت به فنزلت[3] ، قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : في هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته تعالى له ﷺ وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له ، معترفين بصدقه قولاً واعتقاداً . . . فدفع بهذا التقرير ارتماضَ نفسه بِسِمَةِ الكذب ، ثم جعل الذم لهم بتسميتهم (جاحدين) و(ظالمين)[4].

ثم أورد ابن كثير حواراً آخر جرى بين الأخنس بن شريق وبين أبي جهل بشأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفيه أن الأخنس خلا بأبي جهل ، فقال له : يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ها هنا من قريش غيري وغيرك يستمع كلامنا ، فقال أبو جهل :ويحك ، والله إن محمداً لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟ ثم ساق ابن كثير قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[5] .

ورواية أخيرة تفيد أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرّ على أبي جهل وأبي سفيان وهما جالسان ، فقال أبو جهل : هذا نبيكم يا بني عبد شمس . فقال أبو سفيان : وتعجب أن يكون منا نبي ، والنبي يكون فيمن هو

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٣٣ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/١٣٠ .
(٣) سنن الترمذي ٥/٢٦١ حديث ٣٠٦٤ ، وانظر النيسابوري : أسباب النزول ١٤٥ .
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/٨٣ .
(٥) تفسير ابن كثير ٢/١٣١ .

أقـل منا وأذل . فقـال أبـو جهـل عجبت أن يخـرج غـلام من بين شيـوخ نبيا . . .[1] .

وهكذا فجميع الروايات السابقة تدل على أن إصرار أبي جهل على الكفر وعدم دخوله في ساحة الإيمان ، وبغضه للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وللمسلمين وقيامه بالفتنة ، لم يكن بسبب خفاء الحق عليه أو إلتباسه ، وإنما بسبب حسده وشنآنه للرسول ﷺ ولبني هاشم أن يخرج الرسول من بينهم ، فيُحْرَم هو وقومه هٰذا الفضل ، ولم يعلم أن فضل الله يؤتيه من يشاء من خلقه، والله أعلم حيث يجعل رسالته . وكل الروايات السابقة ظهر الحق فيها على لسانه ، وبان كذبه ، في تصديه للنبي ﷺ بأنه لم يكن عن عدم اقتناع بما جاء به ، بل بسبب الحسد والحقد والعناد والمكابرة[2] .

ولم يكتف هذا الحاسد الحاقد بكفره هو وإعراضه عما جاء به رسول الهدى صلى الله تعالى عليه وسلم بل كان حريصاً كل الحرص على الصد عن سبيل الله تعالى وعلى أن يشاركه في كفره وفجوره أهـل مكة كلهم ، والدليل على ذلك أنه كان شديد الأذية للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وللمسليمن عامة وذلك من أجل أن يصرف الرسول عن دعوتـه ، ويصرف المسلمين عن الإسـلام ليظلوا على الشـرك ، وكان يصيبـه الهم والغم ، والمقيم المقعد عندما يسمع أن أحداً وَلَجَ في ساحة الإسلام حديثاً ، فيحاول بشتى الوسائـل صرفـه عن دينه ، وقـد سلك خطة تـدل على خبث ودهاء لمواجهة من يسلم ، فإذا سمع بالرجل قد أسلم وهو من أهل الشرف والمنعة أنَّبه وأخزاه ، وقال له : تركتَ دينَ أبيك وهو خيرٌ منك ، لَنُسفِّهَنَّ حلمَك ، ولَنُفَيِّلن رأيك ، ولنضعنَّ شرفك .

وإن كان تاجراً قال له : والله لَنُكَسِّدن تجارتك ، ولنهلكن مالك .

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة ٢/٢٨٤ .

(٢) وهذا طبعاً بعدالسبب الأول ، وهو عقيدة التوحيد التي جاء بها الرسول ﷺ ، والتي لم يتقبلها أبو جهل وأضرابه من كفار قريش ونفروا بسببها . .

وإن كان ضعيفاً لا عشيرة له ضربه ، وأغرىٰ به حتى يُصبَّ عليه أليم العذاب[1] .

وكان يسؤوه أن يعتنق هذا الدين أحد حتى من خارج مكة وحتى من غير العرب ، فتحدثنا المصادر أن وفداً من نصارى الحبشة أو من نصارى نجران قدموا على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجلسوا إليه وكلموه ، وسمعوا منه ، ففاضت أعينهم من الدمع ، وآمنوا به صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا لهم : خيَّبكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم ، لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركباً أحمق منكم ، فقالوا لهم : سلام عليكم ، لا نُجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نألُ أنفسنا[2] . وهذا لا شك ناتج من خشية أبي جهل وكفار قريش من أن تنتشر دعوة الرسول ﷺ على نطاق واسع ، فيصعب عندئذ حصرها والقضاء عليها .

أما خطة أبي جهل مع من يراه يلين للرسول ﷺ ويستمع إلى كلامه من صناديد قريش وكبرائهم فهي خطة تدل على خبث ودهاء ، لمّا جاء الوليد بن المغيرة إلى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقرأ عليه الرسول من القرآن ، فكأن الوليد رقّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه ، فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه ، فإنك أتيت محمداً لِتَعْرِض ما قِبَلَه ، قال : قد عَلِمَتْ قريش أني من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له . . وما زال به حتى قال عن الرسول ﷺ إنه ساحر[3] .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٦٨ ـ ٦٩ ، والبلاذري : أنساب الاشراف ١/١٩٨ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٣٥ .
(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ١/٤٩٨ ـ ٤٩٩ .

ثم يتكرر المشهد مرة أخرى مع عتبة بن ربيعة عندما سمع القرآن من الرسول ﷺ وتأثر به تأثراً شديداً ، فذهب إلى أهله ، واحتبس عن قريش ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صَبَا إلى محمد وأعجبه طعامه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته ، فانطلقوا بنا إليه ، فأتوه ، فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كان لك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة ، وأقسم ألا يكلم محمداً أبداً ، وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً[1] .

فانظر كيف دخل على الرجلين من الباب الذي يمس كبرياءهما وعظمتهما ، وهو أنهما ما استمعا من محمد ومالا إلى كلامه إلاّ رغبة فيما عنده من طعام وبسبب حرصهما على ما عندهما وشحهما على نفسيهما ، وهو في قرارة نفسه يعلم أنه كاذب ، ولكنه يريد أن يثير فيهما الغيرة والأنفة ، وهكذا كان ، فقد زال ما كان في نفسيهما من أثر ، وعادا أشد ما يكونان عداوة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومن صده عن سبيل الله تعالى أنه رأى رجلاً من هذيل ، يقال له عمرو ، قدم مكة بغنم له فباعها ، ورآه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأخبره بالحق ودعاه إليه ، فقام إليه أبو جهل ، وكان خفيفاً حديد الوجه والنظر ، به حَوَل ، فقال له : انظر ما دعاك إليه هذا الرجل ، فإياك أن تركن إلى قوله أو تسمع منه شيئاً ، فإنه قد سفه أحلامنا ، وزعم أن من مات منا كافراً ، يدخل النار بعد الموت ، وما أعجب ما يأتي به . .[2] .

ومن غير ريب أن عمل أبي جهل هذا كان يؤذي النبي ويؤلمه كثيراً ، لأنه يذهب بأثر جهوده في الدعوة سدى ، ويقلل من أتباعه ومناصريه ،

---

(١) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٤٤٩ .
(٢) والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٨ .

ويحولُ بين الناس وبين التعرف على الخير والانتفاع بما جاء به الرسول ﷺ من الهدى .

وأخيراً فإن مما يلاحظ على سلوك هذا المعاند ، أنه كان أحياناً يباشر أذيةَ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه ، إما بالقول ، كما فعل مثلاً عندما سبَّ الرسول ﷺ سبّاً قبيحاً مما كان سبباً في إسلام حمزة بن عبد المطلب ، وإما بالفعل مثلما فعل عندما أراد أن يلقي على الرسول حجراً كبيراً ، ولكن الله تعالى حمى رسوله منه . وأحياناً أخرى يغري مَنْ حوله أو يستحث من معه من كفار قريش بفعل الأذى ، كما حصل عندما استحث القوم على وضع سلا الجزور على ظهر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد ، فقام عقبة بن أبي معيط ففعل ، وتراه عندما يرى الأمر مُحْتَقِباً والموقف متأزماً يحاول أن يرفأ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويسترضيَه بأرق الكلمات ، وكل هذا مكر منه وخوف وخداع .

أبو لهب وامرأته :

هو عبد العزى بن عبد المطلب، عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وصنو أبي جهل في أذيته لله ولرسوله، بل كان أسبق من أبي جهل في إعلان عداوته للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، وكان ذلك في أول يوم جمع فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهله وعشيرته عندما نزل عليه قوله تعالى :

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(٢) ، فأطعمهم وأسقاهم ، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بَدَرَه أبولهب إلى الكلام ، فقال : لقد سحركم محمد(٣) ، لِمَا

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٩٤ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ١/١٨٧ ، وانظر البيهقي : دلائل النبوة ٢/٩٢، ١٧٩ ـ ١٨٠ .

رأى من البركة في الطعام والشراب ، وفي بعض الروايات أنه قال : هؤلاء عمومتك وبنو عمك فتكلم بما تريد ودع الصلاة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة ، وإن أحبّ من أخذك فحبسك أسرتك وبنو أبيك إن أقمت على أمرك ، فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش وتمدها العرب ، فما رأيت يا ابن أخي أحداً قطُّ جاء بني أبيه وقومه بشرٍّ مما جئتهم به . وعندئذ سكت الرسول ﷺ فلم يتكلم في ذلك المجلس ، ومكث أياماً متأثراً بكلام أبي لهب ، ثم جمعهم رسول الله ﷺ ثانية ، فدعاهم إلى الله عز وجل وأظهر المودة لهم ، وكان مما قال : « إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبتُ الناسَ جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة . . . » ، فتكلم أبو طالب مشجعاً ومؤازراً ، وتكلم القوم كلاماً ليناً غير أبي لهب فإنه قال : يا بني عبد المطلب هذه والله السوءة ، خذوا على يديه قبل أن يأخذ على يديه غيركم ، فإن إسلمتموه حينئذ ذللتم ، وإن منعتموه قتلتم ، فقال أبو طالب : والله لنمنعنه ما بقينا[1] .

وقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى أحاديث عن أبي هريرة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن غيرهما تبين دعوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قريشاً بعدما صعد على الصفا وناداهم بمختلف بطونهم وأنذرهم بعد أن أخذ إقرارهم بصدقه ، فسكت القوم إلا أبا لهب فقد قال : تبا لك ! أما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام ، فنزلت سورة المسد[2] :

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴾ .

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١١٨ ـ ١١٩ .
(٢) صحيح البخاري ٦/٩٤ ، حديث ٣٥٥ .

وقد ذكر في سبب نزول هذه السورة عدة روايات منها :

ما روي أنه كان يقول : يعدني محمد أشياء لا أراها يزعم أنها كائنة بعد الموت ، فماذا وضع في يدي بعد ذلك ؟ ثم ينفخ في يديه ، ويقول : تبّاً لكما ، ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد ، فأنزل الله تعالى ﴿تبت يدا أبي لهب. . .﴾[1] .

وما ورد أن سادن العزى[2] حينما حضرته الوفاة جاءه أبو لهب يعوده ، فقال له : يا أبا عتبة أظن أن العزى ستضيع بعدي ، فقال أبو لهب : كلا أنا أقوم عليها ، فإن يظهر محمد ، ولن يظهر ، فهو ابن أخي ، وإن تظهر العزى ، فهي الظاهرة ، ليت قد اتخذت عندها يداً ، فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب. . .﴾[3] .

وما ذكر ابنُ اسحاق في رواية له أن أبا لهب خرج يُظاهر قريشاً على بني هاشم وبني المطلب عندما أحكم عليهم الحصار في الشِّعب ، فقال لهم : نصرت اللات والعزى يا معشر قريش ، فأنزل الله عز وجل ﴿تبت يدا أبي لهب. .﴾[4] .

ولا شك أن الرواية الأولى أصح الروايات المذكورة لثبوتها في الصحيحين وغيرهما ، وهي تدل على أن أبا لهب اتخذ موقفه المضاد منذ الأيام الأولى للدعوة ، وأنه حاول ثني الرسول ﷺ وصرفه عما هو فيه بالإنكار الشديد في وقت مبكر ، وليس هناك ما يمنع أن يكون ما حصل في الروايات الأخيرة صحيحاً ولكن بعد نزول السورة .

وقد خالف أبو لهب عشيرته وخرج عن إجماعها في الدفع عن رسول

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ١٠٢/٢ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١٢١/١ .

(٢) أي خادمها والقائم على أمرها وهو أفلح بن النصر السلمي ، وقيل هو دبية بن حرمي السلمي . أنظر البلاذري : أنساب الأشراف ١٢١/١ . والقول الأول أقرب للصواب لأن دبية بن حرمى قتله خالد بن الوليد بعد فتح مكة عندما هدم العزى ، الكلبي : الأصنام ص ١٨ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١٢١/١ .

(٤) السير والمغازي ص ١٥٦ .

الله ﷺ ، بل ليته اكتفى بذلك وإنما نَصَبَ لعداوته مع من نصب له ، ولهذا غمزه أبو طالب في قصيدة له[١] . وكان جاراً للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يطرح القذر والنتن على بابه ، وكان هو وعقبة بن أبي معيط أشر جارين للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، يدل على ذلك قوله : كنت بين شر جارين ، بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ، كانا يأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي ، فيخرج رسول الله ﷺ فيقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟ ثم يلقيه بالطريق[٢] . وقد رأى حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه أبا لهب مرة وهو يؤذي النبي ﷺ بطرح شيء من الأقذار عند بابه ، فأخذه وطرحه على رأسه ، فجعل أبو لهب ينفض رأسه ، ويقول : صابيء ، أحمق ، فأقصَرَ عما كان يفعل ، لكنه كان يدس من يفعله ويغري بذلك[٣] .

وكان موقف أبي لهب من حصر بني هاشم وبني المطلب في شعب أبي طالب موقفاً مخزياً له إذ أنه أصاب أهلَه وذويه البلاءُ والجهدُ وهو مظاهر لأعدائهم عليهم ، بل كان يعتبر ذلك مصدر فخر واعتزاز أمام رجال قريش ونسائها ، روي أنه لقي هند بنت عتبة بن ربيعة زوجة أبي سفيان بعد أن فارق قومه وأعان على حصرهم في الشعب ، فقال لها : يا بنت عتبة هل نصرتُ اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة[٤] . حقاً إن المفاهيم لتنقلب عند من يطمس الله على بصيرته فيرى الباطل حقاً والحق باطلاً ، وصدق الله الحكيم حيث يقول : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾[٥] .

ولا شك أن من يستقريء مواقف أبي لهب في أيام محنة المسلمين وبني

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٠ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣١ ، وابن الجوزي : الوفا ١/١٨٢ .
(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣١ .
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٠٢ .
(٥) سورة فاطر : الآية ٨ .

هاشم وبني المطلب في الشعب يلاحظ أن هذا الرجل عديم الولاء ، شديد الحقد ، منزوع الرحمة والشفقة ، مبغض وشانيء لكل من اتبع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو حامىٰ دونه ، كان أحد هؤلاء في أيام المحنة يأتي إلى السوق ليشتري شيئاً من الطعام لعياله ، فيقوم أبو لهب عدو الله ، فيقول : « يا معشر التجار ، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئاً ، فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي ، فأنا ضامن أن لا خسار عليكم ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً ، حتى يرجع إلى أطفاله ، وهم يتضاغون من الجوع ، وليس في يديه شيء يطعمهم به ، ويغدو التجار على أبي لهب ، فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس ، حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعاً وعرياً »[1] .

أما الموقف الذي يُعَبّر عن طبيعة هذا الرجل المتذبذبة وحياتـه غير المستقرة نتيجة للشقاء الذي عاشه ، فهو موقفه من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاة أبي طالب الذي نذر نفسه ومن تحت يده من بنيه ومن أطاعه من قومه لحماية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عداوة قريش وغائلتهم . إذ أنه بوفاة أبي طالب ثم وفاة خديجة بنت خويلد بعده بأيام تضاعف الحزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتجرأ عليه سفهاء قريش بالأذى ، فأقلَّ الخروج من منزله ، وقلَّ نشاطه في الدعوة ، ويبدو أن هذا التحول في حياة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم قد أثّر على أهله وذويه وأصحابه ، فيروىٰ أن بنات عبد المطلب اجتمعن في ذلك الوقت فجئن إلى أبي لهب فقلن له : محمدٌ ابن أخيك ، فلو عضدتَه ومنعتَه ، كنتَ أولى الناس بذلك[2]، فحركته عصبية العشيرة والرحم ، فجاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عازم على معاضدته ، فقال له : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعاً عندما كان أبو طالب حياً فاصنعه الآن ،

---

(١) السهيلي : الروض الأنف ٢/١٢٧ ـ ١٢٨ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢١ .

وأقسم بآلهته أنه لن يسمح لأحد أن يطال النبي بأذى حتى يموت ، ولكنه اصطدم بأول عقبة عندما جاء ابن الغيطلة ، فآذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فنال منه أبو لهب ، فاستغرب ابن الغيطلة وولّىٰ يصيح مخبراً قريشاً بتحول أبي لهب إلى الإسلام ومؤازرة الرسول . فلما جاءت قريش طمأنهم بأنه ما زال على شركه ، ولكنه يمنع ابن أخيه أن يؤذىٰ[1] ، وقد أيدوه على ذلك، وفرحوا ببقائه على دينهم، لأن تحوله إلى الإسلام يشكل ضربة قاصمة لهم، لمكانته فيهم، ويبدو أن أبا لهب تكاثر هذا الموقف الغريب على نفسه، فاستعجل الخلاص منه، وانتظر الوقت المناسب، وقد وجده عندما جاء إليه نفر من قريش فرغبوا إليه أن يسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن حال أبيه عبد المطلب ومدخله ـ ويبدو أنهم كانوا مدركين لطبيعة أبي لهب المتذبذبة ـ فدخلَ فسأل النبي، فقال: مع قومه. فخرج أبو لهب إليهم فأخبرهم بما قال، فقالوا: إنه يزعم أنه في النار. فدخل أبو لهب ثانية، وقال: يا محمد أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: نعم، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار، فقال أبو لهب: والله لا برحتُ لك عدواً أبداً، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار، فتخلّىٰ عنه، وانضم إلى قريش في أذيته ومعاداته[2].

وفي أعقاب ذلك تضاعف الحزن على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، واشتد القوم عليه فسافر إلى الطائف ، وكان من حاله ما ذكرنا في الفصل الأول[3] ، ثم عاد ، وركز على دعوة القبائل والزعماء والأفراد الذين يقصدون مكة للحج أو العمرة أو التجارة ، فركّز أبو لهب جهده للحيلولة بين الرسول ﷺ وبين النجاح في هذه الأوساط ، فكان يتبعه إلى أي مكان

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢١١/١ . ذكرنا فيما سبق من هذا البحث ص٣٧ الرأي في هذه الرواية .

(٢) ابن سعد الطبقات الكبرى ٢١١/١، والحلبي : انسان العيون ٥١/٢.

(٣) راجع ص ٤٧ وما بعدها .

يقصده ، محذراً الناس من الاستماع إليه أو الركون إلى قوله ، لأنه ساحر مجنون كذاب ، وقد ساق الإمام أحمد في مسنده[١] ، وغيره[٢] عدداً من مواقف أبي لهب في الصدّ عن سبيل الله تعالى ، في أوساط القبائل عندما دعاهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الله عز وجل .

رُوي في حديث خرّجه الدارقطني أن أبا لهب كان يمشي خلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يعرض نفسه على القبائل ، فيرجمه بالحجارة حتى أدمىٰ كعبيه وعرقوبيه وساقيه ، وهو يقول : يا أيها الناس لا تطيعوه ولا تسمعوا منه فإنه كذّاب[٣] .

ولا ريب أن عمله هذا كان يبعث الضيق والألم في نفس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، إذ أنه يفسد عليه جهوده في الدعوة ، ويوغر صدور الناس عليه ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن مثلاً أو غيرها من البلاد النائية فيأتيه قومه قبل أن ينطلق فيقولون له : « إحذر غلام قريش لا يفتنك »[٤] .

ولا شك أن هذا التوجيه أو هذه الوصاية تعتبر أثراً من آثار الدعاية السيئة التي كان ينشرها أبو لهب وأضرابه في أوساط القبائل الوافدة على مكة .

وقد سار على نهج أبي لهب في عداوته للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأذيته بعضُ ولده[٥] ، وزوجته أم جميل بنت حرب بن أمية بن عبد

---

(١) ٣/٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

(٢) انظر مثلاً ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٧٣ ـ ١٧٤ ، والسهيلي : الروض الأنف ٢/١٨٢ .

(٣) ابن الجوزي : الوفا ١/١٨٢ ، وابن يوسف : سبل الهدى ٢/٥٩٤ .

(٤) ابن الجوزي : الوفا ١/١٨٢ .

(٥) كان لأبي لهب ثلاثة من البنين هم عتبة ومعتّب وعتيبة ، أسلم الأولان بعد فتح مكة وشهدا حنيناً مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وثبتا فيمن ثبت معه ، وأصيبت عين معتب يومئذ ، وأقاما بمكة ولم يهاجرا إلى المدينة ، ولهما عقب ، أما عتيبة فسيأتي الحديث عنه . انظر الزبيري : نسب قريش ص ٨٩ ـ ٩٠ .

شمس ، ولذا كان بيت أبي لهب بيت حقد وعداوة وكراهية للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، هذا على الرغم من أن بنتين من بنات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كانتا تحت ابنين من أبناء أبي لهب ، وهما عُتبة وكان تحته رُقيَّة ، وعُتيبة وكان تحته أم كلثوم .

روى البيهقي بسنده أنه لما أنزل الله عز وجل ﴿تبت يدا أبي لهب وتب . . .﴾ قال أبو لهب لابنيه عتيبة وعتبة : رأسي ورؤوسكما حرام إن لم تطلِّقا ابنتي محمد ، وسأل النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم عتبةَ طلاقَ رُقيَّة ، وسألته رُقيةُ ذلك ، وقالت له أم جميل أمه : يا بُنَيَّ طلقها ، فإنها قد صَبَتْ ، فطلَّقها ، وطلَّق عتيبةُ أمَّ كلثوم ، وجاء عتيبةُ إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين فارق أم كلثوم ، فقال : كفرتُ بدينك وفارقتُ ابنتك ، لا تحبني ولا أحبك ، ثم تسلط على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشقّ قميصه ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « أما إني أسأل الله أن يسلط عليه كلبه » فخرج عتيبة في تجارة مع نفر من قريش إلى الشام ، فلما نزلوا بمكان يقال له « الزرقاء » أو « حوران » ليلاً أطاف بهم الأسد تلك الليلة ، فجعل عتيبة يقول : يا ويل أمي هو والله آكلي كما دعا محمد عليَّ ، فعوى عليه الأسد من بين القوم وأخذ برأسه فضغمه ضغمة فذبحه[1] .

وزاد البيهقي في رواية أن الأسد لما طاف بهم تلك الليلة انصرف عنهم فناموا ، وجُعل عتيبة في وسطهم ، فأقبل الأسد يتخطاهم ، حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه[2] .

وورد في بعض الروايات أنه جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له : يا محمد (هو) يكفر بالذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ،

(١) دلائل النبوة ٢/٣٣٨ - ٣٣٩ .
(٢) المصدر نفسه ٢/٣٣٩ .

فقال الرسول ﷺ « اللهم ابعث عليه كلباً من كلابك » . . .[1] .

أما زوجة أبي لهب أم جميل فقد اختلف في اسمها فقيل هي العوراء بنت حرب بن أمية[2] ، وقيل أروى[3] ، وهي حمالة الحطب ، سماها الله تعالى بذلك ، لأنها كانت تحمل الشوك والسعدان فتطرحه على طريق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يمر هو وأصحابه لتعقرهم بذلك[4] ، فأنزل الله تعالى فيها ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ﴾[5] ، أي في عنقها حبل من ليف المقل ، وهي السلسلة التي في النار[6] ، فقد كانت تؤذي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثيراً ، وتمشي بالنمائم[7] ، وحينما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن الكريم قصدت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر الصديق ، وفي يدها حجارة ولها ولولة ، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ ، فلا ترى إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني ؟ والله لو وجدته لضربت بهذا الفِهْر من الحصىٰ فاه . أما والله إني لشاعرة ثم قالت :

مُذمَّماً عَصَيْنَا ... وأَمْرَه أَبَيْنَا ... ودينَه قَلَيْنَا

ثم انصرفت ، فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأتك ؟ فقال : ما رأتني ، لقد أخذ الله ببصرها عني[8] . قال فيها الأحوص الشاعر الأنصاري[9] :

---

(١) السيوطي : الخصائص الكبرى ١/١٤٧ .
(٢) الذهبي : السيرة النبوية ص ٨٣ ، والسيوطي : الخصائص الكبرى ١/١٢٧ .
(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ١/٤٦١ .
(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٠٣ ـ ١٠٤ ، وابن يوسف : سبل الهدى ٢/٦١٠ .
(٥) سورة المسد ، الآيتان ٤ ، ٥ .
(٦) صحيح البخاري ٦/٩٥ .
(٧) السهيلي : الروض الأنف ٢/١١٢.
(٨) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/١٠٤ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٢ ـ ١٢٣ .
(٩) المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٨٩ .

مـا ذاتُ حبـلٍ يَـراه النـاسُ كلّهمُ وَسْطَ الجحيم ولا يَخْفَىٰ علىٰ أَحَدِ
كلُّ الحبال حبالِ الناسِ من شَعَـرٍ وَحَبْلُهَـا وَسْطَ أهلِ النـار من مسـدِ

وكانت وفاتها كما ذَكر أهل السير أنها كانت تحمل في ذات يوم حزمة من الشوك والأذى تريد طرحها في طريق الرسول ، فأعيت فقعدت على حجر تستريح فأتاها مَلَك فجذبها من خلفها بالحبل الذي في عنقها فخنقها به ، فهلكت[1] .

وبهذا أراح الله تعالى نبيه من شر هذه المرأة الخبيثة ومن شر ولدها ، أما أبو لهب فقد كانت عـاقبته إلى التبـاب والخسران والهجـران حتى من أولاده ، يقال إنه مرض بداء العَدَسَة[2] وبسببه مات ، وكانت العرب تتشاءم من هذا المرض وتخاف منه العدوى ، فيقال : إنه لمّا مات ـ وكان ذلك بعد بدر بسبعة أيام ـ امتنع أولاده من القرب منه أو مواراته خوفاً من العدوى ، ثم اجتمع رأيهم بعد ثلاثة أيام أن يرموه بالحجارة حتى يواروه خوفاً من الفضيحة والعار ، فرموه حتى واروه بالحجارة ، وقيل : إنه حفر له حفرة ثم دفع فيها بعود من بعيد[3] ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة وسوء العاقبة .

وفي نهاية الحديث عن أبي لهب نحاول الإجابة على تساؤل قد يطرأ على ذهن القارىء ، وهو ما سبب خذلان أبي لهب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، واتخاذ هذا الموقف العدائي منه ، شاذاً عن كل أهله وأقاربه سواء من دخل منهم في الإسلام أو ظل على شركه ، مع أنّه عمه ، وصهره ، وجاره في بيته ! وأحق الناس بمؤازرته ونصرته والذب عنه ، ولكن لمّا لم يقم بذلك فقد اتخذ موقفاً يدعو للاستغراب والتساؤل .

وإذا فتشنا في المصادر التاريخية بحثاً في هذا الموضوع ، نجد بعض

---

(١) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٦١٠ .
(٢) العَدَسَةُ : بَثْرةٌ تخرج في البدن ، كالطاعون ، وقلّما يسلم صاحبها ، المعجم الوسيط ٢/٥٨٧ .
(٣) ابن عبد البر : الدرر ص ١٧ ، الحاشية ١ .

الروايات التي قد تساعد على فهم الموقف ، ساق البلاذريُّ روايتين ، ذكر في الأولى أن صفية بنت عبد المطلب أختَ أبي لهب جاءت إليه فقالت له : « أي أخي أَحَسُنَ بك خذلان ابن أخيك وإسلامه ، فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضئي[1] عبد المطلب نبي فهو هو » ، فقال أبو لهب : « هذا والله الباطل ، والأماني ، وكلام النساء في الحجال ، إذا قامت بطون قريش كلها ، وقامت معها العرب ، فما قُوَّتُنَا بهم . والله ما نحن عندهم إلا أكلة رأس »[2] .

وأما الثانية فجاء فيها أنه وقع بين أبي لهب وأبي طالب كلام ، تحول إلى صراع فظهر أبو لهب ، وقعد على صدر أخيه أبي طالب ، وجعل يضرب وجهه ، فلما رآه الرسول ﷺ لم يتمالك أن أخذ بضبعي أبي لهب فضرب به الأرض ، ثم تحول أبو طالب على صدره ، فجعل يضرب وجهه ، فقال أبو لهب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم : هو عمك وأنا عمك ، فلم فعلت هذا فيّ ؟ والله لا يحبك قلبي أبداً[3] .

هذه الرواية الأخيرة ـ إن كانت صحيحة ـ فيبدو أنها كانت بعد أن حدد أبو لهب موقفه من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دعوته ، لأن البلاذري ساقها بعد أن ذكر أن أبا لهب كان أحد من يؤذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويظهر أن الكلام بينهما كان في شأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي آخرها وهو قوله « والله لا يحبك قلبي أبداً » ما يشعر بأن أبا لهب كان يكره الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأنه سيستمر على ذلك الكره .

وأما الرواية الأولى فتعطي بُعْداً واضح الدلالة بأن أبا لهب يحمل روحاً انهزامية وخوفاً من بطون قريش والعرب كافة أن ترمي بني هاشم عن قوس

---

(١) أي من صلب .
(٢) أنساب الأشراف ١/١١٩ .
(٣) أنساب الأشراف ١/١٣٠ ـ ١٣١ .

واحدة ، فلا يكون لبني هاشم بهم عندئذ طاقة ، وهذا الأمر يعتبر مقبولاً إلى حد كبير ، فأبو لهب من كبار رجال الملأ في قريش ، وذو مال وفير كما دلت على ذلك الآية ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ فمن البدهي أن يخشىٰ من نتائج أي دعوة جديدة ، أو أي تحول في مسار الحياة العامة في قريش ، قد يؤثر على مركزه الاجتماعي أو المالي ، حتى ولو كان صاحب هذه الدعوة من أقرب الناس إليه ولا يبعد أن يكون لزوجته ـ حمالة الحطب ـ أثر في إذكاء روح عداوته للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأنها تحضّه كلما رأت منه جنوحاً إلى التروي أو الفتور ، بسبب ما كان يربطه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من روابط العصبية وتقاليدها ، وليس بعيداً أن يكون تأثيرها عاملاً في شذوذ هذا العم عن سائر أفراد عشيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الأقربين الذين كانوا يحامون عنه وينصرونه بدافع العصبية[١] ، ولا يبعد أيضاً أن يكون أبو لهب تأثر بدافع عصبية التقاليد وتعظيم موروثات الآباء والأجداد ، حتى طغى على أثر عصبية العشيرة والرحم ، لا يبعد أن يكون من الأسباب المساعدة على اتخاذ أبي لهب ذلك الموقف الشاذ ، والله تعالى أعلم[٢] .

عقبة بن أبي معيط :

ثالث الثلاثة الذين تنتهي إليهم عداوة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قريش ، ومن أكثرهم أذية وجرأة على شخص الرسول ، ولذلك كان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له : يا ابن أبان ـ وكان اسم أبي معيط (أبان) ـ أما أنت بمقصر عما نرى ؟ فقال : لا ، حتى تدع ما أنت عليه ، فقال : والله لتنتهيَن أو لَتَحُلّنَّ بك قارعة[٣] . وهذا الحوار القصير يبين

---

(١) انظر دروزة : سيرة الرسول ١/١٧٤ .

(٢) وأذكر هنا مرة أخرى بأن تلك الأسباب يأتي أثرها بعد السبب الذي أشرنا إليه سابقاً وهو عقيدة التوحيد .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٥ ـ ١٢٦ .

لطف أسلوب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في مخاطبته حتى لمثل هذا الكافر العنيد ، ويدل على أنه كان كثير الإزعاج والأذى للرسول ﷺ ، فلما أظهر عتوه وعناده توعده الرسول بالنقمة .

وقد كان جار سوء للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم آخذاً على نفسه أن يتعاهده بجلب الأذى والقاذورات فيطرحها على بابه ، فيخرج الرسول ﷺ فيلقيها بعيداً ويقول : يا بني عبد مناف أي جوار هذا ؟[1] . وكان ﷺ يشتكي مراراً من سوء جواره وجوار أبي لهب ، وهما أشر جيرانه[2] ـ كما ذكر ـ .

ومن الأمثال التي تبيّن دناءة هذا الكافر المعاند ما روى البلاذريُّ بإسناده أن عقبة بن أبي معيط عَمَد إلى مكتلٍ[3] فجعل فيه عَذِرَة ثم ألقاه على باب الرسول ﷺ ، فبَصُر به طُلَيْب بن عمير بن وهب ـ وأمه أروى بنت عبد المطلب ـ فأخذ المكتل منه ، وضرب به رأسه ، وأخذ بأذنيه ، ونشب به عقبه ، فذهب به إلى أمه ، فقال لها : ألا ترين إلى ابنك قد صار غرضاً دون محمد ؟ فقالت : ومَنْ أولى منه بذلك ؟ هو ابن خاله ، أموالنا وأنفسنا دون محمد[4] .

وكان من أشد قريش عداوة وصراحة في إظهارها ، وكيداً للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ،وقد أوردنا في صدر هذا البحث نماذج متعددة من مواقفه الجريئة في الأذى ، التي تدل على بغضه الشديد للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وحرصه على فتنته أو موته ، وهي مواقف ثابتة ساقها البخاري ومسلم في صحيحيهما ، ومنها وضعه سلا الجزور على ظهر

---

(١) ابن الجوزي : الوفا . . ١/١٨٢ .
(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/٢٠١ .
(٣) أي زنبيل .
(٤) أنساب الأشراف ١/١٤٧ .

الرسول وهو ساجد[1] ، وخنقه إياه وهو يصلي فأنقذه أبو بكر[2] ، ومنها وطؤه رقبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان[3] ، وقد ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال : « إنه وطيء على عنقي وأنا ساجد ، فما رفع حتى ظننت أن عينيّ قد سقطتا »[4] . وقد ورد أنه كان أشقىٰ القوم[5] .

ومن مواقفه البذيئة ما رواه عدد من الأئمة الأعلام بأسانيد صحيحة عن مِقْسَم مولى ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط صنع طعاماً ودعا أهل مكة ، ودعا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ضمنهم ، فلما دعاه إلى الأكل قال : ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله ، فقال : اطعم يا ابن أخي ، فقال : ما أنا بالذي أفعل حتى تقول ، فشهد بذلك وطعم من طعامه . .

وكان له صديق غائب بالشام هو أُبيّ بن خلف ـ في أرجح الروايات ـ فلما قدم ليلاً ، سأل امرأته ما فعل محمد ؟ قالت : أشد ما كان أمراً ، فقال : ما فعل خليلي أبو معيط ؟ فقالت : صَبَأ ، فبات بليلة سوء ، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحيّاه ، فلم يرد عليه التحية ، فقال : ما لك لا ترد عليّ تحيتي ، فقال : كيف أرد عليك تحيتك وقد صبأت ، قال : أَوَ قَدْ فَعَلَتْهَا قريش ؟ لا والله ما صبأت ، ولكن دخل علي رجل فأبى أن يأكل من طعامي إلا أن أشهد له ، فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم ، فشهدت له . قال : ما أنا بالذي أرضىٰ عنك حتى تأتيه فتبزق في وجهه ، وفي رواية أن عقبة قال : ما يبرىء صدور قريش إن أنا فعلت ؟ قال : تأتيه في مجلسه

---

(١) صحيح البخاري ٣/٢٣٤ ، وصحيح مسلم ٢/١٤١٨ .
(٢) صحيح البخاري ٣/٢٤٠ ، ٦/٣٤ ـ ٣٥ .
(٣) السهيلي : الروض الأنف ٢/٤٨ .
(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٨ .
(٥) صحيح البخاري : ٣/٢٣٤ .

فتبزق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلم من الشتم ، ففعل ، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح وجهه من البزاق . وفي بعض الروايات أنه لما تفل في وجه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجع ما خرج منه إلى وجهه فصار بَرَصاً . ثم التفت إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : إن وجدتك خارجاً من جبال مكة ضربت عنقك صبراً(١) .

ولهذا فانه سيندم يوم القيامة على مواقفه هذه ، وعلى صداقته لهؤلاء الأشرار ولكن لا ينفعه الندم ، قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾(٢)، يعضُّ على يديه يوم القيامة ندماً وأسفاً وتحسراً على ما فرّط في جنب الله وأوبَق نفسه بالكفر في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه .

قالوا : ولما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة إلى المدينة قال عقبة :

يا راكبَ الناقة القصْواء هاجرنا عما قليلٍ تراني راكبَ الفرسِ
أُعِلُّ رمحي فيكم بعد نهلته والسيفُ يأخذ منكم كل ملتمس

ولكنّ أمانيه هذه انقلبت عليه ، فقد أخزى الله تعالى قريشاً يوم بدر ، وهو بينهم ، فجيء به أسيراً إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأمر به أن يضرب عنقه صبراً ، فأخذ يصيح ويتوسل ويقول : يا ويلتي ، علام أقتل ، يا معشر قريش أقتل من بين هؤلاء ، يعني الأسارى ، فقال الرسول ﷺ : « لعداوتك لله ورسوله » ، قال : يا محمد مَنُّكَ أفضل ،

---

(١) تفسير الطبري ، المجلد الثامن ، الجزء التاسع عشر ص ٦ ـ ٧ ، وابن يوسف . سبل الهدى ٢/٦١٥ ـ ٦١٦ .

(٢) سورة الفرقان : الآيات ٢٧ ـ ٢٩ .

فاجعلني كرجل ممن ها هنا من قومك وقومي ، يا محمد من للصبية ، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « النار » فقُتِل ، وفي بعض الروايات أنه صُلب أيضاً[1] . وهذا أقل جزاء يستحقه في الدنيا .

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١٤٧/١ ـ ١٤٨ .

عظماء المستهزئين

قال عز وجل : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾(1) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾(2) ثم قال عز من قائل : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾(3) .

في الآيتان الأوليان تسلية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأن ما واجهه من قومه من جحود ونكران وإيذاء واستهزاء إنما هو سنة جارية على الرسل من قبله ، وأن مصير المستهزئين بالرسل هو الخسارة والهلاك السريع ، حيث أن الله عز وجل يمهلهم فترة ثم يأخذهم بشدة وقوة .

وفي الآية الثالثة إشارة إلى بعض المستهزئين برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذين أشركوا مع الله تعالى وتقدس آلهة أخرى ،وكانوا سبباً في ضيق صدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما كانوا يؤذونه به من الأقوال والأفعال ، وأخبر الله تعالى أنه كفاه أمرهم في الدنيا بالهلاك السريع ،

(1) سورة الرعد ، الآية ٣٢ .
(2) سورة الأنعام ، الآية ١٠ ، وسورة الانبياء ، الآية ٤١ .
(3) سورة الحجر ، الآيات ٩٥-٩٧ .

وسيلقون في الآخرة ما يستحقون وما يتناسب مع موقفهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد ذكر كُتّابُ السير عدداً من رجال قريش كانوا لا يقتصرون في أذاهم على تكذيب الرسول وردّ ما جاء به من الحق ، وإنما تمادوا في الشر إلى غمز الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولَمْزِه ، والإكثار من الاستهزاء به والسخرية منه[1] مما كان سبباً في ضيق صدره ، كما أشارت إلى ذلك الآية الأخيرة .

روى الذهبي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ قال : المستهزئون ، الوليد بن المغيرة ، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، وأبو زمعة الأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى ، والحارث بن غيطل[2] السهمي ، والعاص بن وائل ، فأتى جبريل النبي ﷺ ، فشكاهم النبي إليه ، فأراه الوليد ، فأوما جبريلُ إلى أبجلة[3] ، فقال : ما صنعتَ ؟ قال : كُفيتَه ، ثم أراه الأسود ، فأومأ جبريل إلى عينيه ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته ، ثم أراه أبو زمعة ، فأومأ إلى رأسه ، فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته ، ثم أراه الحارث ، فأومأ جبريل إلى رأسه أو بطنه ، وقال : كفيته ، ومرّ به العاص ، فأومأ إلى أخمصه ، وقال : كفيته .

فأما الوليد فمرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً فأصاب أبجلة فقطعها ، وأما الأسود فعمي ، وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها ، وأما العاص فدخل في رأسه شِبْرِقَةٌ[4] حتى امتلأت فمات

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ١٦٣/٢ .

(٢) هو ابن الغيطلة ، وسيأتي الحديث عن المستهزئين تفصيلاً .

(٣) قيل هو عرق غليظ في الرِّجل فيما بين العصب واللحم . وفي بعض الروايات أنه أومأ إلى رجله .

(٤) الشِّبْرِقَةُ : نبت خفيف متفرق يظهر بالحجاز له شوك ، انظر : المعجم الوسيط ٤٧٠/١ .

منها ، وقيل إنه ركب حماراً إلى الطائف فربض به على شوكة فدخلت في أخمصه فمات منها . قال الذهبي : حديث صحيح[1] .

أما عدد المستهزئين فقد قال الجمهور ومنهم ابن عباس في أكثر الروايات عنه : إنهم خمسة ، وهم المذكورون في الرواية السابقة ، وفي رواية عن ابن عباس انهم كانوا ثمانية ، وجزم بذلك ابن عبد البر في الدرر[2] ، وزاد على من ذكر ، أبا لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاص .

الوليد بن المغيرة المخزومي :

كان من عظماء قريش ، في سعة من العيش ومكنة من السيادة ، يقال له الوحيد أي في الشرف والسؤدد والجاه والرياسة ، لكنه لم يقابل هذه النعم من الله تعالى بالشكر ، فيؤمن بالرسول ويتبعه ، وقد عَرَفَ صدقَه ، وإنما كانت سبباً في طغيانه وتكبره ، وتعدّيه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالاستهزاء والإنكار ، وعلى أصحابه بالتضييق والحرمان ، وسنعرض فيما يأتي نماذج من مواقفه العدائية ، حتى يبرز للعيان بشكل واضح .

ساق البيهقيُّ في دلائل النبوة رواية بأسانيد مختلفة يؤكد بعضها بعضاً ، ذكر فيها قصة سماع الوليد بن المغيرة القرآن من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذلك حينما جاءه ، فقال : اقرأ علي ، فقرأ عليه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[3]، قال: أَعِدْ، فأعاد النبي ﷺ ، فقال : « إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله

(١) السيرة النبوية ص ١٤٣ .
(٢) ص ٢٠ .
(٣) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

لمغدق ، وما يقول هذا بشر »[1] ، وذُكر أن الوليد كاد يسلم ، لأنه لمّا سمع القرآن انصرف إلى بيته ، قالت قريش : صَبَأ والله الوليد ، والله لتصبون قريشٌ كلُّها[2] ، فذهب إليه أبو جهل لعنه الله وعَيَّره بأنه ما جلس مع محمد إلا من أجل أن يَشْركَه في طعامه ، وأن قريشاً لذلك تجمع له المال ، فغضب الوليد وأنكر ، فقال له أبو جهل فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو كاره له ، قال : « وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وأنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وأنه ليعلو ولا يُعلىٰ ، وأنه ليحطم ما تحته» ، قال أبو جهل للوليد : والله لا يرضىٰ عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر ، قال : « هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره » ، فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[3] .

---

(١) دلائل النبوة ٢/١٩٩؛ .

(٢) العامري : بهجة المحافل ١/٨٠ .

(٣) سورة المدثر ، الآيات ١١ ـ ٢٠ . وانظر البيهقي : دلائل النبوة ٢/١٩٨ ١٩٩ ، وقد ذكر المحقق أن هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث الاسناد ، على شرط البخاري .

وذكر ابن اسحاق اجتماع الوليد مع نفر من زعماء قريش للتشاور فيما يقولون عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمام الناس القادمين من خارج مكة ، لئلا يختلفوا في وصفه فيكذب بعضهم بعضاً[1] ، وتداولوا عدداً من الأوصاف مثل كاهن ، مجنون ، شاعر ، ساحر ، ولكن الوليد ردّ هذه الأوصاف كلها لأنها لا تطابق حقيقة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وواقعه ، ثم تفكر في الأمر ، وقال : إن أقرب القول أن تقولوا : ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه ، وبين المرء وبين أخيه ، وبين المرء وبين زوجته ، وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك[2] .

وقال الوليد ـ معترضاً على قضاء الله تعالى باختياره محمداً ﷺ رسولاً يخاطب أبا أحيحه سعيد بن العاص[3] وكان له نديماً ـ « لولا أنزل هذا القرآن الذي يأتي به محمد على رجل عظيم من أهل مكة أو من أهل الطائف ، أو مثل أمية بن خلف» ، فقال أبو أحيحه : أو مثلك يا أبا عبد شمس . . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾[4] .

وقال الوليد : لئن لم ينته محمد عن سبِّ آلهتنا ، لَنَسُبَّن إلهه ، فقال أبو جهل : نِعْمَ ما قلتَ ، ووافقهما الأسود بن عبد يغوث وهو ابن خال رسول

(١) انظر ص ٢٦ ـ ٢٧ من هذا البحث.

(٢) السير والمغازي ص ١٥١ .

(٣) سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، أبو أحيحه ، من سادات قريش في الجاهلية ، كان إذا اعتم لم يعتم أحد بمكة بعمامة على لون عمامته تعظيماً له ، فكان يدعى (ذا التاج) ، مات على كفره في مال له بالطائف سنة اثنتين من الهجرة ، وله تسعون سنة . انظر عنه ، أبا عثمان الجاحظ : البيان والتبيين ٩٣/٩٧ . (تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٩٥هـ) ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١٤١/١ ـ ١٤٢ .

(٤) سورة الزخرف ، الآيتان ٣١ ـ ٣٢ . وانظر البلاذري :أنساب الأشراف١ /١٣٤ ، وتفسير ابن كثير ١٢٧/٤ ـ ١٢٨ .

الله ﷺ ، وقد راقت الفكرة لأبي جهل فواجه بها النبي ﷺ ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾(١) .

وقد اعترض الوليدُ بن المغيرة رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومعه نفر من قريش ، فقالوا : يا محمد هلم ، فلنعبد ما تعبد ، فنشترك نحن وأنت في الأمر ، فإن كان ما تعبد خيراً ، كنا قد أخذنا بحظنا ، وإن كان ما نعبد خيراً ، كنت قد أخذت بحظك ، فأنزل الله عز وجل سورة (الكافرون)(٢) .

وكان للوليد جهود واضحة في محنة حصار المسلمين في شعب أبي طالب ، والأزمة الاقتصادية التي واجهتهم إبّانها ، فقد قال لقريش ـ وكانت كلمته فيهم مسموعة ـ : أيُّما رجل من أصحاب محمد وجدتموه عند طعام يريد شراءه فزيدوا عليه ، وحولوا بينهم وبين الطعام ، ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعليّ النقد ، ففعلوا ذلك ثلاث سنين ، حتى بلغ القوم الجهد الشديد(٣) .

وهكذا يلاحظ الباحث مواقف الوليد بن المغيرة العدوانية ، وما نزل فيه من الآيات القرآنية خاصة به أو مشتركاً فيها مع عموم قومه من قريش ، تلك الآيات التي تحمل التهديد والوعيد ، وتنذر بالمصير السيء الذي ينتظره ، بسبب استهزائه وكفره وجحوده وهو على بصيرة من أمره ، فقد صرح أمام قومه بقوله : « ما رأينا محمداً كذب قط »(٤) ، فلماذا إذاً تُكَذِّبُ أنت وتعتدي وتظلم وتستهزيء ؟! إنه الحقد والحسد الذي يعمي القلوب

---

(١) سورة الانعام ، الآية ١٠٨ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٤ .
(٣) ابن إسحاق : السير والمغازي ص ١٥٩ .
(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٣ .

التي في الصدور فيصرفها عن الحق ، ألا تراه يقول حاسداً الرسول على نعمة الرسالة : « لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين » ، وهو يقصد بذلك نفسه أولاً .

وقد هلك الوليد على كفره ، وكان سبب هلاكه أنه مرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً ويصلحها ، فوطيء الوليد على سهم منها ، فخدش أخمص رجله خدشاً يسيراً ، ويقال : تعلق بازاره فخدش ساقه خدشاً خفيفاً ، ولما اشتكى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم المستهزئين على جبريل ، أهوى جبريل إلى رجله ، فانتقض ذلك الخدش اليسير ، وضربته الأكلة في رجله أو ساقه فمات[١] ، وأوصى بنيه قبل موته بوصية غريبة ذَكَرَ فيها : « دمي في خزاعة فلا تُطِلُّنَّه ، والله إني لأعلم أنهم منه براء ، ولكن أخشى أن تُسَبّوا به بعد اليوم . . » ، وقد علق الأبناء على هذه الوصية بقولهم : « والله ما نعلم أحداً من العرب أوصى بنيه بشرّ مما أوصيت به »[٢] .

وهذه الوصية تفصح عن عدم كفِّه عن الظلم حتى وهو على فراش الموت ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة .

الأسود بن عبد يغوث الزهري :

ابن خال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[٣] ، وهو أحد المستهزئين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[٤]، ومن استهزائه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قوله له حينما يراه : أما كلمت اليوم من السماء يا محمد ؟! وما أشبه هذا القول[٥] ، وعندما يرى المسلمين

---

(١) المصدر السابق : ١/١٣٤ .
(٢) ابن حبيب : المنمّق ص ١٩٢ .
(٣) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٥٠٥ .
(٤) سورة الحجر ، الآية ٩٥ .
(٥) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٢ .

يقول لأصحابه : قد جاءكم ملوك الأرض ، الذين يرثون كسرى وقيصر[١] . وغير هذه الأقول التي تدل على سخرية وتكذيب بما جاء به الرسول من الوحي ، وما وعد الله به عباده المؤمنين من العزة والتمكين .

ومِنْ أذاه الفعلي للمسلمين أنه كان يعذب أم عُبيس[٢] أمة كانت لبني زهرة سبق الحديث عنها .

وأنه كان يُعذب خباب بن الأرت حين أسلم ولازم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما ورد في الصحيح من الروايات التاريخية[٣] .

وقد هلك كافراً ، واختلف في سبب هلاكه ، فروى الطبراني والبيهقي بسند صحيح أن جبريل عليه السلام لما أومأ الى رأسه ضربته الأكلة فامتخض رأسه قيحاً[٤] ، وقال الذهبي في الرواية السابقة : إنه عمي[٥] .

وروي بسند صحيح أيضاً أن جبريل عليه السلام حنى ظهره حتى أحقَوْقَف[٦] صدره ، ورسول الله ينظر فقال : « خالي خالي » ، فقال جبريل : دعه عنك ، ثم حناه حتى قتله[٧] . قال ابن يوسف : لا تَخَالُفَ بين هذه الروايات لاحتمال أنَّ جميعها حصل له[٨] .

وقد ذُكرت رواياتٌ أخرى لكنها ضعيفة ، منها : أنه خرج من أهله فأصابته رياح السموم ، فاسودَّ وجهه ، حتى صار حبشياً ، فأتى أهله فلم يعرفوه ، وأغلقوا دونه الباب ، فرجع مُتلدداً حتى مات عطشاً[٩] ، ويقال :

---

(١) المصدر السابق ١/١٣١ ـ ١٣٢ .
(٢) المصدر السابق ١/١٩٦ .
(٣) المصدر السابق ١/١٧٩ .
(٤) انظر ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٦٠٦.
(٥) ص ١٥٤ من هذا البحث.
(٦) أحقوقف : أي إنحنى.
(٧) الزبيري : نسب قريش ص ٢٦٢ ، والسهيلي : الروض الأنف ٢/١٦٧ .
(٨) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٦٠٦ .
(٩) ابن حبيب البغدادي : المنمق ... ص ٣٨٨.

إنه عطش فشرب الماء حتى انشق بطنه ومات حَبْناً[١].

والحاصل من الروايات السابقة أنه مات ميتة سوء عياذاً بالله وكان ذلك وقت هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ودفن بالجحون[٢].

الأسود بن المطلب :

كان الأسود من عظماء قريش وكبرائهم[٣] ، يكنى أبا زمعة ، ويسمى زاد الراكب ، عزيز منيع في قومه لكثرة ماله وولده ، روى مسلم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال : (انبعث بها رجل عزيز عارم[٤] منيع في رهطه مثل أبي زمعة)[٥].

وهو أحد المستهزئين الذين نزلت فيهم الآية المذكورة ﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾ ، من مواقفه أنه كلم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بكلام شقَّ عليه ، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يعمىَ الله بصره ، ويثكله ولده[٦] ، وقد استجاب الله تعالى له كما سيأتي .

ومن استهزائه أنه كان هو ومن معه يتغامزون بالنبي ﷺ وأصحابه ويسخرون منهم قائلين : جاءكم ملوك الأرض ، ثم يَمُكُّون ويَصْفِرُون[٧]

وكان يجلس ومعه نفر من المشركين فيقولون : ما ندري ما جاء به محمد ، ما هو إلا سجع كسجع الكهان ، ويصدون الناس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا

---

(١) الحَبْنُ : عِظَمُ البطن ، انظر البلاذري ١٣٢/١ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١٣٢/١
(٣) الزبيري : نسب قريش ص ٢١٨ .
(٤) عارم : شرير .
(٥) صحيح مسلم ٢١٩١/٣ ، الحديث ٢٨٥٥ .
(٦) ابن حبيب : المنمق ص ٣٨٧ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١٤٨/١ - ١٤٩ .
(٧) البلاذري : أنساب الأشراف ١٤٨/١ .

مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[1]أي أوزار من يصدونه عن سبيل الله[2].

ذُكر أن ابنه زمعة كان باراً به ، وكان متجره إلى الشام ، فإذا أرادالخروج إلى سفره قال لأبيه أسير كذا وكذا ، وآتي البلد يوم كذا وكذا ، ثم أخرج كذا وكذا ، فلا يخرم مما يقول شيئاً ،وبعد أن دعا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على الأسود خرج في اليوم الذي وعده فيه ابنه زمعة القدوم ، ومعه غلام له ، فجلس تحت ظل شجرة ينتظره ، فأتاه جبريل عليه السلام فجعل يضرب وجهه وعينيه بورقة خضراء ، وبشوك من شوكها ، فاستغاث غلامه ، فقال : ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً غير نفسك ، فأعمى الله بصره[3] ، وشغل عن رسول الله ﷺ .

وأما أولاده فقد قتل ثلاثة منهم في بدر وهم زمعة وعقيل والحارث ، فأثكله الله ولده ، وكان يقول : دعوت على محمد أن يكون طريداً في غير قومه وبلده ، واستجيب لي ، ودعى عليّ بعمى عينيّ فعميت ، وأن أثكل ولدي ، فثكلتهم[4].

هلك كافراً ، وقريش يستعدون لمعركة أُحد ، وهو يحثهم ويشجعهم في مرضه وكان قد قارب مائة سنة[5] .

الحارث بن قيس :

هو الحارث بن قيس بن عدي السهمي، المشهور بابن الغيطلة وهي أمه، كان أحد المستهزئين المؤذين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[6] ، وللمسلمين أيضاً ، فقد هجم هو وأحد أصحابه على نفر من المسملين في

---

(١) سورة االعنكبوت ، الآية ١٣ .
(٢) البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٥٠ .
(٣) ابن حبيب : المنمق ص ٣٨٧ ، والبلاذري: أنساب الأشراف ١/١٤٩ .
(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٩ .
(٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٦) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٢ .

أول ظهور الإسلام وهم يصلون في أحد الشعاب خارج مكة فباطشوهم ورموهم بالحجارة ، فجالدهم المسلمون ساعة ، حتى أخرجوهم من الشعب[١] .

وقد نزل فيه من القرآن قوله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[٢] ، قال العلماء هو صاحب الأوثان ، كان يأخذ حجراً فيعبده ، فإذا رأى أحسن منه تركه وأخذ الأحسن[٣] ، ومن جملة استهزائه أنه كان يقول : لقد غر محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعدالموت ، والله ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الأيام والأحداث[٤] .

وكذلك كان يَخْلُج[٥] خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان يفعل أبو جهل والعاص بن وائل[٦] .

ولما مات أبو طالب جاء ليؤذي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسبّه ، وكان ذلك وقت وقوف أبي لهب إلى جانبه ، فأقبل أبو لهب على ابن الغيطلة فنال منه ، فولّى وهو يصيح بأعلى صوته يا معشر قريش صبأ أبو عتبة يعني أبا لهب[٧] .

ولم يلبث طويلاً حتى أهلكه عز وجل ، فقد أكل حوتاً مملوحاً فلم يزل يشرب عليه الماء حتى قُدَّ[٨] ، فمات وهو يقول : قتلني رب محمد[٩] .

---

(١) المصدر السابق ١/١١٧ .
(٢) سورة الجاثية ، الآية ٢٣ .
(٣) ابن حبيب : المنمق ص ٣٨٧ .
(٤) ابن يوسف : سبل الهدى ٢/٦٠٦ .
(٥) يخلج : أي يتمايل ويتخلّع في مشيته ، المعجم الوسيط ١/٢٨٤ .
(٦) الحلبي : انسان العيون ١/٥١١ .
(٧) ابن سعد : الطبقات ١/٢١١ .
(٨) قُدَّ : أصابه القُدَاد وهو وجع يصيب البطن ، المعجم الوسيط ٢/٧١٨ .
(٩) ابن حبيب : المنمّق ص ٣٨٧ .

وقيل : إنه مات بغير هذا السبب[١] ، لكن يؤيد ما ذكرنا آنفاً رواية الذهبي المذكورة سابقاً[٢] .

العاص بن وائل :

كان العاص من كبراء قريش المستهزئين بما جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومن زنادقه قريش[٣] ، والدهريين منهم الذين يزعمون أنه ما يهلكهم إلا الدهر ومرور الأيام والأحداث[٤] .

ذكر ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة أنه نزل فيه قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾[٥] أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره[٦] .

روى ابن اسحاق عن يزيد بن رومان قال : كان العاص بن وائل اذا ذكر رسول الله صلى ﷺ ، قال : دعوه ، فإنه رجل أبتر لا عقب له ، فإذا هلك انقطع ذكره ، فاسترحتم منه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿إنا اعطيناك الكوثر﴾ السورة[٧] .

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما في أكثر من وجه عن خباب بن الأرت ، قال : كنت رجلاً قَيْناً ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه منه ، فقال : لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث ، قال : فإني إذا مت ثم بعثت

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١٣٢/١ .
(٢) ص ١٥٤ من هذا البحث .
(٣) ابن حبيب : المنمّق ص ٣٨٩ .
(٤) الحلبي : انسان العيون ٥١٠/١ .
(٥) سورة الكوثر : الآية ٣ .
(٦) تفسير ابن كثير ٥٦٠/٤ .
(٧) السير والمغازي ص ٢٧٢ ، وسيرة ابن هشام ١٤٠/٢ .

جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيتك ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾[1] .

والآيات السابقة تبين مدى ما يحمله العاص في صدره من الحقد والبغض لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتطمينه لكفار قريش بأن ذكر الرسول وخبره سينقطع بعد وفاته ، لأن أولاده لا يعيشون ، ولذلك أطلق عليه اسم الأبتر ، وكذلك تفيد الآيات أنه كان مستهزئاً بأصحاب رسول الله ﷺ ، آكلاً لحقوقهم ، منكراً للبعث والنشور ، فاستحق الوعيد المذكور في الآيات .

وقد هلك بعد هجرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة بأشهر قليلة ، وله خمس وثمانون سنة[2] .

وكان سبب هلاكه أنه ركب حماراً له أو بغلةً يريد الطائف ، أو يريد النزهة ، فربض الحمار أو البغلة على شِبْرِقَةٍ فأصابت رجله شوكةٌ منها ، فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ، فمات[3] .

---

(١) سورة مريم ، الآيات ٧٧ - ٨٠ . انظر صحيح البخاري ٥/٢٣٧ - ٢٣٨ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٨ .
(٣) ابن حبيب : المنمق ص ٣٨٧ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٨ .

أشهر المؤذين

ساق علماء السير والمؤرخون أسماء عدد كبير من كفار قريش الذين جاهروا بعداوتهم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وآذوه وجادلوه وخاصموه ، والذين أظهروا الحسد له والبغي عليه ، وساهموا في تخذيل الناس عنه وصد من جاء يبتغي الإسلام[١] .

وقد مضى الحديث في صدر هذا الفصل عن أشدهم ايذاء ، وأكثرهم استهزاء ، وسيمضي الحديث هنا متتبعاً كل من كان له مواقف في الإيذاء ، أو من أبدى صفحته في عداوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ويلاحظ أن مواقف الإيذاء تختلف من شخص إلى آخر كثرة أو قلة ، وبعضهم كان لا يفعل مع الرسول ﷺ كما كان يفعل سفهاء وجهلة قريش بل كان يكتفي من العداوة بمسايرة الرأي العام والتأييد لما يفعلون .

النضر بن الحارث العبدري :

هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة من بني عبد الدار ، ممن كان يؤذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينصب له العداوة ، ومن شياطين قريش[٢] ، وزنادقتهم[٣] ، وأشدهم مباداة للنبي صلى الله تعالى

---

(١) انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى ١/١٠٠-٢٠١ . والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٣-١٢٤ ، وابن حزم : جوامع السيرة ص ٤١-٤٣ ، وابن عبد البر : الدرر ص ١٧-١٩ ، وابن سيد الناس : عيون الأثر ١/١١٠-١١١ .

(٢) ابن اسحاق : السير والمغازي ص ٢٠١ .

(٣) ابن حبيب : المنمق ص ٣٦٦ .

عليه وسلم بالتكذيب والأذى[١] . كان قد ذهب إلى الحيرة[٢] ومكث فيها مدة تعلم أحاديث ملوك الفرس وأخبارهم ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً ، ودعا إلى الله عز وجل ، وحذر قومه أن يصيبهم مثلُ ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلها من عذاب الله تعالى ونقمته جاء النضر فخلفه في المجلس ذاته ، ثم قال : يا معشر قريش تعالوا أحدثكم حديثاً أحسن من محمد ، ثم يشرع يحدثهم بأخبار فارس وملوكهم ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثاً مني[٣] .

وكان أيضاً مخالطاً لليهود والنصارى ، عارفاً بشيء من أخبارهم[٤] ، ولذلك اختارته قريش ليكون أحد مبعوثَيْها إلى أحبار اليهود ليسألاهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن صحة ما جاء به ، لأنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من العلم في أمر النبوات ما ليس عند قريش[٥] .

ومن جملة أذاه وتعرضه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومحاولته اغتياله ما روي عن عروة ابن الزبير قال : كان النضر بن الحارث يؤذي رسول الله ﷺ ويتعرض له ، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريد حاجته نصف النهار في حر شديد ، فبلغ أسفل من ثنية الحجون ، وكان يُبعد إذا ذهب لحاجته ، فرآه النضر فقال : لا أجده أبداً أخلى منه الساعةَ فأغتاله ، فدنا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم انصرف راجعاً مرعوباً

---

(١) البلاذري : أنساب الاشراف ١/١٣٩ .
(٢) الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، كان يسكنها ملوك العرب في الجاهلية ، وفيها كانت مملكة المناذرة ، وسكنتها جموع مختلفة من قبائل العرب ، وكانت على اتصال مع بلاد الفرس والعرب . انظر عنها ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢/٣٢٨ وما بعدها .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٣٩ .
(٤) البلاذري : أنساب الاشراف ١/١٣٩ .
(٥) انظر قصة البعثة كاملة ونتيجة السؤال في سيرة ابن هشام ٢/٣٩-٤٠ .

إلى منزله ، فلقي أبا جهل ، فأخبره بما شاهد ، مما حال بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال أبو جهل : هذا بعض سحره[1] .

والغريب أنه كاد يسلم لما شاهد من الآيات الباهـرة التي تدل على صدق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعندما تبين له الحق ، ولكن منعه الحسد .

روى ابن اسحاق أنه قال لقريش : «يا معشر قريش : إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه ، وقلتم : مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم ، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم »[2] .

وقد كان النضر صادقاً في خطابه هذا لقريش ، لأنه من خلال المعرفة السابقة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، ومن خلال ما جاء به من الآيات البينات والحجج الواضحات لا يخفى على ذي لب مصداقية ما جاء به الرسول ﷺ وأنه حق من عند الله عز وجل ، ولكنّ قريشاً لم تستجب لما دعاهم إليه ، ولم ينتفع هو بما علمه من حال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فكان قوله حجة عليه ، وتمادى في غيّه وضلاله وكفره وإيذائه للرسول ﷺ ، بمفرده أحياناً ومع جماعة كفار قريش أحياناً أخرى ، متزعماً إياهم ومتحدثاً بلسانهم ، وكان أذاه القولي أكثر من أذاه الفعلي ، وهذا النوع

---

(١) السيوطي : الخصائص الكبرى ١/١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٨ .

من الأذى شديد الوقع على نفس الرسول ﷺ ، ولهذا تتبّعه القرآن الكريم ، وردّ عليه في كل المواضع والمناسبات التي تعرّض فيها للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وسنورد فيما يأتي ما نزل فيه من القرآن خاصة أو مشتركاً فيه مع عموم كفار قريش ولكن كان له دور واضح من بينهم مما كان سبباً في نزول آية أو آيات بشأنهم .

قال المؤرخون عنه : إنه لما سمع بذكر النبي ﷺ وحضور مبعثه كان يقول : والله لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الأمم ، فنزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ﴾[1] .

وقد اعترض رسول الله ﷺ وهو جالس مع رجال من قريش في المسجد يدعوهم إلى الله تعالى فكلّمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه[2] ، ثم تلا عليه وعليهم ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[3] .

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه نزل في النضر ثماني آيات وكلُّ ما فيه ذكرٌ لأساطير الأولين من القرآن فهو فيه[4] ، لأنه كان يقول : عندما يسمع القرآن وقصصه : إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين[5] ، قال تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ

---

(١) سورة فاطر ، الآية ٤٢ ، انظر البلاذري : أنساب الاشراف ١٣٩/١ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ١٠٦/٢ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٩٨ .
(٤) ابن اسحاق : السير ص ٢٠١ .
(٥) البلاذري : أنساب الاشراف ١٤٠/١ .

أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(١) ، وقال عز وجل : ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٢) ، قال ابن كثيـر ، إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث لعنه الله كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم(٣) .

وقـال تعـالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٤) ، وقال عز وجل : ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾(٦) ، وقال جل شأنه : ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٧) ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾(٨) .

ويفهم من تكرار الآيات السابقات على النسق المذكور أن كفار قريش بزعامة النضر بن الحارث الذي كان يتَّهِمُ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بأن ما يتلوه من الآيات والقرآن المنزل من عند الله إنما هو أساطير الأولين أي كُتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ويتلوها على الناس ، أنهم كانوا يكثرون من إيذاء النبي ﷺ بهذا الإتهام ، وأن المواقف تكررت ، فاستدعت الحال أن تتكرر الآيات لبيان خطأ تصورهم وللرد عليهم .

(١) سورة الأنعام ، الآية ٢٥ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٣١ .
(٣) تفسير ابن كثير ٣٠٥/٢ .
(٤) سورة النحل ، الآية ٢٤ .
(٥) سورة المؤمنون ، الآية ٨٣ .
(٦) سورة الفرقان ، الآية ٥ . انظر سيرة ابن هشام ١٠٥/٢ .
(٧) سورة النمل ، الآية ٦٨ .
(٨) سورة المطففين ، ١٣ . وانظر ابن اسحاق : السير ص ٢٠١ .

وروى ابن كثير[1] رحمه الله تعالى عن عطاء الخراساني أنه قال : أنزل في النضر بن الحارث بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل ـ ولا تعارض بين هذا وبين ما ذكره ابن عباس أنه نزل فيه ثماني آيات ، لاحتمال أن ابن عباس يقصد الآيات التي فيها ذكر لأساطير الأولين ، وهي قريبة من هذا العدد ـ منها : قوله عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2] ، في رواية عن ابن عباس[3] ، وفي رواية عن أنس بن مالك أن الذي قال ذلك أبو جهل بن هشام[4] ، لكنّ مجاهداً وعطاء وسعيد بن جبير والسدي أكدوا أن النضر بن الحارث هو الذي نزل بشأنه قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[5] ، والعذاب المسؤول هو ما تقدم في الآية السابقة . قالوا ونزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[6] ، وقوله تعالى : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾[7] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾[8] ، وذلك حينما لقي النبي ﷺ فقال له : أنت الذي تزعم أنك ستوقع بقريش عن قليل ، وأن الله قد أوحى إليك بذلك ؟ فقال الرسول نعم ، وأنت منهم ، فنزلت الآية[9] ،

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٠٥ .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٣٢ .
(٣) النيسابوري : أسباب النزول ص ١٥٨ ، وتفسير ابن كثير ٢/٣٠٥ .
(٤) صحيح البخاري ٥/١٩٩ ـ ٢٠٠ .
(٥) سورة المعارج ، الآيتان ١ ـ ٢ . انظر النيسابوري : أسباب النزول ص ٢٩٤ . وتفسير ابن كثير ٢/٣٠٥ .
(٦) سورة ص ، الآية ١٦ ، انظر البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٠ .
(٧) سورة الشعراء ، الآية ٢٠٤ ، انظر البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٠ .
(٨) سورة الأعراف ، الآية ١٨٥ .
(٩) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٠ .

وكل هذه الآيات التي ذكر أنها نزلت في النضر تؤكد أنه هو المتكلم باسم قريش عندما سألوا العذاب أو أحدهم*. وسأل النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم مرة: متى تنقضي الدنيا؟ فنزل فيه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[1]، ونزل فيه قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[2].

وكان النضر بن الحارث يخرج تاجراً إلى بلاد فارس والحيرة فتعلم من أهلها الغناء والضرب على بعض آلات اللهو، وعَلَّم ذلك قوماً من أهل مكة، واشترى القيان لذلك[3]، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[4]، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[5].

وكان يقول مع بعض كفار قريش إنما يعين الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يأتي به من القرآن فلان وفلان من بعض غلمان الأعاجم

(*) وكونه أحد الذين سألوا العذاب بالاشتراك مع أبي جهل كما ورد في رواية الصحيح أقرب للصواب.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٨٧. انظر البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٤٠.

(٢) سورة الحج، الآية ٣، انظر البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٤٠.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ١/١٤٠، والنيسابوري: أسباب النزول ص ٢٣٢.

(٤) سورة لقمان، الآية ٦.

(٥) سورة الجاثية، الآية ٦ ـ ٩، انظر سيرة ابن هشام ٢/١٠٥.

في مكة[1] ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[2] ، وأنزل : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾[3] . قال ابن هشام : وهو الذي قال فيما بلغني : ﴿ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾[4] .

وكان خطيب بعض كفار قريش والمتكلم باسمهم عندما طلبوا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مكايدة وتعجيزاً أن يوسِّع لهم البلاد ويسيِّر عنهم الجبال ويحيَ لهم بعض الأموات ويحوِّل لهم الجبال ذهباً . . . فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴾[5] .

وذكر النيسابوري عن ابن عباس أن نفراً من قريش استمعوا لقراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقرأ القرآن فسألوا النضر قائلين : يا أبا قتيلة ماذا يقول محمد ؟ قال : والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا أني أراه يحرك شفتيه يتكلم بشيء ، وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية[6] فنزل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾[7] .

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٠ - ١٤١ .
(٢) سورة النحل : الآية ١٠٣ .
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٤ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ٩٣ ، انظر سيرة ابن هشام ٢/٣٩ .
(٥) سورة الرعد ، الآيتان ٣١ - ٣٢ .
(٦) أسباب النزول ص ١٤٣ - ١٤٤ .
(٧) سورة الأنعام ، الآية ٢٥ .

وهكذا يُلاحَظُ أنه نزل فيه من الآيات القرآنية عدد كبير جداً ، وهذا يدل على كثرة مواقفه العنادية السيئة وعلى إجهاده نفسه محاولاً طمس النور الذي جاء به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ولكنه لم يوبق إلا نفسه ، فقد كان لتاريخه المظلم وسوابقه السيئة أثر كبير في تعجيل هلاكه بعد موقعة بدر حيث وقع أسيراً في أيدي المسلمين فأمر الرسول ﷺ بضرب عنقه صبراً ، ولم يُجْدِ توسّله واستخذاؤه بين يدي الرسول ، ولم تنفعه شفاعة الشافعين[١] .

الحكم بن أبي العاص بن أمية :

كان الحكم مؤذياً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يشتمه ويسمعه ما يكره من القول[٢] ، وصنّفه بعض العلماء ضمن المستهزئين بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم[٣] ، من مواقفه السيئة أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمشي في أحد الأيام فرآه الحكم فجاء يمشي خلفه يحاكيه في مشيته ويخلَج[٤] ، بأنفه وفمه ، فالتفت إليه الرسول ﷺ فدعا عليه فبقي على حاله[٥] .

وقد أسلم يوم فتح مكة ، وذكروا أنه كان مغموصاً عليه في دينه[٦] ، وذلك أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم غرَّبَه عن المدينة إلى الطائف ، فنزل بوادي وَجّ قريباً منها ، ثم أعاده عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه إلى المدينة فمات بها سنة ٣٢ هـ[٧] .

---

(١) انظر عن أسره وقتله ابن حبيب . المنمق ص ٣٨٩ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٣ ـ ١٤٤ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٥١ .
(٣) ابن عبد البر . الدرر ص ٢٠ .
(٤) سبق تعريف الخَلَج في المشية وهو الإمالة والتخلع ، وخَلَج الأنف والفم هو إمالتهما وتحريكهما .
(٥) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٥١ .
(٦) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/١٠٨ .

مالك بن الطُّلاطِلة الخزاعي :

هو مالك بن الطلاطلة بن عمرو بن غُبشان ، كان سفيهاً مستهزئاً برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم[1] ، ولما بالغ في أذيته دعا عليه الرسول واستعاذ بالله من شره ، فأهلكه الله عز وجل وأراح الرسول منه .

وقد اختلف في سبب وفاته فقيل عصر جبريل عليه السلام بطنه حتى خرج خلاؤه مع فمه فمات ، وقيل امتخض رأسه قيحاً[2] .

أُبَيّ بن خَلَف الجمحي :

كان أُبي بن خلف على شر ما يكون عليه أحد من أذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيبه[3] ، سيء المخالطة ظلوماً للضعفاء والأغراب الذين يفدون إلى مكة في المواسم والأسواق[4] ، جاحداً مُكذباً بآيات الله ورسوله ، فَظّاً في أخلاقه ومعاملته ، يُعدّ من زنادقة قريش[5] .

من مواقفه السيئة مع رسول الله ﷺ أنه جاء إليه يوماً وبيده عظم بال قد ارفتّ ، فقال : يا محمد ، أتزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرمّ ؟ ثم فته بيده ، ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال الرسول : نعم ، أنا أقول ذلك ، يبعثه الله وإياك بعدما تكونان هكذا ، ثم يدخلك الله النار ، فأنزل الله عز وجل الآيات الآتيات : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٥٤ ، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٤ (دار بيروت ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ) .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٥٤ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٧ .

(٤) ابن حبيب : المنمق ص ٢٥٤ ، ٢٨١ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٨٩ .

أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[١] ، رُوي ذلك عن عدد من العلماء منهم مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة وابن اسحاق[٢] .

وهو صاحب عقبة بن أبي معيط الذي حمله على أن يبصق في وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأن يشتمه بأبشع الألفاظ بعدما سمع أنه لان مع الرسول ﷺ ، ولهذا سيتبرأ كلٌّ منهما من صاحبه يوم القيامة ويتمنى عدم معرفته أو صحبته ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾[٣] وقرأ عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ﴿ليتني لم أتخذ أُبيّاً خليلاً ﴾[٤] ، فقد أهلك نفسه وأهلك صاحبه بصدّه إياه عن سبيل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد كان أبيّ فيمن حاصر الرسول ﷺ ليلة الهجرة لقتله والتخلص منه ، ولكن الله تعالى نجاه منهم فخرج ونثر على رؤوسهم التراب ومضى في هجرته[٥] .

اشترك في معركة بدر مع كفار قريش ، ثم وقع في الأسر ، فلما افتدى نفسه قال : والله لأقتلن محمداً ، إنّ عندي فرساً أعلفها كل يوماً فَرْقاً[٦] من

---

(١) سورة يس ، الآيات ٧٧ ـ ٨٠ .
(٢) سيرة ابن هشام ١٠٧/٢ ، وتفسير ابن كثير ٥٨٢/٣ .
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٢٨
(٤) البلاذري : أنساب ١٣٨/١ .
(٥) ابن سعد ، الطبقات ٢٢٨/١ .
(٦) الفَرْقُ : مكيال معروف يزن ستة عشر رطلاً ، الرازي : مختار الصحاح ص ٥٠٠ (دار البصائر ومؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧ هـ) .

ذره لعلي أقتل محمداً عليها ، فقال الرسول ﷺ بل أنا أقتله عليها إن شاء الله[١] ـ وكان أحدَ فرسان قريش ـ[٢] فلما سمع قول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فزع أشد الفزع لأنهم لم يسمعوا منه قولاً إلا كان حقّاً[٣] ، ولما كان يوم أحد تعاهد هو وثلاثة نفر معه وتعاقدوا لئن رأوا رسول الله ﷺ ليقتلنه أو ليموتن دونه[٤] ، وجعل أُبيّ يلتمس غفلة رسول الله ﷺ ليحمل عليه فيحولُ بعض المسلمين بينه وبينه ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال لأصحابه : خلوا عنه فأخذ الحربة[٥] فرماه بها ، فوقعت في ترقوته أو بين أضلاعه ، فلم يخرج منه دم كثير واحتقن الدم في جوفه ، وجعل يصيح ويخور كما يخور الثور ، فاحتمله أصحابه ، وهم يقولون له : والله ما بك إلا خدش يسير ، فقال والله لو لم يصبني إلا بريقه لقتلني ، أليسَ قد قال : أنا أقتله ، والله لو كان الذي بي بأهل ذي المجاز لقتلهم ، ولم يلبث إلا يوماً واحداً ثم مات في طريق عودتهم إلى مكة[٦] . ولم يقتل الرسول ﷺ بيده الشريفة غير أُبَيّ هذا[٧] . وقد اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ، ولهذا فقد وُعِدَ بالعذاب الأليم يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون[٨] .

أمية بن خلف :

كان أمية بن خلف ذا رئاسة وشرف في قومه بني جمح ، فكان قائدهم

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٤٦/٢ .
(٢) ابن حبيب : المنمق ص ٢٢٠ .
(٣) ابن يوسف : سبل الهدى ٦١٦/٢ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ١٢٥/٤ .
(٥) آلة للحرب دون الرمح مصنوعة من الحديد ، قصيرة محددة ، المعجم الوسيط ١٦٧/١ .
(٦) ابن سعد : الطبقات ٤٦/٢ ، وابن يوسف : سبل الهدى ٦١٧/٢ .
(٧) ابن حبيب : المنمق ص ٣٨٩ .
(٨) روى الإمام أحمد في مسنده ١٦٩/٢ أن رسول الله ﷺ ذكر الصلاة يوماً فقال : (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف) .

في حرب الفجار ، وهو أحد كبار رجال الملأ من قريش[١] ، لكنه على أشر ما يكون عليه شخص من أذية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتكذيبه[٢] ، بصق في وجه الرسول عليه الصلاة والسلام[٣] ، وكان إذا رآه هَمَزَه ولَمَزَه[٤] ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ .. ﴾[٥] ، وكان يجتمع مع أكابر كفار قريش على ذلك فيغمزون النبي ﷺ ويهمزونه ويستهزئون به[٦]، وكان مع النفر القرشيين الذين حاصروا النبي ﷺ في داره ليلة الهجرة ليقتلوه[٧] .

ومن مواقفه في الصد عن سبيل الله تعالى من آمن به ، ما كان يقوم به من تعذيب بلال بن رباح في رمضاء مكة وهجيرها وهو صامد ثابت ، وأمية يزيد في عذابه ، وعندما يكلّ يعهد بذلك إلى الصبيان والسفهاء ، وقد تقدم ذلك عند الحديث عن بلال[٨] .

ونظراً لكثرة استهزائه بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإيذائه ، وشدته على المسلمين ، فقد دعا عليه[٩] ، وأخبر أنه سيقتل ، روى البخاري رحمه الله تعالى عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن سعد

---

(١) ابن حبيب : المنمق ص ١٧١ ، ٣٣٢ .
(٢) البلاذري : أنساب ١/١٣٧ .
(٣) السهيلي : الروض ٢/٤٨ .
(٤) قال ابن هشام : الهُمَزَةُ : الذي يشتم الرجل علانية ، ويكسر عينيه عليه ، ويغمز به ، واللُّمَزَة : الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم ، السيرة ٢/١٠٤ .
(٥) سورة الهمزة ، الآيات ١ ـ ٤ .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/١٤١ .
(٧) ابن سعد : الطبقات ١/٢٢٨ .
(٨) ص ٩١ وما بعدها .
(٩) صحيح البخاري ٣/٢٣٤ .

ابن معاذ[1] رضي الله تعالى عنه اعتمر فنزل على أمية بن خلف ـ وكان أمية إذا سافر إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد ـ فذهب به ليطوف في منتصف النهار ، فرآه أبو جهل ، فقال : تطوف الكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه ، قال نعم ، فتلاحيا بينهما ، فقال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي ، ثم قال سعد : والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام ، فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك وجعل يمسكه ، فغضب سعد ، فقال : دعنا عنك ، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك ، قال : إياي ، قال : نعم ، قال : والله ما يكذب محمد إذا حدث ، فرجع إلى امرأته ، فقال : أما تعلمين ما قال أخي اليثربي ، قالت : وما قال ؟ قال : زعم أن محمداً يزعم أنه قاتلي ، قالت : فو الله ما يكذب محمد .

فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ ، قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ، قال فأراد أن لا يخرج ، فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادي فسر يوماً أو يومين ، فسار معهم يومين ، فقتله الله تعالى[2] ، وكان بلال ممن ساهم في قتله[3] ، وألقي مع كفار قريش المقتولين في قليب بدر .

---

(١) سعد بن معاذ بن النعمان بن امريء القيس الأوسي الأنصاري ، من كبار الصحابة الأنصار ، سيد الأوس ، لما أسلم أسلم معه قومه بنو عبد الأشهل جميعاً رجالاً ونساء . شهد بدراً ، وأُحداً ، والخندق ، وجرح بها ، فمات من أثر الجراح ، بعد أن حكم على بني قريظة ، ورد في الحديث أنه اهتز لموته عرش الرحمن ، ومناقبه كثيرة ، رضي الله تعالى عنه ، كانت وفاته سنة ٥ هـ ، وعمره سبع وثلاثون سنة .
انظر عنه : ابن سعد : الطبقات ٣/٤٢٠ وما بعدها ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ١/٢٧٩ وما بعدها ، وابن حجر : الإصابة ٢/٣٧ ، ترجمة رقم ٣٢٠٤ .
(٢) صحيح البخاري ٤/١٨٤ ـ ١٨٥ .
(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٨ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأخنس بن شريق الثقفي :

كان الأخنس حليفاً لبني زهرة ، ذا شرف في القوم ، يستمع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن ويرد عليه[١] ، ويصيب منه ، ويؤذيه ، ولهذا أنزل الله تعالى فيه آيات من القرآن الكريم فضحه فيها بسوء خلقه وكثرة معايبه ، وذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه[٢] ، قال تعالى[٣] : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ ﴾ أي كثير الحلف بالباطل ، ﴿ مَّهِينٍ ﴾ أي حقير ، ﴿ هَمَّازٍ ﴾ عياب أي مغتاب ، ﴿ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾ أي ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم ، ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾ يمنع ما لديه من الخير ويمنع الناس منه ، ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ ظالم ، ﴿ أَثِيمٍ ﴾ كثير الإثم ، ﴿ عُتُلٍّ ﴾ غليظ جاف ، ﴿ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ بعدما عُدَّ من مثالبه ، ﴿ زَنِيمٍ ﴾ أي دَعيٌّ في قريش . قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، وقيل إنه كان له زنمتان[٤] حقيقة ، وقيل هو اللئيم المعروف بلؤمه وشره . ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله تعالى ﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾ قال الطبري : سنبين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم، وقيل غير ذلك،

---

(١) ابن هشام : السيرة ٢/١٠٧ .
(٢) عياض : الشفا ١/١٠٥ .
(٣) سورة القلم ، الآيات ١٠ ـ ١٦ .
(٤) الزنمتان : هنتان تليان الشحمة وتقابلان الوترة في الأذنين .
المعجم الوسيط ١/٤٠٣ .

والمقصود بالخرطوم الوجه[1] .

ذكر بعض العلماء أنه أسلم[2] ، ولكن ذلك غير متسق مع الآيات المذكورة قبل قليل ، والثابت أنه سار مع قريش إلى بدر فلما وصلوا الجحفة[3] أشار على بني زهرة ـ حلفائه ـ بالرجوع ، وكان فيهم مطاعاً ، فرجعوا ، ولم يشهدها منهم أحد[4] ، ولم يذكروا شيئاً عن وفاته .

سعيد بن العاص (أبو أحيحة) :

كان سعيد بن العاص بن أمية من أشراف قريش وذوي الرئاسة والسؤدد فيهم[5] ، وكان في أول أمره يحسن القول في رسول الله ﷺ ويقول : دعوا محمداً ولا تعرضوا له ، فإن كان ما يقول حقاً ، كان فينا دون غيرنا من قريش ـ يعني في بني عبد مناف ـ وإن كان كاذباً ، قامت قريش به دونكم[6] ، ولذلك كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عندما يمر به يقول : « إنه ليكلم من السماء » ، وظل على رأيه هذا فترة حتى أتاه النضر بن الحارث ، فقال له : إنه يبلغني أنك تحسن القول في محمد ، وكيف ذلك وهو يسب الآلهة ، ويزعم أن آباءنا في النار ، ويتوعد من لم يتبعه بالعذاب ؟ فأظهر أبو أحيحة منذ ذلك الحين عداوته للرسول ﷺ وذمه ، وعيب ما جاء به ، وجعل

---

(١) تفسير الطبري ، المجلد العاشر ، الجزء التاسع والعشرون ص ١٨ / ١٩ ، وتفسيرابن كثير ٤ / ٤٠٤ ـ ٤٠٦ .

(٢) ابن يوسف : سبل الهدى ٢ / ٦١٤ .

(٣) الجحفة : كانت مدينة عامرة ومحطة عامرة من محطات الحجاج بين الحرمين ثم خربت ، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا على المدينة ، تقع إلى الشرق من مدينة رابغ بحوالي ٢٢ كيلا . انظر الحموي : معجم البلدان ٢ / ١١١ ، والبلادي : معجم المعالم ص ٨٠ .

(٤) ابن سعد : الطبقات ٢ / ١٤ .

(٥) ابن حبيب : المنمق ص ١٢٣ ، ٣٣٢ .

(٦) البلاذري : أنساب ١ / ١٤١ .

يقول : ما سمعنا بمثل ما جاء به لا في يهودية ولا نصرانية ، وعندما فعل ذلك قَوِيَتْ أنفس المشركين ، واستبشروا حين تراجع عن رأيه الأول(١) .

ولم يُعرف له بعد ذلك مواقف في الإيذاء ، إلا ما كان يقوم به من فتنة بعض أبنائه الذين دخلوا في الإسلام مبكرين ، وعلى رأسهم ابنه خالد بن سعيد كما تقدم(٢) ، وفي مرضه الأخير الذي هلك فيه ، يذكر ابن حبيب البغدادي(٣) أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل عليه ، وقد أغمي عليه وفي يد النبي ﷺ خرقة ، فوضعها على جبهته ، فأفاق ، فبصر بالنبي ﷺ عند رأسه ، فقال : أنت الذي تعيب آلهتنا وتسفّه أحلامنا ، لئن رفع الله سعيداً ليجلينك عن مكة ، وكانت رجله في حجر ابنه خالد ، ورأسه في حجر ابنه عمرو ، فنبذا رأسه ورجله ، وقالا : لا رفع الله صرعتك ، ثم التفتا إلى النبي ﷺ ، وقالا : قد آمنا بك وصدقناك ، فيقال : إنه نزل فيهما قوله تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾(٤) الآية ،ولكن هناك أقوالاً أخرى تفيد أنها نزلت في أبي بكر أو في أبي عبيدة بن الجراح أو في مصعب بن عمير أو في علي بن أبي طالب(٥) ، ولا شك أن الآية تعم جميع من ذكر وغيرهم من المسلمين ممن تناسب حاله ، ولكن لا يمكن الجزم بأول من نزلت بشأنه من الصحابة .

ويذكر أن سعيداً لمّا مرض قال : إن رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة(٦) بمكة أبداً ، فقال ابنه خالد عند ذلك ، اللهم لا ترفعه ،

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) راجع ص ١١٠ .
(٣) المنمق ص ٢٩٣ .
(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .
(٥) النيسابوري : أسباب النزول ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .
(٦) كانت قريش تنسب النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، فيقولون مثلاً (فعل ابن أبي كبشة) أو (قال ابن أبي كبشة)، وهذه الكنية (أبو كبشة) عُرف بها عدد من الناس منهم : وهب بن عبد

فتوفي في مرضه ذلك[١] ، وقبيل أن يتوفى كان قد أمر بعض بنيه أن يخرجوه إلى ماله بالطائف فمات هناك[٢] .

شيبة وعتبة ابنا ربيعة :

كان شيبة بن ربيعة قد حرم على نفسه الخمر والسكر والأزلام في الجاهلية[٣] ، وتحنّف في حراء مثل بعض القرشيين المتنسكين[٤] ، وذكروا أنه تنصّر أيضاً[٥] ، وكان أسن من أخيه عتبة بثلاث سنين[٦] .

أما عتبة بن ربيعة فقد كان ذا رأي وحلم ومنزلة في عشيرته وقومه ، فيقال إنه ساهم في فك الحصار عن بني هاشم ومن معهم في الشعب[٧] .

وعلى الرغم من أن هذين الرجلين كانا ذوي رحم وقرابة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، إلا أنهما كانا كسائر أشراف مكة وصناديد قريش[٨] ذوي عداوة لرسول الله ﷺ يجاهرون بها ويعلنونها ، فحضروا كثيراً

مناف بن زهرة أبو آمنة ، وعمرو بن زيد بن لبيد النجاري ، وهو جد عبد المطلب ، وجد ابن غالب ابن عامر ، وهو جد النبي ﷺ من قبل أمه أم وهب بن عبد مناف ، والحارث وهو غبشان بن عمرو ، والحارث بن عبد العزى بن رفاعة ، حاضن النبي ﷺ زوج حليمة السعدية ، فكل هؤلاء عرفوا بذلك اللقب . لكن نسبتهم النبي ﷺ إليه يبدو أنه تشبيه له بجده لأمه الذي كان يعبد الشعرى من بين سائر العرب فشبهوا النبي به لأنه خالفهم ، لا لنقص فيه أو عيب .

انظر المصعب الزبيري : نسب قريش ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ ، وابن حبيب : المحبر ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(١) الحلبي : إنسان العيون ١/٤٥٤ .

(٢) ابن حبيب : المنمق ص ٢٩٣ ، والبلاذري : أنساب ١/١٤٢ .

(٣) ابن حبيب : المحبر ص ٢٣٧ .

(٤) ابن حبيب : المنمق ص ٤٢٢ .

(٥) ابن حبيب : المحبر ص ١٧٥ .

(٦) البلاذري : أنساب ١/١٥٢ .

(٧) المصدر السابق ١/٢٣٦ .

(٨) انظر البيهقي : دلائل النبوة ٣/٤٣ .

من مجالس قريش التي أوذي فيها رسول الله ﷺ ، ومن بينها ذلك المجلس الذي وضعوا فيه السلا على كتفيه وهو ساجد ، وتضاحكوا منه ، وهزئوا به ، فلما فرغ من صلاته التفت إليهم ودعا على أكابرهم ، وكان عتبة وشيبة من بينهم[1] ، وكان عتبة شديداً على أبي بكر في إحدى المرات فضربه بنعلين مخصوفتين وحرّفهما لوجهه ، ونزا على بطن أبي بكر ، حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، كما سبق بيان ذلك . لكن يلاحظ أن عتبة وشيبة لم يكونا يتوليان أذى الرسول ﷺ نفسه بيديهما كما كان يفعل جبابرة قريش وجهالهم[2] ، بل يكتفيان بتشجيع وشد أزر من يقوم بذلك ، ويوافقان قريشاً في مساعيهم ضد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد كان لعتبة بن ربيعة موقف خاص مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذلك حينما طلب من قريش ، أو أرسلوه هم لكي يحاور النبي ﷺ وينظر فيما جاء به من القرآن هل هو سحر أو شعر أو كهانة . . . ، ويعرض عليه بعض الأمور علّه يقبلها ، فيكف عن دعوته ، ويهادنهم . فذهب إليه عتبة حتى جلس إليه ، فقال : « يا ابن أخي إنك منّا حيث قد علمت من السِّطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم مزقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع ، قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً ، جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيّاً تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا

---

(١) صحيح البخاري ٣/٢٣٤ .
(٢) البلاذري : أنساب ١/١٢٤ .

لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوىٰ منه ـ أو كما قال له ـ حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال : أَقَدْ فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع مني ، قال : أَفْعَلُ ، فقال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ ﴾(١) ثم مضى رسول الله ﷺ يقرأ عليه السورة حتى وصل إلى السجدة فسجد ، ثم قال له : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك » .

ومما يلفت النظر أنه عندما كان الرسول ﷺ يقرأ عليه السورة كان واضعاً يديه خلف ظهره ، معتمداً عليهما ، مُصغياً بسمعه متأثراً بما سمع ، وهذا يدل على أن كلمات القرآن كانت تلامس شغاف قلبه ، وتهز مشاعره ، وتحرك وجدانه ، ولذلك لمّا عاد إلى قريش رأوا فيه تغيُّراً واضحاً ، فقالوا : لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما سألوه ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : «ورائي أني قد سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به »(٢) ، لكنهم رفضوا ذلك ، وكان ردهم عليه أن قالوا سحرك بلسانه .

ولا مراء أن قول عتبة بن ربيعة هذا يدل على عقل واع ، وعلى فهم

---

(١) سورة فصلت ، الآيات ١ ـ ٤ وما بعدها . انظر سيرة ابن هشام ٣٥/٢ .
(٢) سيرة ابن هشام ٣٥/٢ .

صحيح ، ولهذا أشار على قريش بما أشار به ، وورد في بعض الروايات أن عتبة لما سمع القرآن من رسول الله ﷺ احتبس عن قريش فترة متأثراً بما سمع ، ومتردداً ماذا يصنع حتى جاءه أبو جهل ، فاستشاره، وغيرّه[1] .

ولم ينتفع عتبة بما سمع ، ولم يستطع التغلب على نزعاته ، أو يتحرر من عصبية التقاليد والمجاراة للوضع القائم ، فهوىٰ بعد أن كاد يستقيم ، ولم ينتفع بعقله وبعد نظره ، ويدل على هذا قول ابنه أبي حذيفة بن عتبة رضي الله تعالى عنه الذي كان في صف المسلمين يوم بدر ، وتغيّر وجهه لما رأى أباه يسحب إلى القليب ، فلما سأله الرسول ﷺ عن سبب ذلك قال : « والله يا رسول الله ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك »[2] ، فدعا له الرسول ﷺ بخير .

كان عتبة وأخوه شيبة قد اشتركا في مؤتمر قريش الذي عقد في دار الندوة للنظر في أمر الرسول ﷺ وكيفية الخلاص منه ، بعد بيعة العقبة الثانية[3] ، وكان ذلك من أسباب هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ، ولذلك لما اشتدت الحمى بأصحاب رسول الله ﷺ واستوخموا المدينة دعا على بعض كفار قريش الذين كانوا سبباً في خروجه من مكة وذكر منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة[4] .

وقد كان ابنا ربيعة متثاقلين عن الخروج إلى معركة بدر حتى أنّبهما أبو جهل ، فخرجا تقية من قريش ، وحاول عتبة جاهداً الرجوع بقريش من غير قتال ، وتحمس لذلك ، واستعد لتحمل التبعات ، لكن أبا جهل حسده

---

(١) الذهبي : السيرة النبوية ص ٩١ ، في رواية عن يحيى بن معين .
(٢) سيرة ابن هشام ٣/٥١-٥٢ .
(٣) البيهقي : دلائل النبوة ٢/٤٦٧ .
(٤) المصدر السابق ٢/٢٦٥ .

فأفسد عليه خطته وحرّش بين الناس[١] وعيّره بالجبن ، فأخذته الحمية فنزل هو وأخوه شيبة وابنه الوليد أمام الصفوف وطلبوا من المسلمين المبارزة فخرج إليهم حمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن المطلب وعلي بن أبي طالب فبارزوهم فقتلوهم[٢] .

طُعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف :

كان طعيمة بن عدي كسائر كفار قريش المتشددين في أذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، المكذبين له ولِمَا جاء به من عند ربه عز وجل ، وكان يشتمه ويسمعه ما يكره من القول ، ويبالغ في أذاه[٣] . وهو أحد الرجال القرشيين المنتدبين لحصار رسول الله ﷺ ليلة الهجرة والمكلفين بقتله ، فأبطل الله تعالى سعيهم وكيدهم ، وخرج الرسول من بينهم حاثياً على رؤوسهم التراب[٤] .

وكان من المحرضين على معركة بدر[٥] ، فأهلكه الله تعالى كافراً فيها ، إذ استدرجه علي بن أبي طالب فقتله هو وحمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما[٦] . وذكر البلاذري أن طعيمة قتل صبراً بعد أسره في المعركة إذ أمر الرسول ﷺ حمزة فقتله .

والمعروف أنه لم يقتل صبراً من أسارى بدر إلا عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث[٧] كما تقدم .

---

(١) ابن سعد : الطبقات ١٦/٢ ، والبيهقي : دلائل النبوة ١١١/٣ ـ ١١٢ .
(٢) ابن سعد : الطبقات ١٧/٢ ، ٥١/٣ ، والبلاذري : أنساب ١٥٢/١ .
(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١٥٣/١٠ ـ ١٥٤ .
(٤) ابن سعد : الطبقات ٢٢٨/١ .
(٥) البلاذري : أنساب الأشراف ٢٩٢/١ .
(٦) الزبيري : نسب قريش ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، وابن حبيب : المنمق ص ٣٦٧ ، والمحبر ص ١٧٧ .
(٧) انظر سيرة ابن هشام ٥٣/٣ .

ابن الأصداء الهُذلي :

أحد المكذبين المؤذين لرسول الله ﷺ ، يسخر منه ، ويصرف الناس عن دعوته ، كان يقول له : إنما يعلمك أهل الكتاب أساطيرهم ، ثم يقول للناس عن رسول الله ﷺ : هو معلم مجنون[١] .

جاء في أحد الأيام هو وأبو جهل وعدي بن الحمراء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فآذوه وشتموه وأغلظوا له في القول[٢] ، وهجم في يوم آخر هو وابن الغيطلة على رجلين من المسلمين كانا يصليان في أحد شعاب مكة فباطشوهما ورموهما بالحجارة حتى انصرفا عنهما[٣] .

ولما كثر أذاه وشره دعا عليه رسول الله ﷺ ، فبينما هو في أحد الأيام على جبل من الجبال اجتمعت عليه الأروىٰ[٤] فنطحته حتى قتلته[٥] ، فأراح الله تعالى منه .

نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج بن عامر السهميان :

أما نبيه فقد عُرف عنه الظلم والاعتداء على الحرمات منذ وقت مبكر ، اعتدى في الجاهلية على ابنة لرجل من خثعم فاغتصبها من أبيها ، ولم يُطْلِقْها إلا بعد أن اجتمع عليه أهل حلف الفضول[٦] ، وكان في بداية حياته

---

(١) البلاذري : أنساب ١/١٥٠ .
(٢) ابن سعد : الطبقات ٣/٩ .
(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١١٧ .
(٤) الأروىٰ : إناث الأوعال ، واحدتها أُرْوِيَّة ، تسكن الجبال ولا تسهل ، وقيل الأروى غنم الجبل . انظر الجاحظ : الحيوان ٣/٤٩٨ ، ٤/٣٥٢ (تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٥ هـ) والدميري : حياة الحيوان الكبرى ١/٣٥ (الطبعة الخامسة ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ١٣٩٨ هـ) .
(٥) ابن سعد : الطبقات ١/٢٠١ ، والبلاذري :أنساب ١/١٥٠ .
(٦) ابن حبيب : المنمق ص ٥٥ ، وحلف الفضول هو الحلف الذي عقد بمكة وحضره الرسول ﷺ وهو في سن العشرين في دار عبدالله بن جدعان ، اتفقوا على نصرة المظلوم . . انظر ابن سعد : الطبقات ١/١٢٨ ـ ١٢٩ .

مُقِلاًّ لا مال له ، ثم كثر ماله وعظم شأنه بمكة[1] ، وكان صاحباً ونديماً للنضر ابن الحارث[2] ، ولم يشتهر لمنبه ذكر إلا ما اشترك فيه مع أخيه نبيه من أذى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقد كانا مظهرين لعداوته[3] ، وعلى مثل ما كان عليه اصحابهما من أذى الرسول ﷺ والطعن عليه ، فكانا عندما يلقيانه يقولان له : أما وجد الله من يبعثه غيرك ؟ ! إن ها هنا من هو أسن منك وأيسر ، فإن كنت صادقاً فأتنا بِمَلَك يشهد لك ويكون معك ، وإذا ذُكر لهما رسول الله ﷺ قالا : مُعَلَّم مجنون ، يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به[4] ، وقد أشار التنزيل إلى قولهما : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾[5] .

واشترك الرجلان في حصار الرسول ﷺ ليلة الهجرة مع كفار قريش عندما أرادوا قتله فنجّاه الله تعالى منهم[6] .

وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو عليهما ، فاستجاب الله تعالى له ، فقتلا يوم بدر كافرين[7] .

هبيرة بن أبي وهب المخزومي :

كان هبيرة من فرسان قريش وشعرائهم[8] ، عُرف بعداوة رسول الله ﷺ وإيذائه[9] ، لكنَّ المؤرخين لم يفصّلوا في الحديث عن مواقفه في الإيذاء ، خاصة في العهد المكي ، اشترك مع كفار قريش في غزواتهم ضد

---

(١) ابن حبيب : المنمق ص ٥٨ ـ ٥٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٣٦٦ .
(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٢٤ .
(٤) المصدر السابق ١/١٤٤ ، والحلبي : إنسان العيون ١/٥١٥ .
(٥) سورة الدخان ، الآية ١٤ .
(٦) ابن سعد : الطبقات ١/٢٢٨ .
(٧) سيرة ابن هشام ٣/١٠٤ .
(٨) الزبيري : نسب قريش ص ٣٤٤ ، وابن حبيب : المنمق ص ٤١٩ .
(٩) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٥٦ .

رسول الله ﷺ ، وقَتَلَ بعض المسلمين فيها[١] .

يقال أنه قُتِلَ يوم الخندق[٢] ، ولكن القول الأثبت أنه هرب من الإسلام بعد فتح مكة إلى نجران ، ومات هناك كافراً[٣] .

أبو قيس بن الفَاكِه بن المغيرة المخزومي :

أحد كفار قريش المغرقين في أذاهم للرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، مؤازر لأبي جهل في مواقفه العدائية من الإسلام والمسلمين[٤] ، وظلّ على عداوته وأذاه حتى قتله الله تعالى يوم بدر كافراً[٥] ، فقيل قتله حمزة ابن عبد المطلب ، وقيل الحباب بن المنذر[٦] .

عبد الله بن الزِّبْعَرىٰ السهمي :

يعتبر عبد الله بن الزبعرىٰ شاعر قريش[٧] ، ذا رأي ودهاء فيهم ، مُجْلِبَاً على الرسول معهم ، بل من أشدهم عليه وعلى أصحابه بلسانه ونفسه[٨] ، حتى إنه قال عن نفسه لمّا أسلم مخاطباً الرسول ﷺ : « لقد عاديتك وأجلبت عليك ، وركبت الفرس والبعير ، ومشيت على قدمي في عداوتك »[٩] .

من مواقف ابن الزبعرىٰ في الإيذاء ، أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خرج إلى الكعبة يوماً من أجل الصلاة ، فلما دخل فيها ، قال أبو جهل

---

(١) ابن سعد : الطبقات ٢/٦٧ ، ٧٠ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٥٦ .
(٣) الزبيري : نسب قريش ص ٣٤٤ ، والبلاذري : أنساب ١/١٥٦ .
(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٨ .
(٥) الزبيري : نسب قريش ص ٣١٧ .
(٦) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٣٨ .
(٧) الزبيري : نسب قريش ص ٤٠٢ .
(٨) ابن عبد البر : الاستيعاب ٢/٣٠٩ .
(٩) ابن يوسف : سبل الهدى ٥/٣٧٦ .

ـ لعنه الله تعالى ـ : من يقوم إلى هذا الرجل فيفسد عليه صلاته ، فقام عبد الله ابن الزبعرى فأخذ فرثاً ودماً فلطخ به وجه النبي ﷺ ، فانفتل من صلاته، ثم ذهب إلى أبي طالب ، فقال له :(يا عم ألا ترىٰ ما فُعِلَ بي) ؟ فقال أبو طالب : من فعل هذا بك ؟ فقال النبي ﷺ :« عبد الله بن الزبعرى »، فقام أبو طالب وأخذ سيفه ومشى مع النبي ﷺ إلى القوم ، فلما رأوهم مقبلين جعلوا ينهضون ، فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل لَجَلَّلْتُه بسيفي هذا ، فقعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يا بُني من فعل بك هذا ؟ فقال عبد الله بن الزبعرى ، فأخذ أبو طالب فرثاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء لهم القول(١) .

وذكر ابن اسحاق قصة مناظرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم للنضر بن الحارث في أحد مجالس قريش ، وإفحام الرسول إياه ، وتلاوة قوله عز وجل : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾(٢)، قال ابن اسحاق : ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعرى فجلس ، فقال الوليد بن المغيرة وكان حاضراً المجلس : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد ، وقد زعم محمد أنّا وما نعبدُ من آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم ، فقال عبدالله بن الزبعرى : أمَا والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمداً أَكُلُّ ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيراً ، والنصارىٰ تعبد عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ ، فعجب الوليد ومن كان

---

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٦/٤٠٥ ـ ٤٠٦ . (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٥م) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآيات ٩٨ ـ ١٠٠ .

معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبعرى ، ورأوا أنه قد احتجَّ وخاصم ، فلما نُقل كلام ابن الزبعرى إلى رسول الله ﷺ قال : « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته » ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ . . ﴾[1] ، ونزلت آيات أخر تبين الموقف فيمن قالوا إنهم يعبدون من دون الله من الملائكة وعيسى ابن مريم[2] .

واستمر ابن الزبعرى في مواقفه العنادية حتى هاجر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة ، وشارك مع كفار قريش في غزواتهم ، وقَتَلَ مَنْ قَتَلْ من المسلمين[3] ، حتى كان فتح مكة فهرب إلى نجران ، ثم شرح الله تعالى صدره للإسلام فقدم ، وأعلن إسلامه أمام الرسول ﷺ وأصحابه ، وتأسّف وندم على مواقفه السابقة واعتذر فقبل عذره ، وقال له الرسول ﷺ : « الحمد لله الذي هداك للإسلام ، إن الإسلام يجب ما قبله »[4] .

ثم أخذ ينظم أشعاراً يمدح بها النبي ﷺ ، وينسخ بها ما قد مضى من كفره ، وشهد مع الرسول ما بعد الفتح من مشاهد[5] ، وتوفي في سنة ١٥هـ .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآيات ١٠١ ـ ١٠٣ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/١٠٦ ـ ١٠٧ .
(٣) ابن سعد : الطبقات ٣/٤٦٨ ، وانظر ابن سلام الجمحي : طبقات الشعراء ص ٩١ وما بعدها .
(٤) ابن يوسف : سبل الهدى ٥/٣٧٥ ـ ٣٧٦ .
(٥) ابن عبد البر : الاستيعاب ٢/٣١٠ .

زُهير بن أبي أميّة المخزومي :

كان زهير من المكذبين للنبي ﷺ ، المنكرين لما جاء به من عند ربه عز وجل ، الطاعنين عليه ، على الرغم من أنه ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، وأخو زوجته أم سلمة من أبيها[1] ، وكان أحد الذين يصدون الناس عن رسول الله ﷺ في المواسم ويحولون بينهم وبين السماع منه أو الالتقاء به أو مجالسته[2] .

لكنه ساعد على نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني عبد المطلب متأثراً برحمه وقرابته لهم[3] .

وذكر البلاذري وقوعَ خلافٍ في هلاكه ؛ فقيل سقط عن بعيره وهو يريد بدراً مع المشركين ، فمرض فمات ، وقيل أُسر يوم بدر فأطلقه الرسول ﷺ فلما عاد إلى مكة مات ، وقيل حضر واقعة أُحد وأصيب فيها بسهم ، فمات بعدُ متأثراً به ، وقيل شَخَصَ إلى اليمن بعد فتح مكة ، فمات هناك كافرٌ[4] .

عبدالله بن أبي أمية المخزومي :

ساق ابن اسحاق خبر مفاوضة طويلة جرت بين الرسول ﷺ وبين زعماء قريش فيهم عبدالله بن أبي أمية حين عرضوا عليه المال والتسويد والملك أو العلاج إن كان به مسّ ، مقابل التخلي عن دعوته ، فرد عليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قائلاً : « مابي ما تقولون ؛ ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلّغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٥ .
(٢) ابن حبيب : المحبّر ص ١٦٠ .
(٣) ابن هشام : السيرة ٢/١٢٣ .
(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٥ .

والآخرة ، وإن ترده عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم »[1] .

فلما رأوا موقف الرسول الحازم مضوا يطلبون منه أموراً مستحيلة ليست في يده وإنما هي من أمر الله عز وجل كإحياء بعض الموتى ، وتفجير الأنهار ، وإزاحة الجبال عن مكة . . وغيرها ، فلما قالوا ذلك قام عنهم الرسول ﷺ فلحقه عبدالله بن أبي أمية ، فقال : يا محمد « عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ، ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجّل لهم بعضَ ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل . . فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه ، وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وأيم الله أن لو فعلت ما ظننتُ أني أصدقك »[2] ، وانصرف الرسول ﷺ بعد ذلك إلى أهله حزيناً آسفاً .

ثم إن الله عز شأنه أنزل فيما قال عبدالله بن أبي أمية وصحبه ـ ويبدو أنه كان خطيب القوم ومتكلمهم ـ[3] ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[4] .

---

(١) ابن هشام : السيرة ٢/٣٦ .
(٢) المصدر السابق ٢/٣٧ .
(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٦ .
(٤) سورة الإسراء ، الآيات ٩٠ـ٩٣ .

وموقف عبدالله بن أبي أمية مع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من المواقف العنادية التي لم يقصد من ورائها الوصول إلى الإيمان أو معرفة الحقيقة المؤدّية إليه ، ولذلك جاء الرد القرآني الحاسم والسريع .

أما عن نهايته فتشير المصادر إلى أنه قد أسلم ، وجاهد مع الرسول ﷺ فقتل في أثناء حصار الطائف(١) .

كفار لم تعرف لهم مواقف في الايذاء :

كان هناك جمع من كفار قريش ، بل إن بعضهم من ساداتهم وذوي الشرف فيهم ممن أبدوا التكذيب برسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعيب ما جاء به من عند الله عز وجل ، وتمسكوا بما ورثوه عن الآباء والأجداد ، وأنكروا على الرسول ﷺ ما أنكروا من مفارقة الدين وسب الآلهة وتسفيه الأحلام ، لكنهم كانوا أقلَّ أذى من غيرهم ، ولم تشتهر لهم مواقف في هذا المجال ، واقتصر بعضهم على مجاراة الرأي العام القرشي ، ومن هؤلاء :

- السائب بن أبي السائب المخزومي ، قتل يوم بدر كافراً(٢) ، وقيل أسلم وحسن إسلامه(٣) .
- الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، قتل يوم بدر كافراً(٤) .
- العاص بن سعيد بن العاص ، قتل في بدر كافراً(٥) .
- أبو البختري العاص بن هشام ، قتل في بدر كافراً ، وكان الرسول ﷺ قد نهىٰ عن قتله ، فأبى إلا القتال فقتل(٦) .

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٦ .
(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٦ .
(٣) ابن عبد البر : الإستيعاب ٢/١٠٢ .
(٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٦) ابن حبيب : المنمق ص ٣٦٧ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ١/١٤٦ - ١٤٧ .

- المُطعم بن عدي ، مات على الكفر بمكة قبل بدر بأشهر[1] .
- أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية ، لم تذكر له مواقف معينة في الإيذاء طوال العهد المكي ، لكنه بعد معركة بدر تزعم حركة المعارضة وقاد الكفار في غزوتي أحد والأحزاب ، ثم أسلم يوم فتح مكة ، وحسن إسلامه ، وتوفي سنة ٣١ هـ[2] .
- أبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، بدت منه أمور في أذية النبي ﷺ[3]،أسلم قبل فتح مكةوحسن إسلامه، ومات سنة ٢٠هـ [4] .

---

(١) الزبيري : نسب قريش ص ٢٠٠ .
(٢) انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ٢/١٠٥ وما بعدها .
(٣) المصدر السابق ٢/٢٠٣ .
(٤) المصدر السابق ٢/٢٠٥ .

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

ففي ختام هذا البحث أعرض أهم النتائج والنقاط التي يمكن أن تستفاد من دراسة هذا الموضوع بشكل موجز في الفقرات التالية :

- واجه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من الفتن والأذى والمحن ما لا يخطر على بال ، في مواقف متعددة ، وكان ذلك على قدر الرسالة التي حُمِّلَها ، ولذلك استحق المقام المحمود والمنزلة الرفيعة عند ربه ، وقد صبر على ما أصابه ، إشفاقاً على قومه أن يصيبهم مثلُ ما أصاب الأمم الماضية من العذاب ، وليكون قدوة للدعاة والمصلحين.
- اختار كفار قريش صفة (السحر) لإلصاقها بالرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، بعد دراسة وتحليل للصفات التي يمكن أن يوصف بها ويتقبلها الرأي العام القرشي والعربي ، فوصفوه بهذه الكلمة في كل موطن أفحمهم فيه ، أو ظهر لهم الحق ناصعاً على يديه ، فراراً من لزوم الحجة إياهم .
- أن الكفر عندما يُواجَه بالقوة والعزة والتمسك بحبل الله والاعتماد عليه يندحر ويضعف ، ويتمثل ذلك في مواقف كثيرة وقف فيها الكفار مُنكرين على الرسول ﷺ بشدة ما جاء به من عند الله ومُهدِّدين له ، فإذا واجههم بحزم وصلابة وبما يكرهون استصغروا وانخذلوا أمامه وترضوه .
- حاول بعض كفار قريش قتل الرسول ﷺ أكثر من مرة محاولات فردية ،

لكن عصبية العشيرة والرحم حالت بينهم وبين ذلك ـ وكان لها بُعْدٌ واضح في التأثير على الواقع الاجتماعي آنذاك ـ ثم إن الله عز وجل كان يصرف عن الرسول ﷺ أكثر عند اشتداد المحن ، وعندما تطيش العقول .

- أن قرار قريش قتل الرسول ﷺ قراراً جماعياً مُتَّفَقَاً عليه من كافة الأطراف المعادية لم يحصل إلا مرة واحدة بعد بيعة العقبة الثانية، عندما خافوا من لجوء الرسول ﷺ إلى يثرب .

- أنه بموت أبي طالب عمّ الرسول ﷺ ، وخديجة زوجه فَقَدَ دعامتين من دعائم سير الرسالة في أزماتها ، السند الخارجي ، والسند الداخلي .

- أن أشد محنة واجهها الرسول ﷺ في العهد المكي ما لقيه من أهل الطائف بعد أن عرض دعوته عليهم ، وطلب منهم النصرة ، ويدل على شدة الكرب الذي أصابه ، توجهه بالدعاء إلى ربه يشكو ضعف قوته ، وقلة حيلته وهوانه على الناس . . . ، ويدل على ذلك أيضاً نسيانه نفسه وهو راجع فلم يستفق إلا بقرن الثعالب ـ كما ثبت في الصحيح ـ ، وعَرْضُ ربه عليه إهلاك قومه .

- على الرغم مما واجه الرسول ﷺ من مضايقات في أثناء عرض دعوته على القبائل في المواسم ، إلا أنه كرر طرق الأبواب مرة تلو أخرى ، حتى إنفتحت له أخيراً ، وهذا يؤكد للداعية المسلم أن لا محال مع الصبر ، والمحاولة ، والدعوة بالحسنى .

- واجه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من الأذى والفتنة في الدين ما يُذهب العقول ، ويَهُدُّ الأبدان ، فتحملوا وصبروا ، وكانت العقبىٰ لهم في الدنيا والآخرة .

- يلاحظ أن تعذيب كفار قريش لأصحاب الرسول ﷺ انصبَّ بدرجة كبيرة على المستضعفين منهم ممن ليست لهم عشائر تحميهم ، والعذاب الضاري الذي وُجِّه اليهم يُعَبِّر بصورة واضحة عن مدى الغل والحقد الذي يحمله الكفار على المؤمنين بالله وحده .

- أن تَفَنُّنَ أعداء الله في الأساليب التي يعذبون بها أولياء الله لم يكن وليد هذا العصر ، وإنما يعود إلى أول ظهور للإسلام .
- كان من نتائج تصعيد الكفار الأزمة على المسلمين الهجرتان الأولى والثانية إلى الحبشة ، وسفر الرسول ﷺ إلى الطائف ، ثم الهجرة الثالثة إلى المدينة .
- أن الكفر لا يرضى عن ظهور الاسلام ولا قُوَتِّهِ ، ولا يَقْبَلُ التعايش معه ، وإذا حصل ذلك في يوم من الأيام فإنما هو لجلب مصلحة ، أو دفع مضرة ، أو إستكمال قوة ، وأن الكفار لا يحملون في قلوبهم مودة ولا رحمة للمسلمين ولا شفقة عليهم ، وإنما سعادتهم في شقاء المسلمين وهلاكهم ، والكفر ملة واحدة في القديم والحديث .
- كان أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الرجل الأول الذي فادى بنفسه وماله مع رسول الله وفي سبيل الله ، وتحمل من أذى القوم شيئاً كثيراً بسبب مصاحبته المستمرة للرسول ﷺ .
- أن المسلمين الصادقين في إيمانهم لم يكونوا يرضون بأن يعيشوا في الرفاه والنعيم ، أو حتى سالمين من الأذى ، وإخوانهم يعذبون ويضطهدون ، وإنما سعوا لإفتدائهم بما يملكون من أموال ، وحرصوا على أن يمسهم شيء من الأذى تمحيصاً لهم أسوة بأخوانهم الضعفاء ، ولهذا كانوا ينبذون جوار المشركين ، ويرضون بجوار الله وحده .
- أنه مات تحت مطارق التعذيب والفتنة عن الدين في العهد المكي من مات من المسلمين ، وصبر من صبر ، وداهن من لم يصبر ، وأن سمية بنت خياط والدة عمار بن ياسر كانت أول شهيدة في الإسلام ماتت تحت العذاب .
- أن التعذيب والفتنة لم يكونا مقصورين على الرجال وحدهم ، وإنما طال النساء المسلمات من ذلك قسط كبير ، فصبرن واحتسبن .
- أن الشباب المسلم الذي بادر بإعتناق دعوة الرسول ﷺ ضحّىٰ في سبيلها

بكل غال ونفيس من الأهل والمال والعيش الرغيد ، ورضي بشظف العيش وقسوة الحياة في جوار الرسول الكريم .

- أن بعض رجال الملأ في قريش لم يرفضوا دعوة الرسول ﷺ جهلاً بها أو اقتناعاً بعدم صدقه ، وإنما صدهم عن الإيمان الحسد والبغى والشنآن للرسول ﷺ ولبني هاشم أن يكون الرسول منهم .
- أن الكفار لم يكتفوا بإعراضهم عن الدعوة ، وإنما حرصوا على الصّد عن سبيل الله تعالى كلٌّ من آمن به ، ووضعوا العراقيل في طريق من لم يؤمن .
- يلاحظ أن أغلب كفار قريش المستهزئين بالرسول ﷺ ماتوا ميتات سوء - والعياذ بالله - ، ورأوا مقدمات عذاب الآخرة في الدنيا بما حصل لهم من أمراض وسوء خاتمة بسبب دعاء الرسول ﷺ . . أجارنا الله والمسلمين من عذاب الجحيم ، وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

المصادر

- القرآن الكريم .

الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد(ت ٢٥٠ هـ) .

١ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، الطبعة الثانية ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ١٩٨٥ م .

ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق المطلبي(ت ١٥١ هـ) .

٢ ـ السير والمغازي ، تحقيق د . سهيل زكار ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ .

البخاري ، محمد بن اسماعيل(ت ٢٥٦ هـ) .

٣ ـ صحيح البخاري ، دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ .

البسوي ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ) .

٤ ـ المعرفة والتاريخ ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٣٩٤ هـ .

البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت ٤٨٧ هـ) .

٥ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقّا الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣ هـ .

ابن بكّار ، أبو عبد الله الزبير (ت ٢٥٦ هـ).

٦ ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ١٣٨١ هـ .

البلاذري ، أحمد بن يحيى(ت ٢٧٩ هـ) .

٧ ـ أنساب الأشراف ، الجزء الأول ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٩ م .

البيهقي ، محمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) .

٨ ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق د . عبد المعطي قلعجي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥ هـ .

الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى(ت ٢٧٩ هـ) .

٩ ـ سنن الترمذي ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥ هـ) .

١٠ ـ البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٨٥ هـ .

١١ ـ الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الثانية ، شركة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن(ت ٥٩٧ هـ) .

١٢ ـ الوفا بأحوال المصطفى ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي(ت ٢٤٥ هـ) .

١٣ ـ المُحَبر ، باعتناء د . ايلزه ليختن شتيتر ، المكتب التجاري ، بيروت .

١٤ ـ المُنَمّق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فارق ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٥ هـ .

ابن حجر ، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني(ت ٨٥٢ هـ) .

١٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .

١٦ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دار المعرفة ، بيروت .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد(ت ٤٥٦ هـ).

١٧ ـ جوامع السيرة النبوية ، مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة .

الحلبي ، علي بن برهان الدين(ت ١٠٤٤ هـ) .

١٨ ـ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون(السيرة الحلبية) ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٠ هـ .

ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد(ت ٢٤١ هـ) .

١٩ ـ مسند أحمد بن حنبل ، دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠٢ هـ .

ابن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط بن هبيرة (ت ٢٤٠ هـ).

٢٠ ـ كتاب الطبقات ، تحقيق د . أكرم ضياء العمري ، الطبعة الثانية ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٢ هـ .

الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل(ت ٢٥٥ هـ) .

٢١ ـ سنن الدارمي ، دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ .

الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ) .

٢٢ ـ حياة الحيوان الكبرى ، الطبعة الخامسة ، شركة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٩٨ هـ .

الدولابي ، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد(ت ٣١٠ هـ) .

٢٣ـ الذرية الطاهرة النبوية ، تحقيق سعد المبارك الحسن ، الطبعة الأولى ، الدار السلفية ، الكويت ١٤٠٧ هـ).

الديار البكري ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦ هـ).

٢٤ ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان ، بيروت .

الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) .

٢٥ ـ تاريخ الإسلام ، الجزء الثالث ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مطبعة القدس ١٩٧٩ م).

٢٦ ـ السيرة النبوية ، تحقيق حسام الدين القدسي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت .

٢٧ ـ سير أعلام النبلاء ، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١ هـ .

الرازي ، أبو محمد ، عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) .

٢٨ ـ الجرح والتعديل ، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ـ الهند سنة ١٣٧١ هـ .) .

الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ) .

٢٩ ـ مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، تحقيق حمزة فتح الله ، دار البصائر ومؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٧ هـ) .

الرازي ، الإمام أبو عبدالله ، محمد بن عمر بن حسين (ت ٦٠٦ هـ) .

٣٠ ـ التفسير الكبير ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

الزبيري ، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله (ت ٢٣٦ هـ) .

٣١ ـ نسب قريش ، تحقيق إ. ليفي بروفنسال ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٦ م .

الزمخشري ، أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

٣٢ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، دار المعرفة، بيروت .

ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع ، (ت ٢٣٠ هـ) .

٣٣ ـ الطبقات الكبرى، دار صادر ، بيروت .

ابن سلّام ، أبو عبدالله محمد بن سلّام بن عبدالله الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) .

٣٤ ـ طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، بدون معلومات نشر .

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد (ت ٥٨١ هـ) .

٣٥ ـ الروض الأُنُف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر ، بيروت .

السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) .

٣٦ ـ الخصائص الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن سيد الناس ، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله (ت ٧٣٤ هـ) .

٣٧ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، الطبعة الثانية، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤ م .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) .

٣٨ ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .

٣٩ ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٠ م .
٤٠ ـ جامع البيان في تفسير القرآن ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ .
العامري ، عماد الدين يحيى بن أبي بكر (ت ٨٩٣ هـ) .
٤١ ـ بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ، شرح جمال الدين محمد ابن الأشخر اليمني ، دار صادر ، بيروت .
ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ).
٤٢ ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، بهامش كتاب الإصابة لابن حجر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
٤٣ ـ الدرر في اختصار المغازي والسير ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٤ هـ .
عياض ، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) .
٤٤ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق محمد أمين قره علي وآخرين ، مكتبة الفارابي ومؤسسة علوم القرآن ، دمشق .
ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) .
٤٥ ـ المعارف ، تحقيق د. ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة .
القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ).
٤٦ ـ الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٦٥ م .
ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) .
٤٧ ـ تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠١ هـ .
٤٨ ـ السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٩٦ هـ
الكلبي ، أبو المنذر، هشام بن محمد السائب (ت ٢٠٤ هـ) .
٤٩ ـ الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٣٢ هـ .
الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٣٥٠ هـ) .
٥٠ ـ ولاة مصر ، دار صادر، بيروت .
ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)
٥١ ـ سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ .
المحب الطبري ، أبو جعفر أحمد (ت ٦٩٤ هـ) .
٥٢ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندي ، القاهرة ١٣٨٨ هـ .
المروزي ، أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد (ت ٣٩٢ هـ) .
٥٣ ـ مسند أبي بكر الصديق ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثالثة ، المكتب الأسلامي ١٣٩٩ هـ .
مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) .

٥٤ - صحيح مسلم ، تحقيق محمد عبد الباقي ، دار الدعوة ، اسطنبول ١٤٠١ هـ .

أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله فؤاد الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ).

٥٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٩٤ هـ .

النووي ، أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦ هـ) .

٥٦ - السيرة النبوية ، تحقيق عبد الرؤوف علي وبسام الجابي ، الطبعة الأولى ، دار البصائر ، دمشق ١٤٠٠ هـ .

٥٧ - شرح صحيح مسلم ، بهامش كتاب ارشاد الساري صحيح البخاري ، الطبعة السادسة ، المطبعة الكبرى ببولاق ، القاهرة ١٣٠٤ هـ .

ابن هشام ، أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (٢١٨ هـ) .

٥٨ - السيرة النبوية، مع كتاب الروض الأنف للسهيلي ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر ، بيروت .

ياقوت ، ياقوت بن عبد الله الحموي (٦٢٢ هـ) .

٥٩ - معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٣٩٧ هـ .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢ هـ)

٦٠ - تاريخ اليعقوبي ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٠ هـ .

ابن يوسف ، محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي(ت ٩٤٢ هـ) .

٦١ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، أشرف على اصداره محمد توفيق عويضة ، لجنة احياء التراث العربي ، القاهرة ١٣٩٤ هـ .

المراجع الحديثة

توفيق برّو .

١ - تاريخ العرب القديم ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٤ هـ .

عاتق بن غيث البلادي .

٢ - معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، الطبعة الأولى ، دار مكة ، مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ .

عماد الدين خليل .

٣ - دراسة في السيرة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

فاروق حمادة .

٤ - مصادر السيرة النبوية وتقويمها ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٤٠٠ هـ .

فنسنك .

٥ - مفتاح كنوز السنة ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، ادارة ترجمان السنة ، لاهور ١٣٩٧ هـ .

مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٦ - المعجم الوسيط ، الطبعة الثانية ، مطابع دار الثقافة بمصر ١٣٩٢ هـ .

محمد عزة دروزة .

٧ - سيرة الرسول ﷺ ، الطبعة الثانية ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٤ هـ .

الفهـــرس



